

محمد حسنين هيكل

في أكسفورد

الصحافة والسياسة والحضارة والتاريخ



فاروق أم فاروقان!

- ♦ حكام مصر في محكمة نجيب محفوظ
- ♦ الثقافة العربية .. هل هي ديمقراطية؟

A Division of Oriental Weavers

عضو مجموعة النساجون الشرقيون



**Oriental Weavers**

City stars 2 shop number 15&20 Tel : 02 - 24 802475 Fax : 02 - 24 802467 Email : owlifestyles@orientalweavers.com



رئيس مجلس الإدارة

إبراهيم الحليم

رئيس مجلس التحرير

سلامة أحمد سلامة



## كتب العدد :

- أميمة عبد اللطيف.. صحفية مصرية مقيمة في لبنان.
- أيمن الصياد .. صحفى.
- جوناثان فريدلاند.. كاتب صحفى فى صحيفة الجارديان البريطانية.
- حافظ إسماعيل على.. أستاذ اللسانيات جامعة ابن زهر . المغرب
- سليم تمارى.. أستاذ علم الاجتماع ومدير مؤسسة الدراسات المقدسية.
- طارق البشري .. كاتب ومؤرخ.
- عزمى بشارة.. كاتب عربى.
- عماد الغزالى .. صحفى.
- لطيفة محمد سالم .. أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بكلية آداب بها.
- مازن النجار.. باحث وأكاديمى فلسطينى.
- محمد حسنين هيكل .. صحفى.
- هانز كوتج .. مدير المعهد السكسونى الألمانى سابقاً وأستاذ علم فلسفة الديانات.
- يوسف الشريف .. صحفى.

رسوم العدد للفنان

محمد حجي



يحظر النسخ أو الطبع أو التصوير على دعوات وزقية  
أو عبر الحاسبات لكل أو بعض المقالات المنشورة أو أجزاء  
منها. بغير إذن كتابى مسبب من الناشر.



## المراسلات :

الشركة المصرية للنشر العربى والدولى  
٢ ميدان طلعت حرب، القاهرة، جمهورية مصر العربية  
ت ٢٤٣٠٠٤٩ / ٢٤٣٠٠٤٩ / ٢٤٣٠٠٤٩ هـاكس ٢٤٣٠٠٤٩ (٢٠٢)  
البريد الإلكتروني (التحرير) : e-mail: info@alkotob.com

## الاشتراكات :

السنة الواحدة (أشهر عشر عدداً) شاملة أجرة البريد (داخل مصر) ١٠٠ جنيه مصرى - اتحاد  
بريد عربى ٦٠ دولاراً أمريكياً - أوروبا وأفريقيا ٧٠ دولاراً أمريكياً - أمريكا وكندا ٨٠  
دولاراً أمريكياً - باقي دول العالم ١٠٠ دولار أمريكى.  
إدارة الإشراف : شارع سيبيه المصرى، من ب : ٢٢ البانوراما - مدينة نصر  
هاتف : ٢٠٢٢٢٢٢٢ هـاكس ٢٤٠٤٤٤٤٤ - subscription@wehganazar.com

## ثمن النسخة :

فى مصر ١٠ جنيهات مصرية. السعودية ١٥ ريالاً الكويت ١٥ ديناراً - الإمارات ١٥  
درهماً - مملكة البحرين ١٥ دينار - قطر ١٥ ريالاً - سلطنة عُمان ١٥ ريال - لبنان ٥٠٠٠  
ليرة - سوريا ١٥٠ ليرة - الأردن دينار ونصف - ليبيا ديناران - الجزائر ٣٠٠ دينار - المغرب  
٣٠٠ درهماً - تونس ٤ ناتير، ٣٠٠ اليم ٣٠٠ ريال - فلسطين ٣ دولارات.  
Austria, France, Germany and Italy: EURO 6 - United Kingdom £ 3 - USA \$ 5.

طبع بمطابع الشرق بالقاهرة

## محتويات العدد :

- ٤ • محمد حسنين هيكل ..
- عن الصحافة والسياسة والحضارة والتاريخ.
- ٨ • عزمى بشارة.
- المواطنة الديمقراطية فى الثقافة العربية.
- ١٤ • هانز كوتج ..
- من حتمية الصراع إلى جدلية الحوار: الاقتراب من الإسلام.
- من كتاب: Islam, Past, Present, & Future، تأليف: هانز كوتج.
- ١٨ • مازن النجار ..
- دلالة الحريق القادم.
- Israel & Syria: The Military Balance and Prospects of War
- تأليف: انتونى هـ. كوردسمان
- جوناثان فريدلاند.
- دن هو جوردون براون ٩.
- ٢٣ • Gordon Brown, Prime Minister
- ٢٨ • Gordon Brown: 2006-1997، ٢. جميعها: ولف ستيفنسون
- ٢٨ • Courage: Eight Portraits، ٣. بقلم: جوردون براون
- سليم تمارى ..
- يوميات مقدسية.
- ٣٦ • طارق البشري ..
- النص: بين التشريع والإخبار.
- ٤٤ • خيرى منصور ..
- التحويل.. مقالة فى هاجس الاستيقاق.
- ٤٨ • أميمة عبد اللطيف ..
- فضاء.. التاكسى).
- تاكسى (رواية) تأليف: خالد الخميس
- ٥٠ • يوسف الشريف ..
- الفاجومى .. سفير للفقراء).
- ٥٥ • عماد الغزالى ..
- صورة الشاعر والوطن فى تحقيقات القضاء.
- ١. شاعر تكدير الأمن العام، تأليف: صلاح عيسى
- ٢. أحمد فؤاد نجم، الأعمال الكاملة
- ٣. الفاجومى. سيرة ذاتية للشاعر
- ٦١ • حافظ إسماعيل على ..
- دفاع غريى عن العربية).
- محاسن العربية فى المرأة الغربية أو دلالة الشكل فى العربية فى ضوء
- اللغات الأوروبية، تأليف: ديفيد جستس.
- ٦٤ • لطيفة محمد سالم ..
- غباروقان،
- ٦٩ • نجيب محفوظ ..
- زعامات أمام العرش.
- ٧٤ • إصدارات جديدة ..
- ٨١ • رسائل ..
- ٨٢ • أيمن الصياد ..
- قراءة: من قريب.



## محمد حسين هـيكل

# عن الصحافة والسياسة والحضارة والتاريخ

■ اللورد باتن.

رئيس جامعة أوكسفورد  
حضرات السيدات والسادة

• يسعدني ويشرفني أن تتفضلوا  
بدهوتي أول متحدت في المحاضرة  
التذكارية بكلية الصحافة التي أسس  
لها هذا التوافق بين جامعة أوكسفورد  
ووكالة رويترز.

إن هذا التوافق بين جامعة عريقة  
(أوكسفورد) ووكالة أنباء شهيرة  
(رويترز) يصعب أن يكون لقاء  
مصادفات، إذا دققنا أسبابه وتمثلنا  
نتائج.

ومن وجهة نظر عملية وعلمية  
كذلك فإن الصحافة على تنوع وسائلها  
وأدواتها لديها ثلاث طرق اختراق  
واضحة إلى وظيفتها الحيوية في  
مجتمعات الحرية والتقدم.

• أول طرق الاقتراب: أن تكون  
الصحافة مكتوبة أو مسوعة أو مرئية  
خطوطا مفتوحة تنقل القرار السياسي  
على اختلاف مجالاته: داخلية  
وإقليمية اقتصادية واجتماعية  
إستراتيجية وعسكرية من مواقع صنعه  
إلى أوسع دوائر المواطنة التي يهيمها  
شأنه، بحيث يتأكد الحق العام في العلم  
به، وتتوافر إمكانية التعرف على  
موجباته، والاستعداد لآثاره وتكاليفه،  
والاطمئنان إلى اتساقه مع الإرادة  
العامه في الوطن وخارجه، ولكي يظل

بدعوة من اللورد كريس باتن رئيس جامعة أوكسفورد العريقة  
والسياس البريطاني الشهير، ألقى الأستاذ محمد حسين  
هيكل يوم الاثنين ٢٩ أكتوبر الماضي «المحاضرة التذكارية  
الأولى بمعهد رويترز للدراسات الصحفية والذي أنشأته  
الجامعة نهاية العام الماضي كمعهد متخصص تابع لكلية  
العلوم السياسية.

المحاضرة التي حملت عنوان «جسور وعقبات» شهدها جمع  
من مجلس أمناء الجامعة وأساتذتها وطلابها في مقدمتهم  
اللورد باتن فضلا عن رئيس مجلس إدارة وكالة رويترز العالمية  
للأنباء، ونخبة من كبار الصحفيين والأكاديميين البريطانيين.

وهنا نص المحاضرة:



• وطريق الاقتراب الثالث: أن  
تحاول نفس الوسائل والأدوات قصارها  
كي تنقل وتستثير انفع وأرفع حوار بين  
القرار السياسي وشئون الجارية  
وقضاياها وإهتماماته. وبين الأفكار  
وقدرتها على تخصيص الفعل الإنساني  
وتوليد، لكي يجمع الحوار ما بين  
الفعل والفكر، ويؤكد القيمة ويحفز  
إرادة إنسانية ذكية وهوية. وهنا فإن  
التوافق بين الجامعة العريقة ووكالة  
الأنباء الشهيرة يصبح مرغوبا فيه  
ومطلوبا.

تحت المتابعة الدستورية والقانونية،  
ويصبح الرأي العام قادرا على ممارسة  
مسئولية الرقابة عليه، والقدرة على  
إعادة توجيهه ديمقراطيا إذا لزم.  
• وطريق الاقتراب الثاني: أن تكون  
وسائل الصحافة وأدواتها خطوطا  
مفتوحة أيضا ما بين مجالات الفكر  
والعلم والفن من مراكز حيويتها، سواء  
في الجامعات، أو المعاهد ومراكز البحث،  
أو مساح العرض والأداء وأشكالها  
المتعددة في التعبير إلى جمهور واسع  
له الحق أن يرى ويستوعب ويستمتع.

إن طرق الاقتراب الثلاثة كما  
وصفتها لا تحقق مطلوبها بهذه  
البساطة التي وصفتها، فالواقع العملي  
أكثر تعقيدا، لأن مراكز صنع القرار لا  
تمارس فعلها في المثالي المفترض، وإنما  
تمارسه تحت سطوة صراعات تاريخية  
كبيرة ومصالح يتعارض بعضها مع  
بعض، والكثير منها غائر في زمانه، أو  
جامع في مقاصده، أو عنيف في  
ممارساته، وفي ظل هذه الأحوال فإن  
القرار السياسي تحكمه بالقطع  
عوامل غير مثالية!

• بالتوازي فإن مجالات صنع  
الأفكار ومنجزات العلوم وتجليات  
الفنون لا تطرح ما لديها في ذات  
الفضاء المثالي المفترض، وإنما تتأثر  
هذه المجالات في مجمل نشاطها  
بضغوط يناسبها أن تضرب عليها تزيح،  
أو تحجب عنها تحسرك، وهنا تبرز  
عوائق تعرقل المجال الحر للقيمة  
والقدرة.

• يلي ذلك أن قنوات الاتصال التي  
تشكلها الصحافة لا تمارس دورها في  
نقل الأخبار والأفكار وصوت وصدى  
الحوار على خطوط مستقيمة سالكة  
ومطهرة، وإنما تتعرض قنواتها  
المفتوحة على الطرق الطويلة لأنواع  
وبرجات من التدخل والتحييز ضلالتها  
الصراعات والضغوط والمصالح، وحتى  
الأهواء والأمزجة.

## حضرات السيدات والسادة

إنني سعيد بهذه الفرصة التي أتاحها لي كي ألتقيكم في هذه المناسبة التي توافقت فيها جامعة عريقة مع وكالة أنباء شهيرة على لقاء يسهم في دعم كافة الأعلام من حيث إعداده وتأهيله لأداء دوره من عواطف بين القرار والأفكار والحوار، وبحيث يتحمل هذا الإعلام مسؤوليته في إزمنة متغيرة. إننا نتحدث كثيرا عن عالم واحد لكن مثل هذا الحديث فيه قدر من المبالغة، أو ربما التمني، فقد تكون في حكم الجغرافيا عالما واحدا، لكننا في حكم التاريخ عالمان: شمال وجنوب، وليس يجدي أن نتأبط ونجاو في الحقيقة، وكذلك ليس يجدي أن نكتفي بالنظر إلى النخب المتعولة في الجنوب، وننسى الكتل الهائلة من البشر وراءها بل وبعيدي عنها.

إن هناك عالمين: شمال وجنوب والفجوة بين الاثنين واسعة وخطرة، وهي تزداد اتساعا وخطرا إذ تلتبس الحقائق وتتداخل الهواجس بين المثالي المفترض وبين الواقع العملي المعقد عند صناع القرار والأفكار، وعندما تتكاثف قنوات النقل والتدفق الحر، وتتوالى مرات وتندس مرات، وتصبح الفجوة هوة، والهوة هوة، وتتحوّل الرسالة لغما في حرف أو قبيلة في رسم!

حضرات السيدات والسادة إذا كانت فتونكم سميت سعادة وشرف لي، فهي في ذات المحلقة مسئولية تدعوني أن أبحث معكم بصراحة وأمانة، أزعم أنها قد تكون مقبولة مني وربما مغلوطة منكم ذلك أنني رجف من عالم الجنوب يدرك هومو عالما لأنه يعيش واقعها، وهو يتحدث إلى عالم الشمال ويحسب أنه يستلعي فهمه، يظن أن الأطراف أتاح له في يعيش مهنة الصحافة في الجنوب وفي الشمال معا، فقد كتب في

العالم العربي وعنه، ومارس في الجريدة والتكاتب والتلفزيون هناك، ثم إن الظروف منحته فرصة أن يمارس هنا كذلك وانطلاقا من هذا البلد بالتحديد، حيث شاهد صحف ووريات بريطانية عديدة مثل «التيمس»، وال«جارديان»، وال«إندبندنت»، وال«إيزر»، بنشر مقالاته وأحدثه، ثم إن مؤسسات نشر عريقة قامت بإصدار المطبوعات الأصلية من كتبه، فظهرت كاملة في المكتبات لطلبتها، ثم نشرت على فصول سلسلة محاضراته صحف كبرى مثل «الصندي تلجراف»، وال«صندي تيمس»، إلى جانب مقالات وأحداث وغيرها، وكل ذلك أخذ عمله إلى لغات كثيرة وصلت به وأوسع بعيدا! حضرات السيدات والسادة قلت إن انتمائي لعالم الجنوب يجعلني مدركا لهومه ومشاكله، وقلت

إنني زائر للشمال يظن أو يتوهم أنه يتفهم هذا العالم ومحرطاته، وقلت إن المسافة بين العالمين واسعة وتزداد اتساعا، وأصبح لنفسني بالقول ومن هذه الحافة بين العالمين بأننا نحتاج الآن وبسرعة إلى جسور لعبور هذه المسافة، ولا تصادمات الكتل ووقعت الانفجارات مهولة تسقط مثل الكواكب التي يخلت مدارها في تقوب سوداء في مجاهل الفضاء! ويحضر ذلك وارد، واحتمالاته تتزايد إن لم نبذل جهدا، وأول الجهد أن نتصالح، مهما كانت المصارحة مزعجة!

دعوني أبدا وأقول بتعميم إجمالي إن عالما في الجنوب يشعر بأن القرار الصادر من مراكز القوة الدولية كما يصل إليه يصدمه بقسوة لا يبدو أنها تأبه وتهتم، ويصارع على العنف لا يبدو أنه يخشى أو يتسحر من أن صوت الحوار لا يدعو إلى مشاركة، لأن القرار في معظم الأحيان ينقض عليه بفتة ودعما.

يشعر عالما في الجنوب كذلك أن دنيا الأفكار والعلوم والفنون كما تضيء أمامه من بعيد ليست مقبلة عليه أو مرجية به كما يأمل بقلته. ثم إن صوت الحوار يصل إلى الجنوب، إذا وصل، مقللا بتواضع من التحيز بل والعدوانية! وهنا وفي هذا السياق فإنني أستاذ أن أطر أممكم ثلاث ملاحظات: أمل أن توضع في اعتباركم، راجيا ألا أعتبر القول فيها نوعا من الهوس أو عارضا من هواجس عقد نفسية لدى القائلين بها، وإذا بدا فظاهر هذه الملاحظات بعيدا عن الموضوع، فإنني أمل في صبركم لعله يتضح أنها قريبة منه إن لم تكن في صميمه.

أولى الملاحظات: أننا لسنا أمام صراخ حضرات متعددة متعارضة يمكن

## جئت إلى

هنا لداع رئيسي

هو أن أطل

على مشهد المحيط

البحراني

الإنساني، قريبا من

شاطئ المهنة

التي نتعكم وتعتينا



## لسنا أمام صراع

حضارات متصادم

أو تتصالح.

بل هي حضارة واحدة.

صب فيها الجميع

ما زاد عندهم أوقات الفيض،

وسحبوا منها

ما لمزهم أوقات الجفاف



أن تتصادم أو تتصالح. لأن شواهد التطور التاريخي تؤمن إلينا بأنها حضارة إنسانية واحدة، صب فيها الجميع ما زاد عندهم أوقات الفيض، وسحب منها الجميع ما لمزهم أوقات الجفاف، وسامدوا، كل في زمانه. وإلى ملء خزان هائل للحضارة الإنسانية أصبح صراخا طبعية ورصيدا جماعيا متحابا بالحق إن يريد ويستطيع.

ومن المفيد هنا أن نتذكر أن مع اتساع الأرض واتصال التاريخ فإن كافة الشعوب والأمم قدمت ما ركمت من ثقافات البيئة والعرف والتجربة وعن طريق الانتقال الحر للثماغ إضافات سعية ومستمرة وتلقائية إلى المشترك البشري الجامع. ذلك أحدث حالة التأمل والفلسفة بحثا عن الحق والحقيقة حالة كشف العقل حين تعرف الناس في الفجر الإنساني الأول على ملكات التصور، وتوصلوا إلى سر الحرف في الأجدية وروح الرقم في العهد، حالة التثنية أو معجزة الزاعة، حالة صناعة الأدوات والمعدات، حالة فنون المعمار، حالة فتح الطرق واستئناس وسائل المواصلات، حالة صنع السفن وكوكب البحار، حالة النظر إلى الفلك ومسارات النجوم، إلى آخره.

في هذه الحالات وغيرها فإن الثقافات الطالعة في كل مكان شقت جداول وينابيع محلية، فاضت على جوارها عندما تبين هذا الجوار نضعا، ثم تكتف إلى الجداول والينابيع لتكون ما يمكن أن نسميه مجمع ثقافات أو أحواض حضارة بعضها يكاد يكون مرسوما محمدا كخط بالقلم ومثاله الأظهر حوض البحر الأبيض ثم إن الأحواض الحضارية في كل القليم من أقاليم الدنيا امتلأت وفاضت، وتعددت واتصلت بحيث بسطت محيطا واسعا

لحضارة إنسانية قابلة للانتشار، قادرة على الطء، عابرة للزمان والمكان.

وعلى امتداد عملية التفاعل بين الثقافات وهي تتدفق من مواقعها الأولية وأحوالها الأوسع إلى المحيط الكبير، وما بين الصب والسحب من الرصيد المشترك للحضارة الإنسانية فإن الحوض الحضاري للبحر الأبيض تحركت عليه تيارات تتبدى وكأنها خريطة مناخية حية موصولة بين معابد وقصور بابل ومنفى إلى أروقة ألمانيا وفرنسا وبريطانيا، ثم يتجه الخط عابرا للأطلسي إلى أمريكا لينفذ من الشاطئ إلى الشاطئ في اتجاه الباسيفيك، يعود فينبط على شرق آسيا، فإذا الحيوية المتجددة لفيض البحر الأبيض عبر الأطلنطي تجتاز المحيط الهادي لكي تلتقي هناك بالحوض العميق للحضارة الصينية. لقد تصادف هذا الصيف أنني وقفت أمام مكتبة الإسكندرية التي أعيد بناؤها، ثم كنت بعد أيام عند سفح «الأكروبول»، ثم صعدت سلم كنيسة القديس بطرس، في الفاتيكان، ثم تحولت متأملا معالما النهضة ومقتنيات القصور في «فلورنسا»، ثم منيت فوق جسر فينيسيا نحو ميدان «سان ماركو»، وعند هذه المواقع واستفاد من هذه ملامح حضارة معبرة كتبها الأستاذ Stefano Carboni أمين متحف «اللوڤراتيان» في نيويورك قال فيها: «إن حوض البحر الأبيض المتوسط حدوده سائلة»! Liquid Frontiers، وذلك وصف دقيق لحركة الثقافات في صنع أحواض حضارية، فيضان هذه الأحواض لتصنع محيطا حضاريا عالميا وإنسانيا واحدا، وربما أننا إذا عدنا لحظة إلى مجال السياسة نتذكر أن هذا المحيط الإنساني ينسب ولو من باب المجاز في كل عصر إلى القوة الغالبة فيه، فهو روماني في عصر، غريقي في عصر ثان، مسيحي في عصر رابع، إسلامي في عصر خامس، أوروبي في عصر سادس، أمريكي هذه المحلقة العابرة: ومع تعدد السلطات في حالة الثقافات، فإن الحضارة لها لغة رئيسية في كل آن، هي لغة القوة الغالبة في زمانها، فهذه اللغة الرئيسية تنطق يونانية لحظة، لاتينية لحظة أخرى، عربية بعد ذلك ثم فرنسية أو إنجليزية في هذا الزمان، وقد تصبح نبرة أخرى غدا أو بعد غدا.

وعلى قلب العصور فإن غلبة القوة لا يصح أن

## على مشهد المحيط الحضارى..

### قريباً من شاطئ المهنة



كان أمل كثيرين لو تذكر خليفة بطرس الرسول أن السيد المسيح نفسه من مواليد الناصرة، والقديس بطرس الذي يقوم القاتيكان على رفاقته من أبناء القدس، كلاهما من الشرق



تُسَمِّينا شراكة الرصيد الإنساني لحيد الحضارة فوق أي إمبراطورية أو لغة!



انتقل إلى ملاحظة ثانية ملخصها أنه قبل سنوات قليلة وقع استغلال جمعية إنسانية مجرزة ضريت مدينة نيويورك في الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، وبهذا الاستغلال تحولت الضجيج إلى عملية تلاعب مقصود بالصور وبأسلوب خداع البصر، فإذا العالم يفاجأ بأن صورة المسلم عريباً وغير عربي قد أزيحت لتحل محلها صورة المتعصب الإزهابي، ثم تضافرت عناصر من عوالم الشرار والأفكار والحوار تعده ضفوف المصالح المتصارعة بقصد ترسيخ هذا التلاعب بالصور وخداع البصر، إلى حد إعادة كتابة قصة الإزهاب في التاريخ، فإذا الشمال بريء منه، وإذا الشرق الأقصى بعيد عنه، وإذا الدين الإسلامي وحده مرادف للأنحاز والقتل في المخيلة العامة الشائعة في الشمال.

لاحظ أن رمزا دينيا له مقامه هو بابا القاتيكوس بنديكطوس السادس عشر، وقف يتحدث عن الإسلام وعن الحضارة في جامعة ألمانية، فإذا هو بالتملح - أن الفارق بين العالمين، أن الغرب أخذ من المسيحية ثم من الفلسفة اليونانية ما يميزه عن غيره في إعلاء قيمة الإنسان، وكان أمل كثيرين ورجاؤهم لو تذكر خليفة بطرس الرسول، أن المسيحية كلها غيت نزل على الشرق وفاض على الغرب رسالة وحكمته، حواريين وقيديين، قصصا وتعاليم، صلوات وتراثيم، كما أن السيد، المسيح، نفسه من مواليد الناصرة، والقديس بطرس، الذي يقوم القاتيكان على رفاقته من أبناء القدس، كلاهما من الشرق، وأن القديس مرقس، الذي تقوم كنيسته بممارعته المتميز على أجمل ميادين أوروبا، سان ماركو، مولود في أفاسي

صعيد مصر، وكان مدفنهما في الإسكندرية، ومنها أخذ رفاقته (ولا أقول سرق) في القرن التاسع إلى «هينيسيا»، وذلك رغم أن كبار قناني النهضة جنحوا إلى تصوير هؤلاء الرسل والقديسين والحواريين معظمهم أصحاب بشرة بيضاء وعيون زرقاء وشعر ذهبي.

هذا عن التأثير بالمسيحية في شأن تمدن الشمال أو تمدن الغرب. وأما عن نغمة الفلسفة الإغريقية، فليس هناك من لا يعرف أن الفلسفة الإغريقية لها مقدمات سبقتها وجوار مشرفي أحاط بها وإنساب إليها، ثم إن الفلسفة الإغريقية ضالعت من أوروبا في ظلام القرون الوسطى، بينما كان الجنوب الإسلامي في حالة انفتاح وتدفق شافعي، وضمن تفاصيل هذا الانفتاح والتدفق فإن الفلسفة الإغريقية عادت إلى أوروبا عن طريق فلاسفة الأندلس العرب، وعلى رأسهم الفيلسوف المسلم الأشهر، محمد بن أحمد بن رشد الأندلسي، ولم يكن ابن رشد، وغيره من فلاسفة الإسلام مجرد وسطاء أو ناقلين، وإضا كانوا مجتهدين زادا بالدرس، وتوسموا وأحاطوا. هي إذن حدود سائلة على حد وصف أستاذ متحف المتروبوليتان، الحكيم.



حضرات السيدات والسادة بقيت ملاحظة ثالثة أتمنى أن ألسها في رفق، إنني توسعت كثيرا في حديث التاريخ، بينما حديثنا عن الصحافة، وظني أن هناك صلة من نوع ما بين الاثنين، عندما كان الشرق المسلم ومعه مسيحيوه يدفع الضرائب مرتين؛ الأولى لأن حركة التقدم العالمي بسبب ثورة العلوم والتكنولوجيا لم تعطه حتى الآن فرصة لا لتعاقد الأنفاس، يسلم لحظتها بالمعصر ويواصل معه وفي حين أن الشرق البدوي نجح أحيانا في الإمساك باللحظة، فإن الشرق الإسلامي ومعه مسيحيوه تغتار عليهم الحلق لأسباب معتدة ليس هذا مجالها.

والثانية - وهي التي تصنينيها لانتهاها بموضوع الإعلام، وملخصها أن الشرق المسلم يعاني من أن الأقلام والأضواء والعصامت كلها توجهت وتركزت عليه، بينما هو يعاني المرحلة الأصعب في الانتقال من قديم إلى جديد، ومن تأخر إلى سبق، ومن عتمة إلى نور.

وبالمعجب فإنكم تذكرون أن ولادة الجديد عنكم جرت وراء ستار، وأما في عالمنا فإنها جارية في منتصف النهار، وكذلك كان الجديد عندنا حملا ومخاضا وميلادا عاريا تحت وهج وعلى مرأى وسماع من عالم يتابع ما يجري متجاهلا لحقيقة أن الحمل والمخاض ولادة الجديد حتى وإن كانت مؤلمة عنكم كما هي عندنا، فإن الفارق أنها جرت عنكم مكتومة لتظهر بعدها في كتب التاريخ بأثر رجعي، لكنها عندنا جرت على الهواء مباشرة فبدت وكأنها فضائح بالصورة والصوت واللون.

حضرات السيدات والسادة لقد كنتم محظوظين في اجتياح الجسور من التخلف إلى التقدم، ولم يكن لدينا مع الأسف هذا الحظ أو بعض.

وبسأل بعض زملائنا هنا في الشمال، وماذا تفعل؟ - أوليست تلك طبيعة عصر السرعة؟ والتساؤل صحيح والرد عليه بأمانة، أن الإعلام في الغرب ليس مطالباً بالتأكيذ وهو يغطي الشأن الجاري في الجنوب أن يستعيد الجولات كل مرة تكن المرادف المحبوي لتعذر الاستعادة أو استتكار درجة من ثقافة الإدراك والتعاطف والموضوعية.

عدوني أقول أنه ليس من باب التصف أن نسال لو أن الصحافة الحديثة وضمينها وكالات أنباء مثل «ويترن» أو مؤسسات مثل A.B.C، C.B.S، N.B.C، والجزيرة، SKY، FOX، C.N.N. كانت حاضرة زمن حرب الإمبراطرة والملك والكرادفة والعلماة والمذاهب والطوائف والقوميات والطبقات والإمبراطوريات والتحديثات الإمبراطورية لها في أوروبا؟

ماذا على سبيل المثال لو كانت هذه الصحافة الحديثة حاضرة أيام مندية سان بارتوليو مثلا حين جرى ذبح مئات الألوف من اليهوديونوت الفرنسيين على أيدي مواطنيهم من الكاثوليك، بتحريض كرادلة ونبلاء؟ وماذا لو كانت هذه الصحافة الحديثة حاضرة في ميدان الكونكورد حيث كانت مقصلة الثورة الفرنسية تدمر وتقطع رؤوس الملك والأمراء والسياسيين والمفكرين كل يوم من الصباح إلى منتصف الليل؟ أو لو عبرت البحر إلى برج لندن لتقل ما يجري وراء أسواره للأخوة من النبلاء والمحليات وأولياء العهد من مساهم وأهوال؟

وماذا لو كان هناك بث على الهواء مباشرة لوقائع الحرب الأهلية الأمريكية، حين قتل فيها الأخ أخا، وانتكح عرسه، وجرى زعمه واستباح مدنه وقراه في أطول مجزرة عاشتها أمريكا، وأغرز شلال دم تدفق في العالم الجديد.

وماذا لو كان نفس البث المباشر حاضرا ينتقل على الهواء مباشرة لمشاهد بعض أو أشد الأعمال ظلمًا في تاريخ الإنسانية؟ تلك التي كان الشمال لسوء الحظ فاعلها، من ظاهرة الاستعمار إلى ظاهرة العبودية وإلى ظواهر أخرى متوالية في قلب القرن العشرين، وضمينها الستالينية والفاشية والنازية، ومعادة السامية، وحراق الهولوكوست التي طالت اليهود وغيرهم من الأجناس والأعراق. وماذا لو أن هذه الوسائل كانت حاضرة وعلى الهواء مباشرة لتقل الحرب الأهلية في إسبانيا، وتقل فتاوح «جورنيكا»، وفالينسيا، وتقل «بودل» التي تعتمد في وصفها على لحات من كتابات فنانين وبساسة من وزن «بابلو بيكاسو» وأرنست هنجواي، وأندريه مالرو، وهيو توماس؟

تذكرون أن وسائل الإعلام الحديث لم تلحق إلا قرب النهاية بأهوال الحرب العالمية الأولى، وإلى حد محدود بالحرب العالمية الثانية، وتعرف بالطبع أن هاتين الحربين العالميتين كانتا صراعا بين قوى



## ماذا لو كان البث المباشر حاضرا ينقل على الهواء مشاهد بعض أو أشد الأعمال ظلما في تاريخ الإنسانية؟ والتي كان الشمال لسوء الحظ فاعلاها



يلعب دورا شديد السلبية في منطقنا من الجنوب، بالتحديد الشرق الأوسط.

هناك في قلب هذه المنطقة ثلاثة دواعٍ للخطر أشير إليها باقتضاب لكي تجنب تكرارا شائعا ومملا رغم صحتها، وهي بالترتيب: الموقع الإستراتيجي، وأهمية البترول حتى يظهر بديل له، وإسرائيل.

• وهنا فمن الحق أن اضيف أن التفاعل بين عوار الشرعية الذي أصاب الدولة العربية الراغبة مع ضغوط التطور في الداخل على النظام مع دواعي الخطر من العناصر الخارجية، كل ذلك أدى إلى هجوات واسعة سمحت بالتدخل الدولي في الشأن الداخلي للمنطقة، على أنه لسوء الحظ أن بعض النقاد الخارجي إلى المنطقة لم يكن دائما ضيفا ثقيلًا دعا نفسه، وإنها السياسة الداخلية وتوازنها المتصورة أو المتوهمة

حضرات السيدات والسادة  
إذا كنت قد وجهت بعض الملاحظات وهي لهجتها نبرة حدة، فإنني لم أت إلى هنا مكابرا ولا معايرا.  
وإذا كنت في نفس الملاحظات قد اعترفت بالتفسير لضمائم حية أدت أمانتها عنكم، فإنني لم أت إلى هنا مادحا أو مهينا.

وإذا كنت أخيرا قد أملت جانبها من الأوضاع البراتية في أحوالنا، فإنني لم أت إلى هنا شيئا أو محرضا.

لقد جئت إلى هنا لداعي رئيسي هو أن اطل على مشهد المحيط الحضاري الإنساني، قريبا من شاطئ المهنة التي تعينكم تقريبا وجئت وورائي مؤسسة تحمل بمحض المصادفات اسمي، شاعلها خدمة الكفاءة المهنية لشباب الصحفيين العرب.

وقصاري ما أريده وذلك قصدي وهدفي، لا يخرج عن مشاركة معكم في بناء جسر على موقع من مواقع الحضارة الإنسانية الواحدة التي صبت فيه كل الأمم ما تجمع لديها من نتاج ثقافتها ما يكون مسالحا للجميع، وحقا للجميع، لأنه ملك الجميع.

الطبيعية الذاتية لعملية التطور بل يستحتم صناعتها من البداية إلى مقصودها، أو صيانة هذا المقصود والبطاع عنه، لأن العصور لا تتماثل والأحوال لكل أحكامها.

قبر القرن العشرين بالذات تحدثت القواعد والأصول عنكم، وأصبح ممكنا إرساء أصول وترسيخ بناء، وذلك لم يحدث بعد عندما في الجنوب، حيث مازالت الحداثة مضطربة، ومازالت القواعد وأهية، لأن الصراع من أجل التنوير والحرية والتقدم يتخبط محتدا وتحت ظروف عصية.

• بيننا أن هذه الحركة في الجنوب تختزل في لحظة زمنية رائعة مازالت واجهت الشمال متأتية فهناك تعاقبت وتوالفت عصور التشجير: الحرية والتنوير، الصناعة والتجارة، العدل الاجتماعي، المواصلات والاتصال، ولكنه الإنترنت وعالم النشر الإلكتروني، لكنه عندما تزامم ذلك كله مع تباين الخلفيات والروى والضرورات.

• وبيننا أن تداخل العصور أحدث ضغوطا ومؤثرات حادة، قومية ودينية وطائفية ومذهبية، أدت إلى خلط بين الأولويات، وإلى شغل في الوسائل قاد أحيانا إلى مجاهر تاهت بعيدا بالمقاصد.

• وبيننا أن المناخ الذي يحيط بعملية ولادة تجري على الهواء مباشرة، على قارة الطريق وفي منتصف النهار يصيب كافة الأطراف بكل الأغراض التي تصاحب المواصلات، ومنها الاضطراب والألصاء والإغشاء والتمعية.

• وبيننا أن نظم الحكم القائمة عجزت أن تؤسس لنفسها شرعية دستورية أو قانونية، ولم تعد سلطتها اختيارا وتقصيضا وإنما إملاء وقهرا، تعطلت إرادة دواعي الرشد السياسي والاجتماعي وإدارة الأزمان، وذلك ساعد على الإساءة لشهد التطور عندما وإسادة إلى صورتها.

• ومع أنني أتريد كثيرا قبل أن اضيف أي مسئولية إلى حساب غير المعنيين في الأصل بها، فلا بد من القول ودون حرج أن العنصر الخارجي

الشعب العراقي فقد نصف مليون مواطن قتلوا، وثلاثة ملايين خرجوا لاجئين من وطنهم، بعضهم داخله في العراق، وأكثرهم في المهافي خارجه، ثم إننا بفضل تلك الضمائر التيقتل في الشمال عرفنا ما جرى في محافل القهر من «جوانثانامو»، إلى «أبو غريب»، إلى الفالوجة إلى البصرة إلى الموصل.

إن تلك الضمائر الحية في صحافة الشمال هي التي كشفت كثيرين من هؤلاء الذين قدموا خططًا سياسية والذين قدموا فتاوى علمية في خدمة مشروع أخذه ما يقترى الإمبراطورية من حماية القوة، وتجاهل ما تراكمه الإمبراطورية من حكمة الخبرة، ليثبت أن مشروعه هو الأقصر عمرا في تاريخ الإمبراطوريات، لأنه الأقصر نظرا بينها!

إننا وأهم من ذلك كله في تجربة الصب والسحب من الرصيد الإنساني المشترك في المحيط العالمي الأوسع أخذنا هذا العلم الدبيع الذي قام هذا العهد ليخدم أهدافه وهو، الصحافة مكتوبة، مسوعة، مرئية، ولا تتجاوز إذا قلت أنه أدى دورا هائلا في حياة عالمنا، إنكم بالطبع سبقتم وطورتم، مستعنين باختراقات التكنولوجيا، حتى أصبح الإعلام العابر لمساكنات الكون أبرز ظواهر العصر وأقوى محرراته.

حضرات السيدات والسادة  
على أن طابع مراحل التطور كما تفتح باستمرار تقيد أحيانا فتضع حدودا لا يمكن أن يأخذها الناس عن غيرهم، بل يتحتم عليهم أن يصنعوه بحريتهم بألاهم، لأن هناك مجالات يستحيل فيها إحصاء المماناة بالنقل أو بالحاكاة، تجنبنا إعادة اختراع العجلة من جديد.

وأول هذه المجالات هو مجال الحرية ليس بمعناها الشاعري وإنما باعتبارها توجهها إلى نظم دستورية وقانونية مضبوطة بحق اجتماعي وسياسي يفرض احترام الحقوق ويحمي يستطيع أي مواطن حر أن يمارس مسئولية المواطنة.

إن لجارب الحرية يصعب نقلها ويصعب انتشارها، وتعميقها بالحرية

الشمال ذاتها، لكن الأطراف المتحاربة نقلت ميادين القتال إلى كافة القارات وفرضتها على كل الأمم والشعوب، وكانت الحصيلة الإنسانية ما بين ستين وسبعين مليوناً من القتلى، وما بين مائة وخمسين إلى مائة وسبعين مليوناً من الجرحى في الحربين معاً، وعندما جاء المشهد الأخير في الحرب العالمية الثانية ووقع استعمال السلاح النووي، فإنه لم يكن هناك نقل مباشر على الهواء، وعلى أية حال فقد اقتضينا جميعا بسماع أصداء المأساة قائلين في نفس واحد شمالا وجنوبا: لن يتكرر ذلك مرة أخرى، ومع ذلك ويرغم هذا التمسك الإنساني الجامع فإنه عندما نشبت المعارك في أفغانستان والعراق، لم نتورع القوي الأمريكية عن استعمال أنواع من أسلحة «البوراينوم»، المستنفذ، وذلك درجة من الاستئثار بالوقود وبالإلصاق يصعب انتقارها.

حضرات السيدات والسادة  
تلاحظون أنني أطلت الحديث فيما جرى عنكم، وكنت في ذلك عمادا حتى تبين الصورة أمامكم، ومع أن ذلك الإحاح اعترض عن طوله ولا اعترض عن مقصده فمن الإنصاف أن نتمثل وجهها آخر للحقيقة، وهذا هو الحال دائما، فإنني جانب ما عرضت لطرف منه وكان يمكن أن اضفي في قولانه إلى ما لا نهاية، فإن هناك فضلا يصعب إنكاره مبدئيا على صحافة الشمال، أوله ودون تحفظ، فإن بعض قضائنا توجهت إليها لمحات ضمنية لضمائر يقضي قاومت ضغوطا وتهديدات تعرف مدى خطرها وقد تدبره قديرا فاعلاها إلى دورات صنع القرار والأفكار والحوار.

وعلى سبيل المثال فإنه رغم سطوة أصدقاء إسرائيل فإن بعضا من الحقيقة ظنن غير أن قضية الشعب الفلسطيني الذي ألقته من أرضه وأزيع إلى معسكرات وجيوتات مقهورة بالية ثم إنه برغم سلطان ما سمي بجماعة المحافظين الجدد ومعهم مجموعة المستشرقين الجدد فإن حقيقة ما جرى في العراق تكشف ابتداء من غزو وطن عربي وتزريق وبنزور وجهالة القوة وبنزاع مختلفة كما أنها عرفنا أن

# المواطنة الديمقراطية

## في الثقافة العربية



### عنزمى بشارة

■ منذ أن نشر كتاب الموند وفيريا حول الثقافة المدنية عام ١٩٦٣ يتفق الباحثون بدون استثناءات تذكر على اعتبار الثقافة السياسية هي تلك القيم التي تعزز أو تضعف (تدعم أو تقوض) منظومة معينة من المؤسسات السياسية، أو توزيع معين لأنماط التوجهات السياسية والسلوك تجاه النظام السياسي ومركباته المتعددة، والسلوك تجاه دور الذات الإنسانية (الفرد، المواطن) في هذا النظام.

كانت هذه دراسة مهمة في تجريب أدوات البحث الكمي الإحصائي، الجديدة في حينه، في جمع ووصف وتحليل مواقف من قيم وقضايا ومساائل اعتبرها المؤلفان مهمة في تطوير ثقافة مدنية تساعد على ثبات النظام الديمقراطي، وفي تلخيص التوجه بعد عدة سنوات يقول غابرييل الموند إن بحثه يتوضع وسط تقليد يمتد من أفلاطون وأرسطو وحتى مونشكيو وتوكفيل في تعليق أهمية على عناصر ثقافية وأمزجة وعوامل أخرى متعلقة بشخصية الأفراد والأمم، ولا شك أن مفاهيم وأدوات العلوم الاجتماعية الحديثة من نوع الماكرو، سوسيولوجيا من فيبر وبياسونز، مروراً بالنفس الاجتماعية والأنثروبولوجيا الثقافية وعلم الإحصاء، قد لعبت الدور الأساسي في تطور ما يمكن تسميته بنظرية الثقافة السياسية.

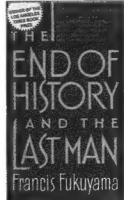
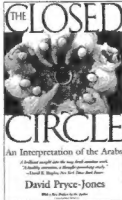
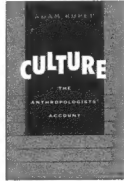
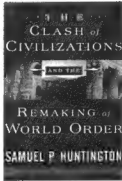
والحالة برمتها ناجمة عن الصدمة من تعثر التفكير التنويري الذي يؤمن بالتقدم عبر التعليم والتطور والعقلنة وغيرها، ومحاولة البحث عن سبب تعثر التنوير في مجتمعات متقدمة تحولت إلى مجتمعات سلطوية شمولية. والصدمة الأهم التي حاول الكتابان أن يحولها إلى تساؤل هي سقوط الديمقراطية في إيطاليا وألمانيا. وقد حاول الكتاب استنباط نظرية من مقارنة الثقافات السياسية بموجب مفاهيم ومعايير محددة بين ألمانيا وإيطاليا من جهة، وبريطانيا والولايات المتحدة، حيث عاش النظام الديمقراطي ونجا من الأزمات، من جهة أخرى، والنظرية متعلقة بالثقافة التي تساند بقاء الديمقراطية وتساعد في تصليها، والحقبة أن أرسطو وتوكفيل ومونشكيو الذين يترشدهم يشتمون تقليداً يأخذ بالاعتبار العلاقة بين -طابع الناس ونوع نظام الحكم، بل يدعى أنهم يستدلون على هذا من ذلك، يقدمون في الواقع وصفاً يكاد يكون انطباعياً لطابع

الناس وتوافق مع التضاريس الطبيعية والمناخ والنظام الاجتماعي.. وعندما يقوم كاتب بطرح علاقة سببية بين الطابع وطبيعة النظام الاجتماعي، فهو في الواقع يعبر عن انطباعات وليس عن نظرية علمية مفترضة يجري فحصها عند مؤلف الفلاسفة. ولا يتوفر هنا من العلم إلا محاولة التفسير العقلاني للنفس من البيئة، وهما كانت المحاولة الطباعية فهي تحاول استبدال الأساطير والحكايات.

وغالباً ما تقتصر نظريات علمية اجتماعية في تفسير طبيعة نظام الحكم أو تقليبه أو غيرها، ولقد طورت آلية مغالطة هي سد الضجرات في التفسير بافتراض علاقة سببية بين ظاهرة وأخرى.. طابع الناس وثقافتهم من جهة، وسلوكهم السياسي من جهة أخرى مثلاً. هنا تهرب إلى داخل الخطاب نظرية أخرى يصعب دحضها أو إثبات صحتها، لكي تسد تقصير النظريات القائمة، وهذه بحد ذاتها مهمة في تطور الفكر العقلاني في تفسير المجتمعات وسلوكها وأنظمتها، ولكنها ليست نظرية علمية يؤخذ بها.

ومن زاوية نظر أخرى يمكن اعتبار هذا التطور جزءاً من تقليد أرساء ماركس فيبر عندما علق أهمية كبرى على ما أسماه هو الأخلاق البروتستانتية في تطور ونشوء البرجوازية ودعم نشوء الاقتصاد الرأسمالي، كتابات ماركس فيبر بهذا الشأن موازية لإنتاج ماركس تفسير نشوء الرأسمالية بصراصة علمية تؤسس لعلم السوسيولوجيا بأفق أوسع من المادية التاريخية، وبمعداً لا يوجد اقتصادي ينكر أهمية الثقافة وأنماط السلوك وأخلاقيته المتعلقة بالعمل كغريضة والربح والأنشطة والتشغف والإنتاج التي تتحول إلى قيم وأعراف في بناء طبقة المياديين الذين لا يربحون من أجل الاستهلاك والمضارة بالظاهر، بل يتجنبون ليستثمروا، ويستثمرون ويعملون ويخلقون، لأن هذا حسن.. ولا أحد ينكر دور كل هذا في نشوء الصناعة والورش الكبيرة، وفي إنتاج الاقتصاد السوق والاقتصاد الرأسمالي، ولكن في الوقت ذاته لا يوجد اقتصادي جدي يرتب قائمة من أنماط السلوك اللازم توفرها لإنتاج الرأسمالية، وهذا لا يوجد عالم اجتماع جدي ينكر أهمية الثقافة السياسية في الديمقراطية، ويفترض ألا يوجد عالم اجتماع جدي يضع قائمة بـمميزات الثقافة السياسية الديمقراطية، فكم بالبحر مميزات الثقافة التي تؤدي سببياً إلى غياب الديمقراطية.

وعلى كل حال لم يدع الكتابان انهما يفسران شباب ظاهرة الديمقراطية، حيث لم تنشأ، ولا ادعيا تفسير نشوئها، حيث نشأت بأدوات نظرية الثقافة السياسية، بل حاولا تفسير ثبات الديمقراطية، حيث





# نقول إن العنف في الشرق الأوسط، وبين العرب في القرنين الأخيرين، بما فيها القرن العشرون، كان أقل بكثير منه في أوروبا في الفترة الزمنية نفسها والتي أسست لقيام الديمقراطية هناك



منحبة الفلاحين الفرنسيين على يد كاتب ولي العهد الفرنسي ١٦٥٨ (منمنمة - المكتبة الوطنية - باريس)

يدعو هوسون إلى استرجاع نظرية، أو للدقة مقاربة، أو زاوية نظر الثقافة السياسية كأداة معدلة في محاولة تفسير والنظم السياسية، وذلك بمفهوم جديد أو معدل لها لا يرضى بالقييمات الفظة واللاتاريخية عن الإسلام والمجتمعات الإسلامية مثلاً. ويرجح هذا التوجه باتجاه البحث عن "ثقافة فرعية"، (Subculture)، ثقافة فرعية، عمودية، وافقية، وكل الاتجاهات بحيث تعالج قضايا عينية. وهذا أي في الحالات العينية الفرعية، لا يجوز إنكار دور الثقافة إذا وضعت في إطار وسباق تاريخي واجتماعي، وخاصة إذا تم تسجيل ومراقبة وتحليل الثقافة في إطار التفاضل بين القوى الاجتماعية المختلفة على الثروة ومصادر القوة، وفي استغلالها وإعادة تشكيلها لأغراض السيطرة، أي أنها دعوة للتعامل مع الثقافة السياسية كعنصر متغير متحرك ومرتبطة بعناصر أخرى. ولكن أهميتها كعنصر كاشف في أنه لا يمكن اختزالها إلى العناصر الأخرى مثل الاقتصاد والمولة، فهو عنصر ألى من بين عناصر أخرى، وليس عنصراً ثانوياً متأثراً فحسب.

وقد ذهب مشككون هوسون الديمقراطيون عرب في الماضي أبعد من ذلك في وصف الثقافة الديمقراطية ككثافة وتكثيف، وبأس في ذلك ماداموا يرون وظيقتهم في التنقيف والتربية والنهن بالقيم الديمقراطية. وهو دوافع وموقف، وهذا لا يقبل بالنظرية حجة لعدم الفعل، ولا يتعلل بانتظار تكامل ثقافة الديمقراطية كمبرر لعدم اتخاذ موقف (أي أن لتشكل)، وإلى أن يعي الناس أهمية الديمقراطية ويتماثلون معها قيمياً، ولكي نصور ما نقصد، نأخذ مثلاً على

للتخصيص الوطنية أو التقدمية أو الفاشية. أما فلسفياً، فيعود هذا التقليد كما أسلفنا إلى افلاطون وتوكفيل وأرسطو ومونتسكيو مع فرق في التشديد على الطبيعة والإقليم والطبائع البشرية وغيرها.

أما إذا بحثنا عن تأسيس إمبري (أو إمبريوى) لفكرة الجماعة، كمحدد لسلوك السياسى، فقد قدمت دراستهما دعماً جديداً لفرضية أن مجموعة عادات وسلوكيات تتميز بالثقافة المتبادلة هي شرط جوهري في تطور الحياة السياسية، والمشاركة الاجتماعية ووجود معارضة موائية، أي تشترك في الولاء للدولة وللكيان الوطني، ولا تتحول معارضتها إلى العمل مع قوى أجنبية، أو الانفصال، أو تقويض أسس الدولة. وكما أسلفنا جويته فكرة الثقافة المدنية، بجملة من الانتقادات والأعراضات المنهجية، وقد تم عملياً تجاوز وتخطى فكرة جمع معلومات وجمع إجابات عن أسئلة في استقامة من أجل فهم الثقافة السياسية لاجتماع. ما عدا في بعض النشاطات التدريبية لطلاب الدراسات العليا، وفي الإحصائيات المعدة لتلشر في الصحف.

ومع موجة التحول الديمقراطي في العقدين الأخيرين، أو التطهير لها من مختلف الأجنات، وانتشار مفهوم المجتمع المدنى من جديد، عادت نظرية الثقافة السياسية لتحتل مكانة أكثر أهمية مما كانت عليه قبل أربعة عقود. ولذلك، وعلى الرغم من نقده القديم لنظرية الثقافة السياسية وبخاصة عند المستشرقين كتفسير لظاهرة الثقافة السياسية في العالم العربى يعود هوسون ليدعو إلى عدم رمى طفل الثقافة السياسية مع مياه الاسترقاق المتسخة.

توجد باعتبار أن العلاقة المدنية عسعر حيوى في الحفاظ عليها. ولكن كما يحصل غالباً في الأكاديمية تم توسيع فصول النظرية لتفسير نشوء الظاهرة وغيرها... وهذا هو الفرق بين النظرية السوسولوجية والقيمية. ونحن نعتبر ما كتبه الموند وفيروا من باب النظريات التى يمكن حضنها وتنفيذها وأخلاف منها، وليس القبيبات التى لا يمكن إثباتها ولا حضنها.

وهي تلخيص بعدما يقارب العتدين على صدور الكتاب يذهب سيدنى هيريا أبعد من ذلك فيمدى، أنى، أى الثقافة السياسية لا تشكل حتى نظرية، بل محاولة لشرح معادلات وتأسيس علاقات يعتبرها مهمة بين المعتقدات ومواقف وقيم الأفراد تجاه نظام سياسى وبني ثابت من النظام واستقراره. ويرى هيريا أن الدراسة تشكل نجاحاً نسبياً في جميع المواد وتصنيفها وتشخيص الثقافة السياسية، ولكنه يقول أيضاً أن تأسيس العلاقة بين الظاهرتين كان شديداً ومتوتراً بعض الشئ، أي أن فرضاً علمياً.

في مثل هذه الحدود يبدو مثل هذا التلخيص يمكن استرجاع محاولة الموند وفيروا محاولة عسكرة من الناحية النظرية. وعلى هذا النقط من التفكير والتأثير تأسست فيما بعد دراسات إحصائية عديدة تجرى في دول كثيرة وتسمى فحوص مؤثر الديمقراطية، وغالباً ما تنشر تقارير دورية. أي تصلح لوقوع بعض التطورات بقود معينة، وربما لتوقع سلوكيات النخائية وغير النخائية، وتندرج برأى من فهم ما يسمى الراى العام مع القيود. هذا تلخيص لحصود هذه المحاولات برأينا. لا يجوز إغفالها جميعاً في سلة المهمات، إضافة إلى ذلك ينبغي فهم أنها زاوية نظر واحدة استاتيكية للظاهرة الاجتماعية السياسية السمة الراى العام. وهي بعدما جرت لفهمها وتفسيرها. لقد وجهت انتقادات كثيرة لهذه المصادرة لمحاولات وضع علاقة سببية واضحة بين الثقافة النخائية والنظام الديمقراطي. وقد وافق المؤلفان لاحقاً على جزء من هذه الانتقادات، وكعهدنا دائماً بالصدانة النظرية، تبدلت النظريات مع تغير درجة الاهتمام، ومع تقلب الأجندة العلمية، وفيما بعد تمسك الاقتصاد السياسى ونظرية الدولة ونظرية التبعية وغيرها نظرية الثقافة السياسية. يقول مايكل هوسون مراراً وتكراراً إلى عودة ثقافة سياسية معينة من أجل تفسير المسألة الديمقراطية، أنه على الرغم من نواهل كتاب الموند وفيروا من (أنه لا توجد علاقة سببية في تطور علم السياسة الأمريكى. فقد شكل تقدماً بائسيه للمحاولات الانطباعية السابقة في الرصد والتقييم السكولوجى

ذلك متقناً عربياً ليس ديمقراطياً ليبرالياً بمفاهيم اليوم، ولكنه يؤكد على القيم والثقافة الديمقراطية بزم فكري وروحى وبيدة ومعرفة لا يتوفر حتى جزء منه لدى منطرى المجتمع المدنى ومنطرى الثقافة الديمقراطية في أيامنا. وهو مالك بن نبى، ويستحدث بن نبى القيم الديمقراطية ليس فقط للتعبئة، وإنما للتحذير من الدساتير الميعة المشوخة نسخاً عن الدساتير الديمقراطية من دون أن يتم العمل بها. يقول مالك بن نبى مثلاً: «فليس في بريطانيا نص دستورى - وهو نص متواضع نسبياً يكفل حقوق الشعب الإنجليزى وحرانيه، بل يكفلها التقنيد البريطانى القديم، وبعبارة أخرى، الروح البريطانى نفسه. إن عملية خلق الديمقراطية ليست إذ مجرد نقل بسيط للسلطات بين فريقين، ملك وشعب مثلاً. بل تكون الشاعرة، والردود العكسية، والموازين التى تكون أساساً ديمقراطية في ضمير شعب، وهى ثقافته. إن الدستور الديمقراطي هو بصوره عامة، نجاح علمية خلق الديمقراطية، وهو لا يعبر تعبيراً صادقاً عن الديمقراطية ما. إلا في حدود الخلق التى تسببه، وماذا يقصد مالك بن نبى بالثعور الديمقراطي أو القيم أو الخلق الديمقراطي؟ يجيب الكاتب قتلاً: إن شعور أوروبا الديمقراطية من النهاية السحرية لحركتى الإصلاح والنهضة. ولكن هذا الثعور، هو في كل علمية خلق ديمقراطى، في أوروبا وخارجها نوع من الحد النفسى، يبدو تحته شعور العبد، كما يبدو قوله شعور الطاغية. إن الديمقراطية على حد ديمقراطى ما هو تأكيد إيجابى بين هذين السلبين...» يقصر مالك بن نبى عملية تشكل الديمقراطية على أوروبا، وهو لا يرى حاجة لنسخ النماذج الديمقراطية، بل يرى أن الخصوصية القاتية إليها. ولكن مع ذلك هناك قيما عامة يصعبها بشكل جميل كقيم الكرامة الديمقراطية، لجال موجب ما بين سلبى العبد والطاغية. ويرأنا أن هذا التشديد على الثقافة الديمقراطية، لا يعتبرها نظرية سوسولوجية أو سياسية هي تشكل ونشوء وإتقاء، من جنبى إلى آخر أى منه على سلم التطور بل يرى بالديمقراطية قيمة لا بد من التعبئة والتنقيف عليها، ولابد أن يتخلل التنقيف والتربية فيها لعل الديمقراطية، وبين التشديد عليها سائلة لغرض تبرير علاقة الديمقراطية، ولكن نسعة وضع الديمقراطية ككثافة في

المقدمة تحولت إلى ما يشبه النظرية مع عمليات الإصلاح والديمقراطية وازدياد التوجه إلى دراسة المجتمع المدني وأهميته وكيفية رصد وتسجيل عناصر ثقافية في دراسة المجتمع المدني، وفي رأينا يمكن اعتبار هذه النزعة الديمقراطية متأخرة تاريخياً قياساً برزح التمييز الديمقراطي عند جبل من الديمقراطيين القوميين والوطنيين وجد من واجبه نشر قيم الديمقراطية عبر تأكيدها في عملية تشكل المواطنة الديمقراطية والتخمس والنسخ والاستيراد الجاهز. فالأخير لا يفشل بل ينقل نقى ولا يكتفى بنسخ الأسماء من دون المسماة بل يمتنع تطوير الثقافة المحلية، والكشف عن أوتيتها (جمع دولة) غير المتعارضة مع الديمقراطية في الثقافة القائمة، ونقاط التنازع الثقافية فيها والثقافة مع تطور الديمقراطية، لدينا هنا موقف ثقافي من الديمقراطية لا يرى عيباً في الثقافة العربية والإسلامية بينما هم في تطوير قيم مواطنة ديمقراطية.

من الضروري تنفيذ ونفي التعميمات حول الخصائص أو الثقافة العربية أو الإسلامية التي ترفع وقد تناقض بينها وبين الديمقراطية، ولكن لا يجوز الاستمرار بأهمية العناصر الثقافية طالما تم التسليم بأنها لا تغير من جوهر تاريخي، بل هي تاريخية، مصنوعة. إلا أن يمكن الاستغناء بصورة قصص النشاز تأكيد الأفراد على الانتماء الثقافي، والإثنى وأسباب تسييس وأسباب نهوض التاريخي، مثلاً بعد فترة من الأفراد والتهميش، بعد أيديولوجية تقييد الطابع، وذلك بفحص وجوه هذه الظواهر وتاريخها في عملية بناء مجتمع أو نظام ديمقراطي، وإعانة نشوء التعددية الحزبية وغير ذلك.

يجوز أن من الضروري دراسة العناصر كما الطواهر المجتمعية، لا أكثر ولا أقل، ولا حاجة إلى تبرير ذلك، الشكليات تكمن في اعتماد الثقافة وحدها أو افتراضها ثابتة ومطلقة بجماعات بشرية مثل صفة يحملونها على نمط العقلي، أما الأخذ بالثقافة السائدة عند فئات اجتماعية في سياقات تاريخية محددة كمعصر في التفسير فلا حاجة إلى تبرير، والتفسير يبقى دولنا ناقصاً، كما أنه من الضروري أخذها بالاعتبار عند التخطيط السياسي والمجتمع لعملية التحول الديمقراطي. ولا يجوز إهمال مثل هذه الظواهر وأهميتها، فلا يمكن شرح ظواهر مثل الأصولية الإسلامية مثلاً من دون أخذ عناصر الثقافة السياسية وتغير المعتقدات الفرعية وإمطار السلوك السياسي بين الحريف والدينية والمجتمع الجماهيري وتفسير أنماط التعددية تبعاً لذلك، وهذه بالطبع هي نظرية في الثقافة السياسية لمختصات، بل لتقبل بوجود ثقافات مختلفة متعددة ومتغيرة في كل مجتمع.

ولكنها ترى أنه لا يمكن الاستغناء عنها في عملية تفسير نشوء وتعمل أو تعطيل الديمقراطية مثلاً. والحقيقة، وعلى الرغم من أننا نرى إشكالية وضع الثقافة كحيز قائم بذاته يدعم أو يعيق التحول السياسي إلى نظام ديمقراطي، إلا أننا لا نرى مشكلة في البحث عن الثقافة السياسية الداعمة للديمقراطية أو لنهزمنا عن الأنظمة السياسية، المشكلة هي فقط في دور مكانة الثقافة السياسية الداعمة وهل هي سبب أم نتيجة، أم كلاهما؟ والمشكلة الثانية كما أسلفنا هي تحويل مركبات حضارية وتقاليد وإراث ثقافي وغيره إلى ثقافة سياسية واعتبارها كياناً ثابتاً أصلياً تعبيراً عنه هو فكرة العقلية (Mentality)، أو الثقافة كما يستخدمها كل من هانتستون وبرزاند لويش. وهي برائياً فكرة عنصرية تجعل من الثقافة كياناً لا تاريخياً يحل محل العرق أو المعصر في الفكر المعاصر، مع الفارق أنه أكثر قبولاً وحدانية عندما يدعم بنوع من العلوم والمشاهدات الأثريولوجية أو الاستثنائية أو غيرها، هذا، ولقد هنا التفكير أن نظرين غير هذا، فمثلاً في نظرية الأعراق والفرد وروجر في كتاب أسطورة العرق المعاصر، وهم من مصداق النظرية العنصرية. لا يكتفون بل حاولوا تقديم شواهد تجريبية وتاريخية على صحة النظرية العرقية وتأثير العرق، وعلى الثقافة والسياسة والأخلاق.

هذا مثلاً على العقلي أو الثقافة بالهزم المعنصر من يدعي أن العنف السياسي هو مركب ثابت من مركبات الثقافة السياسية العربية ناجم عن عقلية القبلية مثلاً، ويتمظهر في الدولة العربية كنوع من التعبير عن جذية نوايا صنع «العنف هو مركب جوهري في عملية صنع القرار، إنه دليل على جذية النوايا، والتعبير عن السبر قديماً من أجل مصلحة المجموع». وكان الحاكم أو الدولة في العرب لا تحتاج إلى العنف لتعبير عن التخصيم والهمز، ولا تنشئ سلسلة الكتب والدراسات التي تتحدث عن «العقل العربي»، أو الشخصية السلطوية، العربية كأنها جواهر قائمة بذاتها.

غالباً ما تم مراقبة النظام السلطوي أو الشمولي في الغرب وعملية تشكله التاريخي ويتم إسقاط صفاته ومكوناته هذه على سياق تاريخي آخر في الشرق. ولكن عندما يعتبر نوعاً من العقلي، وهذا يعني أن ما هو ناشئ تاريخياً، وبالتالي أيضاً زائل تاريخياً في الغرب، هو جوهري في الشرق.

الكارثة هنا هي الخلط بين ميزان أي نظام سلطوي في الغرب كما في الشرق وبين مراقبته في الشرق واعتباره ثقافة محلية. ونحن لا نرفض هذا الادعاء نظرياً

فقط، وإنما نقول إن العنف في الشرق الأوسط، أو بين العرب في القرنين الأخيرين، وإنما فيها العنصر، كان أقل بكثير منه في أوروبا في الفترة الزمنية نفسها، والتي أسست لثقافة الديمقراطية هناك، ولا يصحح باق حدى على أن يتحدث عن العنف في أوروبا كشافة سياسية ملازمة لها. والتقاليد القبلية نفسها التي يدعي كاتب مثل دافيد برايس جوز أن عتقة يمكن أن ينظر إليها هي سياقات اجتماعية تاريخية بالعكس كأدوات وضوابط اجتماعية ضد عنف من النوع الذي انفلت في أوروبا مكرراً بعد التحديث، كما هي حالة النازية والفاشية والستالينية وغيرها.

فمثلاً من الواضح الجلي أن التعددية القبلية والعنصرية كجوانح اجتماعية وثقافة مرتبطة بها، ليست ديمقراطية، ولكنها بالتاكيد من معوقات تطور نظام سياسي شمولي من نوع الفاشية والنازية والشيوعية. فمثلاً عند الأنظمة تحاول خلق تجانس أيديولوجي وهيمنة تفرض علاقة مباشرة بين الحرب والفرد، وبين الدولة والفرد كقدر مرن، كما أنها لا تسمح أن توازنه أية قوة اجتماعية تحول بينها وبين الفرد. وقد فصل الهيمنة السلطوية على الأفراد ضد محاولات تأسيس دين جديد في الأنظمة الشمولية هذه، ولكنها بشكل عام تحتاج إلى استمرار كم هائل من العنف للإرهاب والتخويف في عملية تقويم وهندسة المجتمع وإنتاج الإنسان الجديد كما تدعى.

غالباً ما يبدأ هذا الثقافة السياسية العربية بنقد ثقافة وعلاقات القرابة القبلية كتنقيص للعلاقات الحرة والطوعية التي على أساسها تقوم المؤسسات الديمقراطية وفكرة الفرد الحر الإزادة للقيام بمصلحة تعاقده. حسناً، لقد تنقضي عظمى التاريخ بين الجماعات العنصرية والمجتمع، والقبائل بهذا المعنى كانت قائمة في مناطق مجتمعات كثيرة قبل الحداد، ولا حتى تصبح ديمقراطية، ونقول هذه العلاقات كانت تاريخي يمتع تطور الديمقراطية عندما تنقهر عوامل أخرى، وتظهر الإزادة السياسية هو من باب البحث عن مخارج للتفسير، غياب الديمقراطية، في مثل هذه الحالة نحن أمام غيبات، واعتبر تخصص صفات القبلية كحائل ضد الفردية ضد قيام الاتحادات الطوعية والتعاقدية تنقيصاً لديمقراطية، فهو يتحول إلى موقف أيديولوجي غار، إلا أنه ليس نموذجاً لنشوء الديمقراطية، ولكن يمكن تحقيق تحول ديمقراطي في مجتمعات ودول كنده قبل تغير الثقافة، فوجودها ليس غيب الديمقراطية، ولكن هذا النقد غير المشروع لهذه البنية كأنها شأن مميز للغرب، يتحول إلى نقد مشروع ليس لعامل تاريخي يمنعه

التحول أو يستخدم لتبرير عدم التحول الديمقراطي، بل فقط لإدبات عملية مقترمة، وإذا بدأت نخب سياسية بالقبول باستمرار علاقات العنصرية لتحقيق تبعية سياسية بدل الأحزاب مثلاً، أو إذا استبدلت التعددية السياسية بتعددية عشائرية أو طائفية، هنا تصبح هذه الثقافة واستمرارها من قبل نخب سياسية عتاقاً أمام تطور عملية إقامة المؤسسات وصنع القرار والمهنية وغير ذلك، وهذا نقد ديمقراطي مشروع للثقافة السياسية القبلية السائدة، بل يصلح هذا النقد كموقف وبرنامج وربما كراية نضال ديمقراطي ضد عوائل القصور الديمقراطية ضد تفرقه من مصمونه في العديد من البلدان.

وهذا النقد الثقافي المشروع هو في الواقع، أولاً نقد سوسولوجي وليس نقداً ثقافياً بالحق السبيل للشمولية، فسلوك النخب السياسية الحديثة العقلانية والدستورية والفاوض، بل الديمقراطية أحياناً، يحمل واسب سوسولوجية تشكل وجهه الخفي الظلم، أو لا يعيها السياسي، أو حتى أداة تستثمر بشكل برمائي لبناء الولاء والحفاظ على في علاقة الزبونية والاستئصال، وهي الشمعة، المستبد، أو «الزيم والهدام»، أو «التنازع والتبوع، ولا شك أنه حتى النخب الحديثة بما فيها بذات اللون العربي ومسوسوها قد لجأوا إلى هذا النوع من الولاءات في حالة الأزمات، أو بعد مرحلة الاستئصال، بعد عقود على تأسيس دولة بما استقام بشكل حديث نجد أن التبعيات تتم جهوياً أو غالباً أو طائفيين، ويتم أحياناً تحويل المخرين والموازين من مرحلة التأسيس، مثل إعفاء مجلس الثورة، أو مؤسس الحزب إلى ما يشبه قبيلة المخرين بحيث يحل في مثل هذه الأطار الولاء الشخصي للرئيس محل الكفاءة أو الخلقية أو الأخلاقية والأدبية والخبرة المطلوبة وغير ذلك، ولا ينبغي هذا الوضع صفة الحداد، لا حتى التبعوية عن بعض النخب بل يثبت أنها حصلت منها واسب وعلاقات اجتماعية بل هي عملية نشئة بنسبة غالبية أوروبية، وهذه تشعل وتصبح ذات تأثير رقابة لتفتيد لأن النظام مركزي زبوني تتصور حول شخصية «الزعيم والقرارات»، «الزعيم القائد»، «الأخ القائد»، أو «الرئيس القائد»، أو «الزعيم الملهم»، وبعض النظر عن حسن نوايا هذا الأخير والنخب المؤسسة أو سونها، نجد أن نظام الولاءات إلى مثل المؤسسات أو البشر فيها بالتدرج، بل يصبح في مرحلة الانحطاط الأدبية المتعلق هو الطريق إلى الجاه والجاه هو الطريق إلى المال، في نظام يخره الضاد والاستبداد، كأننا لم نغادر مرحلة الانحطاط الفخفونية.

ليس هذا النقد أخلاقياً أو ثقافياً،

الخاص. ولكن هذا لا يكفي إذ لا يلتزم  
تبدأ عملية إعادة رسم حدود تدريجية بين  
الحزبين الحاكمين لتشكيل تدخل الحضور  
الديمقراطية وسيادة القانون في الحيز  
الخاص. وفي اعتبار الديمقراطية تبدأ  
هناك، وبذلك تحصيل الثقافة الديمقراطية  
داخل العائلة وغيرها ما لا يحمل  
الفصل بين الحيز الخاص والعام لا  
يقطع أهمية عن الفصل بين الفرد والجماعة  
المقصودة، إذ مكن الفصل الأخير من تصور  
مجتمع متعاقد، ومن تصور فصل الدين  
عن الدولة وتصور مؤسسات ومراقف الناس  
تهم المجتمع ككل في الوقت ذاته. هذه  
شروط مهمة. وفي تعني أن عملية التحول  
الديمقراطية غالباً ما لا تغير بعض  
الجوانب في "الدينية"، والبشرى، مثل  
إلى الدين والثقافة وغيرها، وما يمكن تدفعها  
إلى الحيز الخاص، فلا تحصى بذلك  
الخصوصية فقط من تدخل المجتمع، بل  
تحمي المجتمع منها وفرضها، إذ أصبح  
تصميم.



مركزه الحواريات. وآخر لقرون ١٥ (مجموعة من حوليه بنجر . بكنته ترضيه ندر)

منذ ماركس هوبر ومحاولة إعادة إنتاج  
مفولة الأخلاق الإيروستاتية كقاعدة  
لتطور الرأسمالية في أوروبا تعددت المدارس  
السوسيولوجية التي تعقد مسألة الثقافة  
كعقيدة سياسية استشرت لتطور  
الديمقراطية خارج أوروبا من منطق أن  
الأيديولوجيا بامتياز تحلق شروطها التاريخية  
الثقافية، ولذلك ومعنى ما تحولت  
الظروف التاريخية نشوء الرأسمالية في  
أوروبا إلى شروط تاريخية- وكان  
الديمقراطية سوف تظهر. وتولّد. وتنبأ  
في جديد في كل مرة. حاولت هذه المدارس،  
وبحارول اتساعها في الحداثة أصبحت تعقّد  
انماط السلوك الاقتصادي والتجاري تعقّد  
أو تعمق التقدم، عند ذلك تواتر بارسونز في  
نظريات التحديث وفي الأثرين بولجيا  
التي طرقت من عند هارلوك بواز وعند  
مارجريت ميد ورون بنديكت. وأيضا في  
الانقلاب إلى أحدثته الفلسفة السلوكية  
(Behaviorism) في الخمسينيات  
والستينيات. بعدها تأتي التفسيرات  
الصحيحة أو سبغى نطاق معقول نظريات  
جابريل ألونس وسيدني ميلر المكشورة  
حول ظهور عدم ركون ثقافة مدنية مساندة  
للمدعراطية عند إطلاق تفسير المكون  
وغيره من تشكيل تلك انماط سلوكية  
سياسية. واقترضا أن بناء الديمقراطية  
وإعادة إنتاجها يلزمه من بينها نمط  
المشاركة التي يقيمت درجته وأشكاله من  
مقارنة حمى تجارب في إيطاليا وألمانيا  
وبريطانيا والمكسيك والأليات المتحدة.  
لصد اتجّ الخواص الأخير مضموناً من  
الثقافة السياسية اضحى واسع التأثير كما  
أسفدنا من ذلك في دولتي سياسية.  
ولقد رفض ميكو، والفرغاني  
المردي، في العلو الاجتماعي عموم  
القولان من تأثير الثقافة في  
بطام الحكم السائد.

السياسية تعيش في عالم آخر غير الحيز الخاص، إلا أن القناصل في الدول الديمقراطية تدخل متأخراً وبعد انتهاء هي تنظيم العلاقات ومعمرتها داخل الأحزاب ذاتها، ويبدو ذلك غريباً وخاصةً ولا أحد يحجره على إبقاء فيها، مع ذلك تدخل القناصل في عملية إدارتها باعتبارها جزءاً عاماً، يأبى اعتبارها جزءاً للمجتمع وللنظام الديمقراطي، ولكنه تدخل متأخراً وبعد تردد حقيقى ومنافسات فكرية وإقنونية مستمصة طيلة عقود، وكما يبدو لا يرى المظنون العرب وغير العرب أن يقطنوا أهمية كبرى على السلوك المهنى والثقافة السياسية هذا الفصل التاريخى من الحيز الخاص والعالم الذى مكّن من تطور الديمقراطية في العرب، ثم رسم هذا الحدود في كل مرة من جديد، ويتعلق هذا الأمر بالثقافة كما بآى قطاع آخر. فدمقرطة العلاقات السارية وقهها ثم عربى شرطاً لتطور الديمقراطية في العرب، بل ناعكس، رز العلاقات البربرية من الأسرة أولاً كشرط للديمقراطية والثقافة الديمقراطية، بل سمحت الديمقراطية بموارثتها ومكافحتها في المجتمع ثم في الأسرة.

تتمنى الديمقراطية تنظيم العلاقات الديمقراطية داخل الحيز العام أولاً، وهى تقدر الفصل بين الحيز العام والحيز الخاص، التصرر الإزاعية في استعدادها وإجابهى ثقافة المجتمع وتشريعاته للديمقراطية وهذا الفصل الذى يقلل من وزن الخصم المتأخر، هو أن يحص بمصه في الخصم

لتشديد على التعمدية الحزبية والصكرية في إطار الرأسمالية القومية على عملية بناء الأمة في العالم العربي مع من مطاحراً تتعامل سطحية ولا ميالة مع مسألة التعمدية السياسية عند التدخل العرسي شأن الديمقراطية في البلدان العربية، وأن أهم مميزات السياسة العربية الحالية ضد عروبة الدولة العربية ومجتمعها.

الأمر نفسه ينطبق على مهرب آخر من التفسير النظري من نوع تحميل العلاقات السلطوية البطركية داخل العائلة مثلاً. مسئولية انحياز ثقافة القيم الديمقراطية والحقيقة إلى بناء الديمقراطية في التاريخ كانوا عموماً شخصيات سلطوية داخل عائلاتهم. ولم يتناقض سلوكهم السلطوي في الحيز الخاص مع دوافعهم الناشئة تاريخياً، الشويرة أو الإصلاحية. بناء فضاء عربي لعمية الديمقراطية في الحيز العام، ويتشكل خاص في الدولة، وسيادة القانون واستقلال القضاء وغيره.

لقد تم منح حق الاقتراع وتوسيع الحقوق لتشمل المرأة مثلاً على مراحل في العرب بدءاً

والأهم من ذلك أن «دمقرطة» العلاقات الأسرية مثلاً ودخول القانون إلى الحيز الخاصة تنظم العلاقات لا الدواي نفسها التي تشكل عناصر مؤلمة للنظام مثل العائلة. فعلاً بدء تضال طويل داخل الدولة الديمقراطية ابتدأ منذ مفهوم سيادة القانون بالتوسع اجتماعياً في العلاقات الأسرية من نوع المساواة داخل العائلة ووقف النزعة التسلسلية الأبوية والصنف الأسري ضد المرأة والأطفال. وعلى الرغم من أن الأحزاب

وحيث نجده مؤخرًا تحليل سوسيولوجي معيد لمنشأ الطب العربي الحاكم في عديد لحاصصة يتجاوز النبد والمصراع والشمث والتخوين في دول عربية وهو يبرز المناقضات الهائلة بين الثقافة المعنوية والتعارف المعلى وحتى الممارسة القانونية والاجتماعية والحقبة للنظام كما في محله الاحوال الشخصية التونسية، وهو فحصر عملية التحديث التي يطامق في تونس مثلاً من جهة، وبين السلوك السياسي البطريركي الأيوبي الجديد الذي يقيم ساء المساسات على أساس المصوغ الواسع والجمع العنصري والكماء والوطنية والإخلاص للدولة، ويستبدلها بملازمة التبعية الشخصية للحاكم على أنواعه في القرائن وقبضة الولاء عنوع من القرابة، التي يمكن جمعها كلها تحت عنوان العنصرية السياسية من جهة أخرى.

وثانيًا: نقد الفاشلانية السياسية إلى وحاول الفاشل الديمقراطي في بنية النظام غير الديمقراطي الداخلية، بل في حالة الانتعاش والتعديدية، وحاول الفاشل السياسي إلى وحداث سياسية متناهسة هو نقد مطلوب في لنا صفة القتل مع هذا النوع من النقد الذي يجد الفاشل الديمقراطي نفسه بحاجة يومية إليه في كل بلد عربي. إن تحول التعددية الديمقراطية هو الانشراح السياسي إلى تعددية تعتمد كل وحدة في نظام الولايات العنصرية على أساس الالتقاء الهجوي أو الطائفي أو العشائري هو من الأليات التي تضرع كل إصلاح سياسي من المضمون الديمقراطي.

والخاتمة الكبرى إن ركوس التعددية العنصرية كانها تعددية سياسية بدنية

في هذه الحالة، فإننا نرى أن المجتمع قد أصبح أكثر تنوعاً، وأن الأفراد قد أصبحوا أكثر وعياً بحقوقهم وواجباتهم. وهذا يعني أن المجتمع قد أصبح أكثر ديمقراطية، وأن الأفراد قد أصبحوا أكثر مشاركة في الشؤون العامة. وهذا هو الهدف من الديمقراطية، وهو الهدف من كل إصلاح اجتماعي.

لم يعد العالم بموجب الحائزين  
التيارات التي ينتمي إليها المستحقون  
سوى بموجب الأخطاء الاقتصادية. بل  
موجب الثقافة والحضارة. وعند تعريفه  
للعضارة عند الكاتب نفسه مستخدماً  
التيارات مختلفة بالهوية، (العضارة هي  
على تجمع ثقافي للناس وأوسع مستوى  
للحوسنة الحضارية عند تلك التي تعزى  
لجنس البشري عن بقية الأنواع. وهي  
فيها عناصر مشتركة مرسوعة مثل  
اللغة، والمناخ، والدين، والعادات،  
الأماسات، ويتشابه على تلك الأفراد ذات  
توجد عند الناس مستويات للهوية. وقد  
لحارة الإنسان لها درجات مختلفة من  
التأكيد والتشديد (رومانى، إيطالى،  
كانتولوكى، ميسجى، أفروسي، غرسى)  
العضارة التي ينتمي إليها يأخذها  
لحارة تمام من تلك الهوية التي ينتمى  
بمها بشدة. يعرف الناس ويعيدون تعريف  
هوياتهم، ولذلك أنها أكثر تشعب  
العضارة. وكذلك الهوية إذا عند  
ها المستحقون تصادم كل شيء تقريباً. وهو  
يفرض على استخدام التعابير، ناهى.  
واشعاً. وهوية. لدينا هنا أحد البنى  
سياسات الهوية التي تهتم بها الأصوليات  
على أوعاها. ويتهم بها القويون على  
الاعلى. على الباحث الآن ليسى لحطة  
الانتظار الأكثر مهيكلت لسياسات  
الهوية يوجد هي معاد مهيكل الأكاديمية  
العربية لها هي الولايات المتحدة.

[illegible]

في الأنثروبولوجيا، ثم في العلوم السياسية استخدموا مفاهيم متعددة ومركبة للثقافة وكانوا مستعدين للتمثلات التي يعرض من إمكانات الظواهر التحليلية التي تقصص درجة التماسك، السيميائية (Semiotic Coherence) لجموعة بشرية محددة. ثم تعد الثقافة ما هي مجموعة بشرية محددة، بل سؤال ما هي جموعة، وما زال معظم علماء السياسة يثابرون عند الثقافة وأنها مجموعة صفات ثابتة عند جماعة بشرية ويظلون من فهم تاريخية هذه الصفات وتوحيدها وتبديلها وتطورها بما هي عملية إعادة إنتاج الهني عند الجموعة. كان من المألوف أن تجد في دراسات الحكم في إسبانيا والبرتغال في أوروبا والعالمية السابعة من بلدان أمريكا اللاتينية الحكم في إسبانيا والبرتغال في أوروبا والعالمية السابعة من بلدان أمريكا اللاتينية إلى أنظمة حكم ديكتاتورية مرتبط النظام بانتظام غالبية سكانها للتمذهب الكاثوليكي التي يتفرض عن مذهب يتناقض مع الديمقراطية. لا بد أنه لو أثار احد ممثل مثل هذه الفكرة في أيما الأصبح محط سخرية جماعية. ولكن ما يقابله من حديث شائع، حتى بين مسلمين، عن علاقة الإسلام بالديمقراطية والتخلف...

إلى هذا النموذج أخيراً، يستمر هانتجتون، أي إلى الممارس التي تقصر سياسة والنظم السياسية بالثقافة، وبخاصة في مثالة صراع الحضارات، من أواخر ١٩٩٣ الذي تحول إلى كتاب «صراع الحضارات وصناعة النظام العالمي الجديد»، من عام ١٩٩٦. ما نفع بعد لا يحصل من الأدبيات التي كتبها هو وتلامذته، والتي تزامن نشرها مع أزيد من صعود القوى المحافظة الجديدة في السياسة والثقافة السياسية السائدة في واشنطن، الثقافة ذات هانتجتون التي ليست هي صراع النظم أو الاقتصادية ولا هي صراع أيديولوجي يصير من الأول، ويرباني أن

نفسها لتصنيفيهما. وهنا ترى تطهر كينيتها  
شاعية لا واعية تتدخل ضد الثقافة  
الواعية لهذا. ولهذا الغرض يعرف  
عوكوياما الثقافة كما يلي: «أعراف وعبادات  
الغالبية من ثروات المجتمعات التقليدية،  
ومع أنها متغيرة بالمسوحات الثلاثة  
الأخرى إلا أنها الأبطأ في التغير».  
ويشمل هذا المستوى القديم والعبادات  
والتقاليد وبنية السلطة والقيم السائدة.  
وهو إذ يعمل بها إعادة التحول يرفض  
ويستند أهدافه أنشئت أن تكون  
الكونفوشيوسية تحديدًا بشكل ملائمًا  
لذا النوع. ومع أنه يؤكد الجدا والمهني، ولا  
يختلف معه في حالة الإسلام. ولكنه يرى  
أن الإسلام، خطر مهدي، ويبدل معنى  
وليس خطراً على الصعيد العالمي لهذا  
النسب المعاصرة كمنهج: د. الإسلام،  
ليس بديلاً عالمياً معطوياً كنظام مثل  
الشيوعية.

تحاول ليزا واين استيعاب مفهوم أكل  
نقدية للشقاكة كسلبية، صنع المعنى،  
وتحاول واين الثقافة هنا إلى معارسة بدني  
أن تكون مجموعة صفات متشابهة. إن  
معارسة سيميائية تجعل العمل الذاتي  
نعيش فيه مفهوما، مع أنها معارسات في  
ظروف وجود محقق، ولكنها تحصل  
خبرات، وحسن تفهمها أن مفهومها هي  
يساهم في فهم السياسة، ويمكن علماء  
السياسة من ربط هذه الروابط السيميائية  
والبحت من الألف، دراسة عملية (إنتاج  
المعنى) تتخصص تحليل العلاقات بين  
معارسة الكولادة الاجتماعية (Agents)  
(من نوع الذاكرة، الداتية، انماط الترفيه،  
عادات العمل...) ووطنية انظموطات  
النضائية (التصوُّع) أو اللغة كاتسمة  
رمزية، الظلمة الرموز السيميائية  
(Semiotic) ماكلت أو اللغة كملات لا  
تفكيها.

تقدم ليذا وادين تعريفات التفاهة التي ورثها علماء السياسة عن جيتر رغم اجارات الأخير. وبخاصة في تحديد لاهمية الرموز في عملية إنتاج المعنى للأفراد. وتدعي الكاتبة أن «الحرثيين»

ماعتبارها إما بديهية تشرع ذاتها أو نظرية  
أيا كان مصيرها، ولكن آخرين لجأوا إلى  
ماعتبارها تفصيلاً، وليسوا مستأسلين إلا اختلاف  
التفسير لكل أحزاب في جادة النظرية، أو  
تبرير كل خطأ في التوقع أو التنبؤ حول  
أول عدم نشوء الديمقراطية وغيره  
التبذرات التي لم يمكنه تصبير  
خطئها فهو له لعاشل الثقافة، وكان علم  
المنافسة أو الحاشطلى الموجود لدى  
النظرية عند إصابته بتقصير في التصبير،  
ويؤكد كالتج، الثقافة السياسية، معجماً  
لكل نظرية عاجزة عن تصبير ظواهر مثل  
عدم تمكن مجتمعات معينة من الانتقال  
إلى الديمقراطية، اجتماع تلك الثقافة منجاً  
يستقل النظريات الهزومة حول عياب  
الديمقراطية عندما تعجز عن تفسير النظريات  
الاقتصادية والاجتماعية عن شرح عيائها،  
وقد أشار فوكوياما إلى أن انتشار  
الديمقراطى الديمقراطى الليبرالى قد  
عالمياً على مستوى الوعى البشرى وهو  
يؤكد انه على مستوى الوعى لا يوجد  
تفرد قادر على التناقص مع الديمقراطية  
الليبرالية كعبار كيمى وكبار عقلانى  
على المستوى الذى يسميه فوكوياما  
لستوى الابدئولوجى، ويتابع فوكوياما انه  
لا يبدو أن هناك منافسة على مستوى  
المؤسسات الديمقراطية كذلك، لا يوجد  
ينظر نموذج على أطرح كسديل له  
ويذكر فوكوياما أن المشكلة تكمن فى  
مستويين أساسين وأولهما تطورهما على  
الجدى، استقى الاقنم من الذى يصنع  
التحول الديمقراطى ويؤخره، أى يحمله  
المستوى حيث لا تتناقص بعد الامناع إلى  
على الانتصار به كناية المتشور في العام  
١٩٩٢، نهاية التاريخ والإنسان الأخير، وهو  
م يسميه فوكوياما المستوى الثقافى الذى  
يؤثر على المجتمع البشرى.

ولا ندري إذا كان هوكوييا يلاحظ أن هذا التوجه القوي العميق المزمع ينشئ منه في حيد عشقه يقهره الأفعالي على الخيار الواسع (الذي انصهر فيه الديمقراطية كما اسلمنا) وعلى المؤسسات (وهيها) أيضا انصهر الديمقراطية الليبرالية) مستوى الابد، والواسع في التحليل النفسي عند فرويد، هؤلاء الظنور يسقون الشعوب حركة الشارع من دون أن يدروا كما يقسم فرويد الشغور البشرية ليس سر لها الضاد، ويبدو أنه كتب في نقد فرويد، وماركس أن تلاحقهم لعنة تقليدها عنيد يريسون ربط علاقة موجبة بين سبب ونتيجة، وبين عابر رئيسي لثقوى، ان يصرفوا إلى غير راعية وباطنية تعمل عليها في تحديد الوعي والمؤسسات في حلف ظهور الأفرار عند ماركس، وفي لاوميين عند فرويد، وهي في الحالتيه نبتة تتجود مسيحية أو الضامدية، وماهما متصور، بعد أن يدور، على الأقل الضام

مع موجة التحول الديمقراطي في  
العقدين الأخيرين، أو التناظر لها من مختلف  
الأجندات، وانتشار مفهوم المجتمع المدني من جديد  
عادت نظرية الثقافة السياسية تحتل مكانة  
أكثر أهمية مما كانت عليه قبل أربعة عقود





# الاقترب من الإسلام

هانز كونج



■ ■ ■ لقد أصبحت الخيارات واضحة. تناحر بين الأديان، وصراع بين الحضارات، وحرب بين الأمم؛ أو: حوار بين الثقافات وسلام بين الأديان سعيًا نحو سلام بين الشعوب، إلا يجدر بنا أن نواجه الحظر المدمر المحدث للإنسانية بأن نهدم جدران التمسك حجبًا بعد جدران نبني جسور الحوار بها في ذلك جسورًا مع الإسلام بدلًا من أن نقيم مزيدًا من عوائق الكراهية والانتقام والعداة؟

كان الجدل العالي الذي تار بشأن نشر الرسوم الدانماركية المسيئة للرسول ٢٠٠٦ ذاتها اضافيًا لثقت النظر لأهمية التعريف بالإسلام ورسم خرائطه العقيدية والحضارية.

إن اقترابًا موضوعيًا، عادلًا، ومشفها للإسلام هو اقتراب ممكن، بعيدا عن الاستقطاب والتهميش العاطفي لتبني مواقف حاوية. ولا شك أن المناقشة المتوازنة للأسباب العميقة للتوتر، واقتراح حلول مائة لحل المشكلات العظيمة والعميقة قد بات ضروريا.

## ضد أطروحة صراع الحضارات،

لا سلام عالميا دون سلام بين الأديان. هذه هي النتيجة التي توصلت إليها بعد سلسلة من الحوارات والمحاضرات حول المسيحية والإسلام نظمها في جامعة توبنجن ١٩٨٢. ولقد كتبت كتابا بالتعريف بالأديان لأنني وجدت لها مهمة جلييلة وملحة. فكتبت كتاب «اليهودية» ١٩٩١، وكتاب «المسيحية» ١٩٩٤. وهذا العام نشرت كتاب «الإسلام» باللغة الإنجليزية في سترزغم. وقد بدأت الكتاب الأخير بحطة أجدها الصالح تشجيع الرضى العالي واللازم لقاء الإنسانية. وهي أنه لا سلام بين الشعوب دون سلام بين الأديان ولا سلام بين الأديان دون حوار بين الأديان. ولا حوار بين الأديان دون بحث في أصول وقواعد الأديان في عام ١٩٩٢، رسم المختصر السياسي الأمريكي هامبولت هنتنغتون ملاحم حلة

من كتاب:

Islam  
Past, Present, & Future  
(الإسلام: الماضي، الحاضر والمستقبل)

Hans Kung  
Translated by John Bowden  
The American University in  
Cairo Press

ترجمة هة زعوف

مصادرة. في البداية يشكل حذر في صيغة سؤال، لكن لاحقاً كإطار مرجعي لسياسة الخارجية الأمريكية، ألا وهي الصراع بين الحضارات.

هل الحركة بين الحضارات هي سيناريو على لا يمكن تخياله؟ لقد كان هنتنغتون، وهو مستشار لبيتناجور، غير متشغل بدنياميات كل ثقافة وأوجه التنوع بداخلها، بل ربما لا يعرف إلا القليل من الارتباطات التاريخية بين الأديان والشعافات، والتحاولات السلسة، والتلاحق الخصب والتعايش السلمي. كل ما توقعه هو صراع خطير بين «الغرب» و«الإسلام». وفي هذا الاتحاد سعى لتوفير حجج أيديولوجية - بعد نهاية الحرب الباردة- لتعيد أن صورة الإسلام كعدو ستحل محل الشيوعية ولا أدري هل كان ذلك من قصد أم لا لكن هذه الأطروحة مهدت لحروب تالية.

في ١٩٩٢، وقبل نشر مقال هنتنغتون في مجلة الشؤون الدولية بعام، مباشرة بعد نهاية حرب العراق الأولى في عهد بوش الأب، ولقد كامل قبل الحرب الثانية، بدأ فريق من المثقفين والسياسيين - المحافظين الجدد - في تهينة الأجواء أيديولوجيا لحرب وهابية لتأمين احتياطات نظمية للولايات المتحدة، ويسمى «الهيئة الأمريكية وأناس إسرائيل وبعد انتخاب بوش الابن ١٩٩٩ بدأ رسم الخطط المفصلة للحرب، وتم توظيف المديحة غير المسيحية في أحداث الحادي عشر من سبتمبر واتحادا كمبرر لشن حرب على افغانستان والتهديد بأخرى على العراق التي لم تكن لها ناقة ولا جمل في الأحداث. ولم تتمكن الولايات المتحدة من الحصول على دعم مجلس الأمن، فما كان منها إلا أن شنت حربا عسكرية كثيفة على العراق بعد حملة دعائية كاذبة عن أسباب الحرب وبمخالفة قواعد القانون الدولي وضد احتجاج الرأي العام العالمي، وبدعم لا مبرر له من ريططاني بقيادة توني بليز. وفي حرب بدأ مع الأيام وكأنها كسبتها.

لكن بدلا من الانتصار على الإرهاب في افغانستان والشرق الأوسط، والعالم فقد انتشر الإرهاب أكثر. في أحداث ٩/١١ والقرار البيصاء والرياض وإسطنبول. وفي مدريد ١١ مارس ٢٠٠٤ تمت أول مذبحة بعد الحادي عشر من سبتمبر على الأرض الأوروبية. وقد أدى هذا الهجوم إلى سقوط الحكومة الأسبانية -التي شاركت في تحالف حرب العراق- قس الانتخابات التي حرت بعد الهجوم بيومين. وحتى بالنسبة للدول الأوروبية التي لم تشارك في الحرب على العراق فإن هجوم مدريد كان مؤشرا على تصاعد درامي للوضع الدولي المتأزم.

إن حربيين شنتا على دولتين

حين أكتب وأنا غير مسلم عن الإسلام فإن كتابتي هي تعبير عن الأمل في ألا يضعف الإسلام أو يختفى. بل أن يتجدد من داخله. إنني أكتب وأنا مستوعب جدليات الاستنارة لأراهن على تجديد الإسلام



إسلاميتي، ما لإصافة لسياسات التكيد بمقاييل التي مارستها القوى القومية لصالح إسرائيل وسياساتها الاستيطانية عبر عقود والتي تتجسد كل فترات الأمم المتحدة في انخساف العصب في العالم الإسلامي بأسره وزادت من مرارة المكتومة وزادت مواقف تشددا وبدا وكأن الصراع بين الحضارات نبوءة تحققت وأثبتت صحتها إننا بلا شك في مرحلة صعبة لكنها مصلية في إعادة صياغة العلاقات الدولية بين العرب والإسلام وبين الأدبيات الإبراهيمية الثلاثة. اليهودية والمسيحية والإسلام.

لقد أصبحت الخيارات واضمة: نأخر بين الأدبيات، وصراع بين الحضارات، حرب بين الأمم : أو حوار بين الثقافات ومسلم بين الأدبيات سعيا نحو سلام بين الشعوب. لا أجد ريبا أن نواجه الخطر المصير المحقق بالإستسلام شأن نهديهم جسران التعصب جبرا بعد جبروان لنبي جصور الحوار بما في ذلك جصور ما الإسلام بدلا من أن نقيم ميزان من عوائل الكفرية والانتقام والعداء؟

إسنى لا أظالم بأن يتم تجاهل الخلافات، ولا بأن يتم المزج بين الأدبيات وإسقاط المواقف على كل صلبا للتعصب القرباء شريف والصالح للتعلم، يتأسس على وعي ذاتي متداول بأهمية الموضوعية والإصاف، وعلم معرفة عميقة بما يعرف... وما يجمع. هل جهد مثل هذا هو معنى سادج كما يظن المسأخرون من صفات الحالات السياسية والأعمال والعلم والمصافة؟ أرى على العكس أنه الخيار الوحيد الواقعي، لأنه كان لا يريد التخلي عن الأمل في نظام عالم أفضل مشقتن بأن الولايات المتحدة الأمريكية ذاتها مستعد لنصها طريقا للخروج من حالة الهوس بالحرية كما نبحث في الخروج من الحيفية المأزمية في المجتمعات، وأنها مستعدة اكتشاف رسالتها وتأقلمتها مع واقعها، إن شئت فقل استراتيجيات الحوارات المصودة للقطب الشرقي والأردق وإخفاق السياسات الغربية الشرسية في أفغانستان والعراق والأفرد الأمريكى بإدارة الصراع في فلسطين والمصافة الأخلاقية على المستوى الدولي قد جعلت حوار الثقافات وحوار الأدبيات أكثر إلحاحا فالحضرة صعدت شبكة من الرجال الممثلين باسم الدين الذين يعارضون العنف في أملا مقترنه من لكنها لن تكون توكيد على الأرض وفي البحر وأنجو كما تتصور إدارة بوش لكن معركة بين إدارته من طريق الشرطة والخبرات والوسائل البلموسية والدينية الخسيسة لكل موقف. لكن في الوقت ذاته لا بد من فهم

التعبير السياسي والتجديد الديني في العالم الإسلامي لكي نؤثر جثيرة التطرف والأزهاب في دوائر الحروبين والجحيطين من الشعوب فقط إذا استعصنا من العناصر المتطرفة التي تستخدم العنف وتمكن المعتدلين فقط لو تمكنا من بناء جصور الثقة وبلوغ الاستقرار في العلاقات بين العالم العربي والإسلام. وهقط إذا ثبتت إمكانية أن يتعاضد الإسرائيليون والعرب والمسيحيون - في اليهود والمسيحيين والمسلمين - ولا يعاملوا بعضهم البعض كأعداء بل كشركاء فقط كيميئت تستطيع التطلع على المشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لواقعنا ونستطيع الإسهام في خلق نظام دولي أكثر سلاما

لماذا لا أكثر من القائل اليوم يرى أنه لا ينبغي الوقوع مرة أخرى في المواجهة السياسية والعسكرية، والاعتداء والانتقام التي مارستها الأمم العربية وتحاورته لحسن الحظ بعد الحرب العالمية الثانية. بل هناك حاجة بالاحرى لإدراك حاسم للمنظومة المعرفية، ما بعد - الحديثية، للتعاظم والتعاون والاندماج السياسي والاقتصادي والثقافي التي صميت هي

ميثاق الأمم المتحدة، وصيغتها الأكثر تقدما في الاتحاد الأوروبي. يعني الذي الذي ينبغي يمسك بساء السلام والحرية فقط على أساس من النظم المستوربة، التسامح، حقوق الإنسان، والمعايير الأخلاقية. وأعلى على والتحديات السياسية التي تواجه هذا التصور، وأشرت لها في نص نشرته ضمن مقصود لمجموعة من علماء سياسه ولامسة الأخلاق نشرت في كتاب عام ٢٠٠٣ تحت عنوان "سياسات السلام، نحو رؤية أخلاقية للعلاقات الدولية،

إن الحضارات والثقافات بكلها لا يمكن دعوتها للحوار. يجب أن لها وحدت مجردة. بل تتم دعوات الأعداء والجماعات من حملات ثقافية متنوعة، والدعوة يجب أن توجه خاصة للنخب السياسية والاقتصادية والثقافية صاحبة المسؤولية. والتأسيس للإسلام ينبغي أن يمسال المسجونين، فهوهمهم أنفسهم، لماذا ينبغي؟ بل يوم نسمه في العالم هذا الدين، ويتأسس هذا، تتقدم من الساحل الأطلسي لأفريقيا لنزول إندونيسيا، ومن وسط آسيا لأورمق؟ لماذا الإسلام هو ثاني دين في العالم بعد المسيحية ويملك الدين أحيانا أن يتعوى عليها في يوم من الأيام، ولماذا هو في تصدير من يؤمنون به فقط أحدث وأكمل دين بل أيضا أقدم، أعظم وأكترها إنسانه؟ لماذا كان الأقدر أكثر من أي دين آخر على أن يتحدث ويجمع أتباعا من شتى الخلفيات كاندو المبرور وعرب الشرق

الأسواق وإفارقة من شرق وغرب القارة السوداء، وشرق ويوشناق واليابان وفارس وباكستان ومنود و/ن أهل الصين والمالايو- الحقيقة أناس من كل بقاع الأرض رغم احتلالهم الثقافية؟ أو لأن تكمن جاذبية الإسلام وبقوة؟ ما مصادره وقوته ومورده؟ ما رسالته وجوهره ومكوناته؟ أما الذي يشكل حياة المسلم وسياسات الإسلام وثقافته وهويته وما نقاط الصعف وما الإخفاضة؟ وما هي الأسئلة النقدية التي يجب على المسلمين أن يسألوها؟

## دفع الناس للتحاور

في ضوء الأدبيات الثرية عن الإسلام، قد يسأل ما الذي يمكن أن يقدمه كتاب جديد عن الإسلام؟ خاصة لو كان امرقا مطلقا على الأدبيات المتاحة ودورها بعدد ما الإشكالات الذي يستهوئ الباحث ليكتسب ما قد يراه إضافة للمعرفة المتاحة، وما الصيغة التي تتميز عملا كذا. وما منطق مثل هذا المعنى؟

هناك بالفعل كتب كثيرة بلغات شتى تدرس التوزيع الثقافي والسياس للإسلام. بيد أنني لا أكتب عن الإسلام كقولك للثقافة أو مخرج للدين أو مخرج سياسي وقانوني، بل أكتب كي أعين الناس على الإغراءات في حوار في هذه المرحلة التاريخية المتأخرة نحو علاقة جديدة بين الحضارات والأقليات والتعصب وكى يتمكنوا من تقدير لورقت العائى شكل أفضل وسنجيروه له شكل أفضل. سواء أقال مسيحيين أم مسلمين، علمانيون أم مسيحيين أم قيادات من رجال الأعمال أم صناع ثقافة أم مبرورين أم رجال دين أم طلاب. هذا لا يمكن أن يتم بدون فهم لأدبيات العالم. ولا شك أن المره لا يمكن للإسلامة لا يمكن أن تقدم شكل مبسط متفلا لا يمكن تبسيط الثقافة العنصرية التي مرت على اليهودية أو القرون العشرين التي مرت على المسيحية. وبالتالي فإن الكتابة عن الإسلام لا يمكن أن تكون وصفا تاريخيا علميا محايدا. هي تاريخ الإسلام أو محض وصف منظم لتقاليمه الدينية. بل المطلوب هو استعراض واستخلاص

مركب - متناقص وموضوعي - لأبعاده التاريخية وإسافة المعامية من المهم الانتماء على تاريخ عظيم للإسلام هو تاريخ دراسي وقرى ومتنوع، لكننى أوافق على قطع تفسر الحكى بإدارة أسئلة نقدية عن نتائج التغييرات التي مرت بالإسلام في أنسافة المعرفية المتغيرة. فلا بد من التساؤل وإشارة الحدل خاصة حين نتوقف أمام لحظات عجزت فيها التقاليد التاريخية عن التواصل مع الأخرى ولا شك أن مثل هذا النوع من الكتابة لا بد أن يكون بحثا يبنيا يجمع مفاهيم ومصطلحات من عدة فروع علمية، وأن يتجنب الشتات التهجى ويقدم رؤية متعددة الأبعاد للإسلام.

وأعلى على المعاصرة التي يتصممها هذا الاقتراب في كل صفحة كتبها. فمثل هذه الكتابة أشبه بالسيرة على حل مشدود، لا يجب السير بحذر لتحقيق التوازن بين الفهم العميق - الذي لا يجب أن يبرر الوضع القائم الساكن بحال، وبين النقد الذي لا يجب أن يقترص من أم بوجه النقد يحتكر الحقيقة والحق

وهين أكتب وأنا غير مسلم عن الإسلام فإن كتابتي هي تعبير عن الأمل في ألا يضعف الإسلام أو يختفى. بل أن يتجدد من داخله ويؤمن أن أكتب وأنا اق توتج تسيحي أو علماني، إنني أكتب وأنا مستوعب جدليات الاستنارة لأراهن على تجديد الإسلام

ولا شك أنه في ظل الأسرار المعلوماتية الذي نعيشه وفيزيد الشخا لسا من معرفة شتالين على المالية كل عام حسب بعض التقديرات فإن كتمانتي لا تتقدم فقط محض معلومات محايدة بل أيضا ترشد الضرى. فهي تقدم الإسلام بطرق متنوعة لكن كمنظومة متكاملة وليس كساق جبرية. وقد تمكنت من أن أطور هذا الاقتراب لدراسة الإسلام لأدنى استملك أدوات مفاهيمية وأنسق معرفية استخدمتها في التحليل وفي تفاع حوارات بحثية سبقت وطورونها في كتابي: هل الله موجود؟ إشكالات الأنوية في العالم الحديث، ١٩٧٨، وتماثلت منهجية صممتها في كتابي: تالين هما علم اللاهوت في الأمية الثالثة، ١٩٧٩، والمعلوماتية، ١٩٩١، ولا شك أن التحليل يتوعلب الأثر المعرفية والأنسق المعرفية والمعامية قد أشت جدواه في تمصعجيات الفرض الضربون ولدا فضلا من الاستعراض التاريخي المتسلسل لحدوات والذهاب والخصائص، فإنه يمكن إعادة بناء الأريفة عثر ضرا الناضية في صورة أنسق معرفية متناحية مربها بإسالات تزويد القارئ بإسالات

للدinيات المرجعية الأساسية في كل قضية إن فهم التاريخ من خلال الأطر المرجعية لكل مرحلة وللمرور التي ضاعفت تلك المرحلة. وكيف تولدت من بعضها البعض. ولذا ضعب بعضها وتراجعت سلطوته. لكنه على جزءا من التقاليد واستمر في البقاء إلى عصرنا هذا. وكيف برزت أسواق معرفية متنوعة. وكيف يمكن أن تصعد أسواق معرفية وصيغ للذهنية في المستقبل.

إن هناك اعتقادا شائعا بين المسلمين بدرجة أكبر منه لدى اليهود والمسيحيين ألا وهو أن دينهم بقي كما هو عبر القرون وأنه لم يمر بتحويلات كبرى فارقة بل لم يمتدح. وأنا أعتقد أن هذا غير صحيح. لكنني على أية حال لست مستبشلا لماضي بل بالحاضر. وكيف انتهى الإسلام إلى ما هو عليه اليوم. وما يمكن أن يصير إليه في المستقبل.

إن سمة هذه الطريقة في الاقترب من التاريخ لا تتبع التعاقب التاريخي بل تقسم التاريخ إلى حقب ذات خصائص وإلى أشكاليات يتم استمرارية في كل مرحلة. وعبر المراحل. وهذا يعبر عن تحديات على جبهتين الأولى هي جبهة القارئ المسلم الذي قد يتساءل كيف يتخصص مسيحي في علوم اللاهوت إن يحضر على أن يخطب في الجدل الداخلي للمسلمين وهومهم. والثانية هي جبهة القارئ المسيحي والذي يستبشال كيف جرز ناحت مسيحي على التمازج في الاتفاق مع المسلمين في قضايا كثيرة إلى هذه الدرجة.

إنني لم أشارك قط في حوار بين الأديان يعتمد تجاهل الأسئلة العرجة والتقصير واللامبالاة. واجتهدت في تجنب الحوارات الخرجة التي تشترط هيمنة وجهة النظر المسيحية أيا كان معلوماتهم عن الأديان الأخرى سطحية هي أحسن الأحوال. لكنني في الوقت ذاته عارضت دوما احتفال اللباز العنصرية في جانب رديي الذين المتحدثين على الحديثين ولديهم لا يصرخون خارج رؤيتهم المغلقة ويؤمنون احتكار العقيدة الصحيحة.

وإننا أمل أن نتجه تلك المشاهجة في تقديم إجابات لأسئلة عديدة وتحيين المسلمين والمسيحيين يدي واليهود على فهم بعضهم البعض. لأن عدمه كان لزاما على أن اتجاوز التقاصيل والطرز بل ويعبر الأحداث المهمة لكي أحفظ بتعامك الأطروحة وتقديم مسار التاريخ في تطوره. وكان أيضا من الضروري أن أركز على القبول الإسلامي أي العالم العربي وأفريقي وإيران. وأعطي الأطراف وضي شرق آسيا جنوب الصحراء والهند وجنوب شرق آسيا أولوية أدنى. كما أوليت نظري للإسلام السياسي والبعد القومي بأكبر مما تناول الإسلام النقي. فقد حرصت على ألا أعرق في التقاصيل وأن أضع يدي على مآزج كل مرحلة وسأستل كل نطق معرفي وتوانسته ومعيارته والتحديات التي واجهها على حلجية التطور التاريخي. وكانت

الإنسان التي طورته هي: نسق المجتمع الإسلامي الأول. ثم نسق الإمبراطورية الإسلامية. ثم نسق الإسلام الحديث. ثم نسق العلماء والتشويق. ثم نسق المجتمعات في العالم الإسلامي. وذلك بمسبل فهم النسق المعاصر. وإن كل نسق لا يزول مع شئ نسق جديد فإن التداخل بين الأناضال ليس فقط. حتما بل هو أيضا ثري.

## مسيرة فكرية ممتدة:

إن رؤيتي للإسلام هي حصيلة بحث ونتيجة خبرات متراكمة. بدأت مع أول زيارة لي لدولة إسلامية هي شمال أفريقيا ١٩٥٥ وأنا ما زالت طالبة للذكوراء. والتي شهدت أول تجربة حوار لي بين المذاهب المسيحية ودار حول الخلاف الرئيسي بين الكنيسة الكاثوليكية وتيار الإصلاح الديني. وكان موضوع رسالتي للذكوراء هو نظرية التخليد عند كل دار بارت ١٩٤٧. وقد سجلت إنطباعاتي في مذكراتي. نصالي من أجل الحرية. ٢٠٠٣. وقد اكتشفت وأنا أكتب مذكراتي كيف تطورت منها جيتي في دراسة الأديان والحوار الديني.

وكانت سلسلة المحاضرات التي أقيمتها في جامعة تورينج ١٩٨٢ مع ريتلي جوزيف فان إلى حول الحوار بين الأديان والحوار في الإسلام أساسية في تطوير بحثي الأكاديمية عن الإسلام. وكانت اللقاءات والندوات والحوارات التي قمت بها أساسية في تعميق معرفتي بالعالم المسيحي في قناة المانية وأخرى سويسرية في خاصة حين شاركت في الصلح التسجيلي التليفزيوني. اقتفاء الأثر. الذي أنتجته قناة المانية وأخرى سويسرية في التسعينيات في سبعة أجزاء. وصدر عنه كتاب بالإنجليزية ٢٠٠٢ تصات عنوا

اقتفاء الطريق. مصحوبا باسطوانة مغطنة في يهيم بالبحث أو الترسس. إن كتابي الأخير عن الإسلام بعد أن كتبت عن اليهودية والمسيحية يكمل ثلاثية هي مشروع في دراسة الحالة الدينية في العصر الحديث. والذي ركزت فيه على الأديان التي كانت بداياتها في الشرق الأدنى. وقد طورت الإطار النظري إيمان مشروع البحث عن حوار الأديان والسلام العالمي التي امتد ثمانين سنوات ١٩٨٩ إلى ١٩٩٧ بدعم من يوبيل شركتي بوش ودايملر بنز.

لقد وقيت بسودي وأجزت مشروع. وهو تحليل القوة الروحية للأديان التي سادت في الألفيتين الماضيةين وما زالت تؤثر في واقعنا الراهن وإن أهدم تشخيص منهاج نظام لتلك الأديان الثلاثة من أجل استشراف المبادرات المتاحة للمستقبل وتطوير حلول واقعية ودينية للواقع. وفي دراسة للإسلام قرت بين اقتراسي الوصف والتفقد. كما فقت في مرارة التحصيل المسيحية واليهودية نقضا ذاتيا لكي أظم الكتب الثلاثة في خيط واحد وتتكامل. وما زلت اعتبر كتابي عن "المسؤولية العالمية" هو التوقيع لشخصي عن السلام العالمي وحوار الأديان. والذي عهد لكتبي الألفية وهي منظومة أخلاق عالمية للسياسة الدولية والاقتصاد. ١٩٩٧. والعلم والأخلاق العالمية. ١٩٩٩. وسياسات السلام. الأسس الأخلاقية للعلاقات الدولية. ٢٠٠٣. وقادت تلك الجهود العالمية لتأسيس مؤسسة الأخلاق العالمية التي تحظت بدعم وعلى آل جروبي والتي تكتمت العتيد في الانشطة مع المؤسسات التعليمية ومنظمة الأمم المتحدة. www.welthethos.org وقد تفلتني قضايا مسيحية فكتنت عن الإصلاح الديني والتجديد المطلوب

اليوم هي المسيحية وحاولت أن أستشراف مستقبلها في تحديد المسيحية اليوم. إحياء الأمل. ١٩٩٠. كما كتبت مقالات ودراسات عن أحوال المسيحية في أفريقيا وأمريكا اللاتينية. وهي كتابي "موجز تاريخ الكنيسة الكاثوليكية ٢٠٠٢. فقتحت أعين الكثيرين على المشاكل المسيحية الأمريكية التي تواجه الكنيسة والأمرياته التي يعاني منها بناتها. وأكملت الشد في سيرتي الذاتية الصادرة بعده عام. والتي أتمنى أن توفر لي الوقت الكافي أن أكتب الجزء الثاني منها والذي يتناول الأفاق التي شهدتها النصف الثاني من حياتي الذي تعرضت فيه لعواصف شديدة لكن وصلت لبر الأمان ونشطان ومساهمات مفتوحة وجديدة.

## إسهام المسلمين في حوار الحضارات:

لو انتقلنا من الحديث حول معرفة الأديان وتأكيده حقيقة الحوار للواقع المشهد الدولي للعلاقة بين الحضارات نجد من المفارقات أنه في عام ١٩٨٨ وقيل أحداث الحادي عشر من سبتمبر. وفي مواجهة الحدث الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارا صهرها وتصميمها على تشجيع وتيسير الحوار بين الحضارات مواجهة أظروحات الأضرار بين الحضارات ومثلها المربيع والإعلان عن عام ٢٠٠١ عاما لحوار الحضارات. ومن اللافت أن تضم هذه التوجه جاء من جانب الدول الإسلامية. فقد كان اقتران الموضوع عام ٢٠٠١ لحوار الحضارات بمبادرة من السيد محمد علي في خطابه ٢١ سبتمبر ١٩٨٨ أمام الجمعية العامة. وكان ما قاله. "أنا بأمل أنه من خلال هذا الحوار يمكن ضم العدالة والحرية في العالم وزعم إن الحوار والمآزج لهذا القرن هو أدراك أهمية الحوار والمآزج ورفض منطق القوة. وتنامي جهود التفاهم السياسي والاقتصادي والثقافي. وتأمين أسس العدل والحرية وحقوق الإنسان. إن عدم فهم التمدن. سواء على المستوى القومي أو الدولي. مشروط بحوار بين المجتمعات والحضارات يتم فيه تمثيل الرؤى المختلفة والتوجهات المتباينة وإذا وجهت الإنسانية جهودها مع مطلع الألفية لضم الحوار بشكل مؤسسي والسعي لإحلال الحوار والتفاهم محل العداء والمواجهة فإن هذا سيرتكم شريعة بالغة القيمة ويحقق مصلحة الأجيال القادمة. وقد أهدت أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ والحرب على أفغانستان والوضع المتردي وآثاره في الشرق الأوسط الحاجة لكل هذه المبادرة وقد أجمعت الجمعية العامة للأمم المتحدة ٢١ نوفمبر ٢٠٠١ لمتابعة موضوع الحوار بين الحضارات واستعرضت أنشطة العام وبمناقشة تقرير لجنة الخبراء والأجندة العامة وبرئاسة نائب المسكرير العام للأمم المتحدة السابق

## إن هناك اعتقادا شائعا بين

المسلمين بدرجة أكبر منه لدى اليهود

والمسيحيين ألا وهو أن دينهم بقي كما هو عبر

القرون وأنه لم يمر بتحويلات كبرى

فارقة بل نما بتدرج



جياندمونيكو بيكو. ولهم الخبراء الذين مثل الطرف الإسلامي منهم د أحمد كمال أبو العز، من مصر والامير الحسن بن طلال من الأردن، د. جواد ظريف من إيران. قدموا تقريرهم الذي صدر بالإيجازية تحت عنوان «صور الفجوة: الحوار بين الحضارات» والذي سعى لوضع إطار مرجعي جديد للأمم المتحدة يقوم على أساس الأخلاق الإنسانية. ولكن هذا التقرير وشعار عام ٢٠٠٩ عن حوار الحضارات لم يستطع طرأ الإدارة السياسية ولا الإعلام ولا الرأي العام في الولايات المتحدة الأمريكية (بمكس الحفاوة به في ألمانيا). رغم أن الفكرة كانت جذرية بأن تحظى باهتمام واسع وتهمين على الساحة السياسية بقوة.

وقد جرت مداولات لمدة يومين في الجمعية العامة للأمم المتحدة، وتحدث الكثير من ممثلي الدول -خاصة الإسلامية- ضد صراع الحضارات ودفاعا عن حوار الحضارات. وأشار للقرار السانق واكثت على أهمية حوار الحضارات، وأوضحت البند التسع للقرار بالتفصيل أهداف ومبادئ هذا الحوار، ونصحت المادة الأولى على أن حوار الحضارات عملية متواصلة تستند إلى «رغبة جمعية في التعلم والإنفتاح وتجاوز التعمص والبحث في تطوير دالات مشتركة للمعاهد والتقييم الأساسية، في حين اكثت المادة الثانية على، تطوير فهم أفضل بالإستناد للافلاخ المشتركة والقيم العالمية الإنسانية.

لقد كانت الغاية في تأكيد معنى العيش المشترك ونشأة مجتمع تولى يتوافق على أخلاق واقتصادية وتترجم بتحقيق الرفاهة للجميع. وهو ما لا يعنى العزو الثقافي كما يخشى بعض المسلمين، وليست الغاية أن تدوب الاديان في دين واحد، بل تقبل التنوع وتعقد طرائق العيش والعقائد، وأن الصراع يمكن تجنبه لو تم احترام حريات الأطراف الأخرى، والاحتماء بالتقوى الأخلاق في ظل إنسانية مشتركة ونشأة ثقافة الأخلاق في تلك رغبة في تجنب الحيلولة المفردة من العنف والانتقام التي بدت إزهاصاتها بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

هكذا يمكن تلمس تلك المعاني في التراث الإسلامي؟

## الأسس الإسلامية لأخلاق عالمية،

كان اصغر على انجيسر، وهو مفكر مسلم هندي قد قام بمقارنة الاعلان العالمي الذي صدر في برلين اديان العالم، الصادر ١٩٩٢ الذي يدعوا إلى اخلاق عالمي بالقيم التي يحملها النص القرآني، وكان استنتاجه أنه لا يتعارض مع روح الإسلام.

وسوف استلهم من نضمه وأدين كيف أن الأسس الالتزام الأخلاقي التي تتبناها

الاديان كافة لها قاصدة في القرآن، واضاهها ببيان، فدعا المؤسساتا الرائدة، الذي صدر عن برلمان اديان العالم، ١٩٩٩ وتقرير ٢٠٠٩ في عبور الفجوة الذي اشترنا له، وتتلخ الأسس في:

• ثقافة الأعزب واحترام الحياة.

تصنّت الاحاديث النبوية بتفديس الحياة وعدم قتل المدنيين أو الابرياء، وفي القرون انه، من قتل نضما يجر نفس افساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا.

• ثقافة التضامن والنظام الاقتصادي العادل؛

ففي القرآن نجد أن العدل والقسط تقتدر بالإسلام، فانه يأمر بالعدل ويوصي المؤمنين بالقسط، وينص على «اعدلوا هو أقرب للتقوى». فتنظم إجماعا غير عادل لا يمكن أن يكون نظاما إسلاميا وفي القرآن المعلن من المال يجب أن يتوجه لتنمية المجتمع ومكافحة الفقر. والزكاة أحد فرائض الإسلام.

• ثقافة التسامح والحق؛

فالصدق والحق من قيم الإسلام. والله هو الحق، والحق قريب العدل، والنظام الاجتماعي العادل يتأسس على نظام للحقوق.

• ثقافة المساواة في الحقوق والإنسانية المشتركة بين الرجال والنساء؛

إن أقرار يعطي الرجال والنساء مكانة متساوية في المجال المعيشي والعلمي. ولكل منهم نصيب مما اكسبوا.

## أسس التفاهم بين الإسلام والغرب،

لقد أدى الحدث شأن حوار الحضارات وقرارات الأمم المتحدة في هذا الصدد إلى أن أضحت فكرة الأخلاق العالمية موضوع

إهتمام مركزي في الأمم المتحدة. وذلك بدعم رئيس من كوفي عنان السكرتير العام للأمم المتحدة الذي حصل على جائزة نوبل للسلام، والذي أكد التزامه بهذه الفكرة في محاضرة القاها تحت عنوان حوار ما زالت هناك قيم عالمية؟، في سلسلة محاضرات الأخلاق العالمية التي القاها في جامعة تورينج ١٢ ديسمبر ٢٠٠٣ بدعوة من مؤسسة الأخلاق العالمية. والتي قال فيها: «إن القيم العالمية مطلوبة بالاحاء في عصر المولة أكثر من ذي قبل، فكل مجتمع يحتاج نسق ناظم من القيم، حتى يعرف الناس ما الذي يمكن أن يتوقعوه من بعضهم البعض والاسس التي يتعايشون بناء عليها ليجيدوا اختلافاتهم بدون اللجوء للنفوذ هنا ينطبق على المجتمعات الوطنية كما على المجتمع الدولي».

إن هذا ينطبق على العلاقة بين الإسلام والغرب، رغم كل الإذانة لهجمات الحادي عشر من سبتمبر فإننا لا يجب أن نقبل إثارة صراع بين الحضارات يسقط فيه الملايين من البشر من لحم ودم مصحيا محركا متوهجة بين غرب، وإسلام. وكان قيم الإسلام والغرب لا يمكن أن تتوافق. بل، يمكن أن تتوافق كما يمكن أن يؤكد لنا ملايين المسلمين هنا في ألمانيا وفي الغرب، رغم ذلك يجد اليوم الكثير من هؤلاء المسلمين أنفسهم عرضة لتشكيك والتحرشات التي يصل بعضها لحد الاعتداء، مثلما يجد بعض الغربيين في بعض البقاع في العالم الإسلامي أنفسهم معرضين للعداء وأعمال عنف.

لقد أكد كوفي عنان الأمين العام السابق للأمم المتحدة على أن صلاحية القيم العالمية لا تعتمد على درجة تطبيعها والالتزام بها. فالظنومات الأخلاقية في دنائنا ذات مشروعية قيمية وذات طبيعة



## تمتلىء الأحاديث النبوية

### بتقديس الحياة وعدم قتل المدنيين

### أو الأبرياء، وفي القرآن أنه «من قتل نفسا

### بغير نفس أو فساد في الأرض

### فكانما قتل الناس جميعا»



مثالية نصبو لها وتلتقط تحقيقا. وهكذا فإن التقصير يجب أن يدان لا أن يؤدى عدم الالتزام بها لإسقاطها تائليدا.

وفي حالة المسيحية كما في حالة الإسلام لا يجب إدانة منظومة أخلاقية لا هناك بعض التجاوزات من بعض الأتباع، فانا كمسيحي لا أشتى أن يتم الحكم على ديانتنا تأسيسا على خبرة الحروب الصليبية أو خروج المسلمين في الأندلس، ويتأجل لا أقبل أن يتم إدانة منظومة أخلاق يعتنقها غيرى لأن بعض الإبراهيميين قاموا ببعض الأعمال باسم الدين

ويتأجل فكما أنه لا ينبغي إدانة ديانة لأن بعض أتباعها قام بأفعال معينة. كذلك لا يمكن التخلي عن القيم العالمية لأن البعض لا يؤمنون بالفكر بل زعم أن وجود تلك الآراء يجب أن يدفعنا للتمسك بتلك القيم المشتركة.

ولم يكن كوفي عنان غافلا عن أن القيم ليست معاني مجردة بل تتجلى في سياقات واقعا. إذ فإن وجود قيم عالمية لا ينبغي الاختلاف في تأويله أو تقديم وجهات نظر متنوعة. ولا تلعب التنازع أو أن توظف المجتمعات الإنسانية بطرق مختلفة لحل مشكلاتها.

وقد أكد عنان هذا المعنى تنويع المبادئ الأربعة التي ينطلق منها بيان برلين الأديان العالمية في رؤيته للأخلاق العالمية، وكيف يمكن أن تطلق منها لكن تختلف في تأويلها

• قد تكون جميعا مؤسسين بالأعزف واحترام الحياة، لكن قد تختلف في قصية التعامل مع من أرقها الأرواح؛ هل نلحق (رواحهم هم أيضا، أو شرعية أن يستخدم الأبرياء العنف إذا تم استخدامه معهم.

• قد تكون جميعا ملتزمين بالتضامن مع البشر الآخرين من أجل نظام اقتصادي أكثر عدالة، لكننا نختلف بشأن السياسات الأمثل التي يمكن أن تحقق ذلك.

• قد تكون جميعا مؤسسين بأهمية التسامح وحقوق الحق، لكن قد تختلف بالطريقة الأمثل في التعامل مع أنظمة لا تشارب التسامح ولا تحترم إحقاق الحق

• قد تكون جميعا ملتزمين بمصدق معكزة الحقوق المتساوية والمساواة بين النساء والرجال، لكن قد نختلف حول التعبير بين أدوار الرجل وأدوار المرأة إذا كان من حق بعض المجتمعات فرض قداسة العلاقة الزوجية.

لقد كانت هذه رؤية كوفي عنان الذي قد سبقه الأمم المتحدة في لحظة عاصمة قد تكون الأكثر صمودية في المنطة.

إن مبدأ الإنسانية من مبادئ الأخلاق العالمية الأساسية، وحط كرامة الإنسان من أسس إنسانية، فانه استلهم الإنسانية في الأرض. وفي الحديث: لا يؤمن أحكم حتى يجب لاحيه ما يجب لبصه، وكل ما سلف من المعلوم المستقر من تراث الأديان الإبراهيمية بدأ هنا بصراعات الماضي، يمكن محاكواها.



■ الدكتور أنتوني كوردزمان، مؤلف أمريكي دافع الصمت وخبير استراتيجي بمركز الدراسات الاستراتيجية والدولية، يواشنطن (CSIS)، يرى كوردزمان أن التوازن العسكري الراهن بين العرب وإسرائيل يتكون من توازنين منفصلين إلى حد كبير. أول هذين التوازنين هو سين إسرائيل والمسلمين، فمنذ اندلاع انتفاضة الأقصى عام ٢٠٠٠، أصبحت هناك حرب لا متناهية، كسبتها إسرائيل إلى حد كبير. وقد سمحت الأوضاع السياسية المترتبة عليها أجواء الإقليم، وافضت إلى صراع أهلي بين الفلسطينيين قد يستغرق حله سنوات وبالنسبة للحاضر على الأقل، يميل هذا التوازن يوضح لصالح إسرائيل إلى حد أن الحرب الإسرائيلية الفلسطينية الدائرة منذ عام ٢٠٠٠ هي سياسية هي معطى أكثر منها عسكرية.

التوازن الثاني تشكله إسرائيل وسورية، فقد أدى سلام إسرائيل مع مصر والأردن إلى عزل سورية عسكريا وسياسيا عن جيران إسرائيل العرب الرئيسيين. وقد فاقمت سورية الأمور أكثر بأصعاف صلاتها بالقوى العربية الأخرى كالمملكة العربية السعودية، وبعامرتها في لبنان، وبعلاقاتها الخاصة مع إيران ويسوء إدارة التنمية الاقتصادية، ويؤس تخطيط القوات والتطوير العسكري. يمكن لسورية استخدام الحركات الإرهابية والمطرفة، كوكلاء، ولكن ذلك الاستخدام لا يتجاوز كونه جهدا تخريبيا يستفز إسرائيل أكثر مما هو ضغوط عليها أو تهديد لها. ويمكنها أيضا الانضمام لإيران في دعم حركة حزب الله، لكن مثل هذه الصراعات - كحرب إسرائيل مع حزب الله في صيف ٢٠٠٦ - لا تمنح سورية نموذ أو فعالية عسكرية أو فوائد عسكرية واضحة

لكن فيما يخص التوازن العسكري التقليدي، يعتقد المؤلف أن سورية أصبحت معزولة وضعيفة جداً مقارنة

Israel & Syria: The Military Balance and Prospects of War (إسرائيل وسوريا والتوازن العسكري واحتمالات الحرب)

Anthony H. Cordesman  
Washington, DC Center for  
Strategic & International Studies,  
August 2007. 210 pp

# رائحة العريق القديم!

## موازن النجار

أرى حل الرماد وميض ناز  
فان النار بالعقودين تذكى  
ويوشك أن يكون لها صرام  
وإن الحرب أولها كلام

من قصيدته للشاعر العمري نصر بن سيار

من حراسان ٢٦ ١٣١ هـ - ٦٦٦ - ٢٠٢٠ م

إسرائيل، وأي حرب بينهما ستكون دموية ومكلفة لكلا الطرفين، لكن المؤكد تقريباً أن تكسبها إسرائيل بسرعة وحسم، بيد أنه ليس لإسرائيل ما تكسبه من احتلال المزيد من الأراضي السورية، وتكبد ضحايا وتضحيات غير ضرورية، أو تقويض سورية على نحو قد يجيء بحركة إسلامية شنية أكثر نزوعاً نحو المخاطر، مثل هذه الحرب، لا رايح فيها بل ستكون مواجهة يخسر فيها الطرفان بالنسبة لهدف أو خيار السلام، بصرف النظر عن نتيجة أو حصيلة المعارك والطرف الأكثر معاناة في سياق العملية.



في العام الذي أعقب الأداء العسكري غير المرضي، للجيش الإسرائيلي في لبنان خلال صيف ٢٠٠٦، أصبحت العلاقات الإسرائيلية السورية متوترة بشكل مطرد، حيث شرعت كل من الدولتين إلى تعزيز قدراتهما العسكرية في القلم الجولان، وفي أعقاب اندلاع الحرب بين إسرائيل وحزب الله، صدر عن دمشق تهديدات ببدء عمل عسكري في مرتفعات الجولان. وقد أثنى الرئيس السوري بشار الأسد على حزب الله نظراً لقيامه بـ «هزيمة الجيش الإسرائيلي»، وأعلن أن «الجولان سوف تتحرر بأيدي سورية»، وفي ذات الوقت تقريباً، ظهرت سلسلة من التقارير في الصحافة السورية تلمح إلى «مقاومة» في هضبة الجولان. وفي أغسطس/ آب ٢٠٠٦، أي عقب الحرب مباشرة، أهرّب مسؤولون إسرائيليون عن قلقهم من أن نجاح حرب الله في تشغيل واستخدام الأسلحة التي امتته بها سورية، قد يسرع بحصول سورية على مزيد من منظومات الأسلحة التي استخدمها الحزب في مواجهة إسرائيل، وقد يشجع سورية على الدخول في تحرية مواجهة عسكرية.

وأكد هؤلاء المسؤولون الإسرائيليون أن السوريين قد بدؤوا جهوداً لعدة سنوات لتسليح على التصوف العسكري الإسرائيلي - في الدروع وسلاح الجو- بالاستثمار في الصواريخ الموجهة المصادة للبدليات (ATGM)، وصواريخ أرض-أرض البالسيتية التي توسعها لتهديد عمق إسرائيل، وصواريخ أرض-جو التي قد تمثل تحدياً للقوات الجوية الإسرائيلية. وكان رئيس أركان الجيش الإسرائيلي



# رائدة الحريق القادم!

إقليم الجولان، وبحلول منتصف يونيو/ حزيران، أجرى الجيش الإسرائيلي مناورة عسكرية رئيسة بمشاركة مختلف القوات، وشملت المناورة محاكاة لهجوم حيث قصفت أهدافا في-1٥ مواقع سورية اقترابية بقرب الحدود. وأشارت صحيفة «معاريف» الإسرائيلية إلى أن جيش الدفاع الإسرائيلي سيواصل سلسلة من التدريب المكثف في مرتفعات الجولان طوال شهر يوليو/تموز ٢٠١٧، وأشارت معاريف أيضا إلى أن القدس بعثت برسالة إلى دمشق، موضحة أن إسرائيل لا تية لديها لخارجة سورية، وأن التدريبات كانت دفاعية مضفة. ثم أعلن وزير الدفاع الإسرائيلي ميريتس أن جيش الدفاع الإسرائيلي يجب أن يكون مستعدا لكل سيناريو. نحن نجرى تدريبات، ونأمل ألا يسيء السوريين تفسير ذلك. المحلل الاستراتيجي بجامعة تل أبيب، يال زيس، لاحظ أيضا أن احتمال حدوث سوء تفاهم محتمل قد يتصاعد سريعا وينزلق إلى مواجهة خطيرة، يقول زيس، «لم يحدث أبدا مثل هذه الحالة من التآهب العسكري منذ الثمانينيات، وهناك خطر كبير من وقوع سلسلة ردود فعل إذا أخطأ أحد الجانبين في قراءة نية الآخر».

## احتمالات الحروب

ليس ثمة من شك في أن كلاً من الدولتين تأخذ تهديد الحرب بجدية كافية للأبعاد والتدريب استعدادا للحصار، قد يعمد إلى استخدام الصواريخ الباليستية وأسلحة الدمار الشامل. فضلا عن القوات التقليدية والعتاد -أكثر من ثلاثة عقود- قد أعدته اليوم يستعمل في أوار الحرب بعرضات الحولان. وإضافة إلى ما أحدهه الطهران من إصلاحات في جيشيها في السنوات الأخيرة، وتعاظم الحشد العسكري بالعالم الأخير، فقد أعد كل من الجيشين بالفعل خططاً حربية تشغيلية (عملياتية).

يعتقد كوردزمان أن فرصة سورية ضئيلة أو معدومة للصور في حرب تقليدية مع إسرائيل، أو في استخدام ما لديها من أسلحة كيميائية (وربما بيولوجية) -على نحو ذي جدوى- ضد إسرائيل المسلحة نوويا. وتظهر مقابلات

مع كبار المسؤولين والضباط، الإسرائيليين والسوريين، أن الحكومتين وقادة جيشيهما يفهمون هذه الحقائق. وهناك مخاوف واضحة أكثر إلحاحاً لدى الجانبين فيما يخص احتمالات الصراعات غير التقليدية أو «غير المتناظرة»، وتشعر إسرائيل بالقلق، خاصة إزاء إمكانية قيام حرب أخرى بالوكالة، إذ يطمئن عليها أن تتعامل مع حزب الله (المدموم من إيران وسورية) في لبنان ومع ذلك، هناك شائعات متواصلة في كل من الدولتين حول خطط للهجوم عليها من قبل الدولة الأخرى. وهناك أيضا إمكانية لأن يقع أحد الجانبين في مضاعرة أو خطأ حسابي جسيم (سورية؟) أو يرد على هجمات غير متناظرة أو تقليدية أو بالوكالة بحرب تقليدية (إسرائيل؟). وكان بعض المحللين في كلا البلدين قد رفع إمكانية وقوع حرب محتملة حول الجولان عام ٢٠١٧. ويتشعر بعض المحللين الإسرائيليين أن سورية تعظم قدراتها العسكرية لشل هذا الهجوم (أو تزويد قواتها الصاروخية بدعم إيراني. لا يزال السلام خيارا أفضل وأوجه من الحرب لكلا الجانبين. وقد دعا الرئيس الأسد لخاضات جديدة حول الجولان، لكن والألسف، ليس هذا بإقليم «الساوون» العقلانيين، كما يرى كوردزمان، إنه الشرق الأوسط.

إن أي تقسيم أو تقدير لتساوون العسكري بين إسرائيل وسورية شأنه في ذلك شأن أي تقييم للمناخ الأخرى في التوازن العسكري العربي-الإسرائيلي، ينبغي أن يتناول حقيقة أن قياس القوة بالكم قد يختلف جدا عن قياس القوة بالكيف (نوعية). فعادة القوى العاملة قد لا تعني الكثير كمعيار للقدرة أو المزايا الاستراتيجية، والقيادة، والقدرة على إجراء عمليات مشتركة ومجمعة، والقدرة على استدامة قوات مركبة، من الحرب المناورة والسريعة. كما دالة على نوعية وجودة القوى العاملة. كذلك، يعتبر تحديث العتاد العسكري، والتكامل بين منظمات السلاح، والقيادة والسيطرة، والاستهداف والقدرة الاستخبارية كلها تشكل عام أكثر أهمية من عدد الدبابات، والطائرات المقاتلة، والوارج الحربية. أما العتاد العسكري الحديث فهو الآن أكثر تطوراً وقدرة من العتاد المنتج منذ عقد أو أكثر، ويصدق

هذا بشكل خاص لدى إسناد العتاد الحديث بأسلحة حديثة دقيقة التوجيه، وبالإحداثيات الهندسية للمناطق، والاستخبارات، والبراقبة، وينظم الاستطلاع. وفي حالات أخرى، فإن القدرة على تحديث وتعديل العتاد القديم هي أمر يرفض القدر من الأهمية، كما هو امر الصيانة الكفاء. ففئس النوع من العتاد قد يكون أكثر فعالية بكثير في دولة أو وحدة مقاتلة معينة. مقارنة بغيرها.

## الخيارات السورية في الجولان

تواجه سورية تحديات استراتيجية رئيسة وعديدة منها: التعامل مع إسرائيل، وإيجاد سبل للاستفادة من «دون الحرب» في مجال الأمن الإقليمي، والحفاظ على الأمن الداخلي لنظام أخفق في تحديث وتنمية البلاد. نظريا، التحدي الاستراتيجي الأهم والأكبر بالنسبة لسورية هو تكوين قوات عسكرية حديثة وقادرة بما فيه الكفاية لتتمكن من تحرير الأراضي السورية في مرتفعات الجولان، وإقامة عملية هجومية كبيرة ضد إسرائيل. في الممارسة، لا حظ سورية عمليا في اكتساب مثل هذه القدرة بدون عمليات نقل جديدة وضخمة للسلاح والتكنولوجيا. لكن من المستبعد للغاية أن تسمح إسرائيل لهذه التحولات أن تتم في عالم لم يعد ممكنا فيه لروسيا أن تتدخل ضدها أحاديا. ورغم شائعات الحرب التي تطلقها وسائل الإعلام وراكرز التفكير، لم تظهر سورية اهتماما علنيا بأي معامرات عسكرية في المنطقة، فالرئيس السوري بشار الأسد قد سعى علانية لجلبادار سلام، بينما صرح نائب الرئيس السوري فاروق الشرع لإب ٢٠١٧ أن «إسرائيل تعلم جيدا أننا لا نرغب في الحرب، وستكون دمشق مستعدة دائما للرد على أي هجوم إسرائيلي، من سورية لن تبدأ بالهجوم، إن مرتفعات الجولان هي إحدى أهم المناطق الاستراتيجية في الشرق الأوسط، فبهيما نحو ٤٢ مستوطنة إسرائيلية وإحوالي ٢٠ ألف مستوطن إسرائيلي، إضافة إلى بعض الحرب الدروز. وتعتبر منطقة زراعية وسياحية هامة لإسرائيل، وتزود مساحات

(مستجمعات) المياه بمرتفعات الجولان -جما فيها بحيرة طبريا- إسرائيل بنحو ٥٠ في المائة من إمدادات المياه الطبيعية بها، فهي إذن مصدر مياه هام لإسرائيل، رغم أن قيام إسرائيل ببناء محطات تحلية يقلل اعتمادها على مثل هذه الإمدادات.

الحانب الرئيس لأهمية الحولان الاستراتيجية من وجهة نظر عسكرية يكمن في جغرافيتها. فهي هضبة مساحتها حوالي ١١٥٠ كيلو متراً مربعا، وتقع بين منطقة الجليل وسهل دمشق. وتمتد نحو ٦٧ كيلومتراً طولاً من شمالها إلى جنوبيها، والقصي اتساع لها عرضاً هو ٢٥ كيلومتراً من المنطقة العازلة بين سورية والأراضي الواقعة تحت الاحتلال الإسرائيلي في الجولان إلى الجليل. قبل حرب عام ١٩٦٧، كانت الحدود السورية-الإسرائيلية تمتد بطول ٧٦ كيلومتراً بحدودها الجولان. يقول كوردزمان بعدم جدوى تعريف دقيق لحدود الجولان، مع ذلك، وعلى نحو فضفاض، يمثل نهر الأردن (وادي الشريعة) حدودها الغربية، وسهل اليرموك حدودها الجنوبية، ونهر حدودها الشمالية. ويصطلح على هضبة الجولان البركانية عن تكوينات الحجر الجيري للجليل الشيخ، الحدود الشرقية من سهل حوران غير محددة، رغم اعتبار نهر علان ونهر رقاد أحيانا كحدود.

رغم أن ليس لسورية أن تأمل في اختراق عميق للجولان، لكنها قد تنس مثل هذا الهجوم في سعي لخلق مخائف جديدة على الأرض، وكمحاولاة لإعاقة الجيش الإسرائيلي بإقامة دفاعات ثابتة وتحصينات طوارئ. قد تحاصر سورية بالهجوم إذا بات أن بمقدورها تحقيق المواجهة الاستراتيجية مع مواجهة القوات الإسرائيلية في الجولان بين أن تتمكن إسرائيل من تعبئة قواتها - كما سبق لها أن فعلت في حرب أكتوبر/تشرين الأول ١٩٧٣ - والإسماك كمبرسة كبيرة من الجولان لفترة طويلة، بما يكفي لتقيام البراء العام على يد إسرائيل بإيقاف القتال، واستخدام مثل هذا «الألاع بالمدسة» لتحقيق أهدافه في عملية السلام، وقد تشع سورية بأنه حتى النجاح المحدود يمكن أن يغير نتائج موااضات السلام، ويتيح لها استغلال أفضل لمثل إسرائيل رسمياً للجولان، أو تحاول استغلال الوجود المعطل أو المقوض للجيش

45

سيؤيد على الدفع فبهاهاا الفرقة في أي هجوم رئيس. مع قدرة القيلة على توفير دفاع جوي فعال أو حتى منع القوات الجوية الإسرائيلية من توجيه ضربات (جو - أرض) الصاعقة في عمق ميدان المعركة. دور الحماة لا يقتصر على مجرد جوية تحسم مسألة السيدة على الجو بل يقتصر ما لدى إسرائيل على أسلحة متقدمة مضادة للدبابات وطائرات عمودية هجومية، بل يمكنها أيضا استخدام صواريخ وقذائف لقتل الأرواح المتعددة بأعداد كبيرة في قطاعات الصراع تزيد على ٦٠-٨٠ كميترا. لم يعد الليل وسوء الأحوال أوصافا لسباقه لتسوية؛ الحرب إلى إسرائيلية قدرات متفوقة في الحرب الجوية، وإمكانات للإمداد والاستخبارات. يمكنها اختراقها العمل في أي طقس.

سيؤيد عامل المعوض

الارتباك الذي سيواجهه

الجوية الإسرائيلية بحيث تستخدم مزيجاً من طائرات التجسس الإلكتروني. مشوشات على اتصالات العدو. قذائف للمواجهة. أنظمة استهداف على الأرض. طائرات بدون طيار (UAVs). فضلاً عن تدابير لجمع الدفاعات الجوية السورية وقد حسنت

**الخيارات الإسرائيلية إزاء سورية**

كما هو الأمر بالنسبة لأي هجوم إسرائيلي في الاتجاه الآخر فإن الجيش الإسرائيلي حالياً يظهر اهتماماً ولا اعتبارات بين قوات مدرعة حاشدة، والاحتفاظ بخيار أسلحة أصنام لا الأراضي السورية. لا تزال الحروب المزعومة التي تنجح المأورة والانتصاف والاختراق في سورية خياراً قابلاً، لكن العمل الدفاعي في العمق يمتد استنزافاً أصنام لتقوات سورية مع إصابتها بإسرائيلية

يتمتع القوات الاسرائيلية عن القوات السورية منطقة محدودة القوات بعرض عشرة كيلومترات، لا يجوز فيها لكل جانب نشر أكثر من ستة آلاف جندي، ٧٥٠ دبابة، ٣٦ مدفع هاونز قصير المدى (يعادل ١٢٢ ملميمترا). وثمة منطقة أخرى محدودة القوات بعرض عشرة كيلومترات، لا يجوز فيها لكل جانب نشر أكثر من ٤٥٠ دبابة، ١٢٢ قطعة مدفعية

كلتا الدولتين تأخذ تهديد الحرب  
بجدية كافية للإعداد والتدريب استعداداً  
للصراع، قد يقضى إلى استخدام الصواريخ  
البالستية وأسلحة الدمار الشامل،  
فضلاً عن القوات التقليدية

# رائحة الحريق القادم!

سورية في عمليات تحت هذه الظروف - من جهة أخرى - إلى بطء حركة القوات السورية والسماح لإسرائيل باستنزافها أكثر خلال تقدمها.

لكن القوات الجوية الإسرائيلية تواجه قيودا عملياتية أساسية معينة في استخدام مثل ذلك الدفاع - فالقوات الحوية وحدها لا يمكنها تدمير كافة القوات البرية - لعدو رئيس مثل سورية - في غضون فترة قصيرة. رغم أنها قد تكون حاسمة لدى التعاون مع الجيش الإسرائيلي في هجوم جوي - أرضي كما يمكنها المساهمة في الحركة البرية؛ لكن القوات الجوية قرب الحولان هي قريبة جدا من الحدود. وأكثر بكثير من أي مزيج من فضاء جوي اعتراضى وإسناد جوي وثيق. يعمل كيدل لعمل دفاعي فعال من قبل القوات البرية الإسرائيلية.

كذلك، هناك حدود أيضا لقدرته إسرائيل على استغلال بعض قدراتها التقنية في بدايات اندلاع الصراع التي تكون أقل حدة في المعركة. فلا يمكن استخدام القوات الجوية بنفس المرونة في هجمات على مناطق مأهولة بالسكان. وأي جهد للقيام بمهمة دقيق في حرب المدن يتبرح محاطة بحدود الامراض الجانبية للسكان. ولا يتيسر عادة للقوات الحوية تحديد مواقع قوات حرب العصابات وتدميرها أو أداء دور حاسم في - صراع مخصص للكافة. وإذا كان للقوات الحوية الإسرائيلية أن تتكبد أقل خسائر وتوقع أقصى الضرر لسورية، فعليا إنجاز درجة عالية من المفاجأة التكنولوجية في قمع الصراع الجوي، وسماحات احترازية (واقائية) أو خداعية. كما تعلمت من حرب ١٩٨٢. ليس معقول أن تكسب إسرائيل على قدراتها في إسكات دفاع العدو الجوي هي هجمات محدودة على أهداف محدودة. شتمت العدو الوقت لتحسين دفاعه وتطوير تدابير مضادة.

يمكن لإسرائيل أن تصعد الصراع بسهولة وصولا إلى صرب أي مزيج - تقريبا - من الأهداف السورية خارج الحولان. فأي نجاح سوى كبير في هجوم على الحولان من شأنه أن ينطوي على محاطر انتقام إسرائيلي استراتيجي. باستخدام القوات التقليدية تمتلك إسرائيل حاليا إمكانات ونموها نوعيا كبيرا في الجو. ودقة في الاستهداف، والتهوم، وقدرات الحرب الإلكترونية مما يمكنها ربما من المعور بالمسيادة الحوية في غضون ساعات واحتراق جزء

من الدفاعات الجوية السورية على الأرض في يوم واحد. ثم يمكن لإسرائيل ضرب أهداف سورية عالية القيمة مع افلات نسبي من العقاب في حرب تقليدية. ولن يكون بوسع سورية الانتقام سوى بإطلاق عدد محدود من الهجمات الحوية والصاروخية.

## أولويات سورية

### الاستراتيجية الواقعية

لا يمكن لأهل الفطنة من صناع القرار بسورية أن يتجاهلوا حقيقة أن سورية قد أصبحت قوة عسكرية إقليمية من الدرجة الثالثة. وأن احتياجاتها الداخلية الأساسية هي الاستقرار الداخلي والتنمية. كما أنهم لا يمكنهم تجاهل مخاطر أي سياق تسليح مفتوح. ويبدو راع خارجي غير. لا تستطيع سوريا الحصول على الأسلحة التي تلمزها لتحديث قواتها. وليس واضحا ما إذا كان لدى قواتها الأسلحة القيادية. والاعتراف (المهينة). والقاعدة التقنية اللازمة لاستخدام مثل هذه الأسلحة إذا ما أصبحت متاحة. أدى إغراق القيادة السورية في اجراء التحديث والإصلاح الاقتصادي إلى شل قدرة سورية على تمويل قوات عسكرية حديثة ومواكبة التكنولوجيا الحديثة. كما قلص - بشدة - وعلى وجه الإجمال - التنمية والنمو الاقتصادي في سورية

ونتيجة لذلك فإن التحديات الاستراتيجية الواقعية (الحقيقية) لسورية ليست حربا مع إسرائيل. أو بدل الجهود لاسترداد الجولان. ولكنها إلى حد كبير أكثر تواضعا. يجب على سورية:

١. الاحتفاظ بأفضل وضع دفاعي في وضعها لردع إسرائيل دون استثمار الأخيرة لتجاهل رد فعل انتقامي كبير.
٢. إيجاد سبيل لتحديث قواتها بشكل أفضل. لا سيما منظوماتها الأساسية من صواريخ أرض-جو. ونظم القيادة والمسيطرات والاتصالات والحوسبة والاستخبارات. (BM net / I C4). ونظم الاستشعار.
٣. السعى لإيجاد توازن دقيق بين بعض التحديث للأسلحة الدمار الشامل ونظم التوصيل لردع إسرائيل. واستفزاز (استراج) إسرائيل للقيام بإجراءات أو أفعال احترازية واقائية أو لتصعيد واسع في حالة الحرب.
٤. السعى إلى إيجاد توازن بين الاقتصاد المحلى والاحتياجات الاجتماعية وبين نفقات التحديث العسكري.
٥. تحديد نمط هيكل (منية) القوات المسلحة التي تريد أن تؤنسها. لا تزال القوات السورية - وإلى حد كبير - منظمة ومجهزة لقتال حروب طويلة ضد إسرائيل. بالاشتراك مع جيوش عربية أخرى. فهي تفتقر لسرعة الحراك وقدرات القوة بانتصارات حاسمة في أي حرب مكررا.
٦. إقامة علاقة جديدة مع لبنان. لا تستند إلى احتلال أو جهود متواصلة للتدخل.
٧. التوصل إلى قرار استراتيجي حول دورها في السعى إلى عملية سلام ذات معنى مع إسرائيل
٨. الاختيار بصفة استعمال دور حماس. أو التوصل لعلاقة مختلفة أكثر استقرارا مع الفلسطينيين
٩. ردع أي شكل من أشكال الصعل السوري في الأردن من تهديدات

١٠٠

## القوات الجوية وحدها لا يمكنها

تدمير كافة القوات البرية. لعدو رئيس مثل

سورية - في غضون فترة قصيرة. رغم أنها قد تكون

حاسمة لدى التعاون مع الجيش الإسرائيلي

في هجوم جوي - أرضي

١٠٠

واجتياحات عسكرية إلى أعمال عنائية من جانب وكلاء وكلاء الاستخبارات السورية.

١٠. تأمين الحدود العراقية. وتقرير ما إذا كان استمرار الدعم للمقاومة العراقية يخدم مصالح سورية الاستراتيجية. لا سيما في ضوء احتمال سحب الولايات المتحدة لمعظم أو كافة قواتها من العراق بمجرد أن يبدو أمنا ومستقرا سياسيا.

١١. الحفاظ على الأمن الداخلي إزاء تهديدات داخلية خطيرة من متطرفين إسلاميين. وعناصر إخوان مسلمين. وتهديدات خارجية من حركات كالقاعدة.

١٢. تحسين الوضع المالي والنقدي. هاققتصاد سورية لا يزال إلى حد كبير تحت سيطرة الحكومة المركزية. وتمتقر قطاعاته الأساسية للاستثمارات الأجنبية والحيلة اللازمة

١٣. إيجاد توازن بين علاقاتها الاستراتيجية مع إيران. واحتمال التوصل لتسوية سلمية مع إسرائيل. وعلاقتها بالدول الأخرى. سورية ليست معزولة عن العرب فقط. بل أيضا عن دول عربية رئيسة بعد مزاعم تورطها. في اغتيال الحريري.

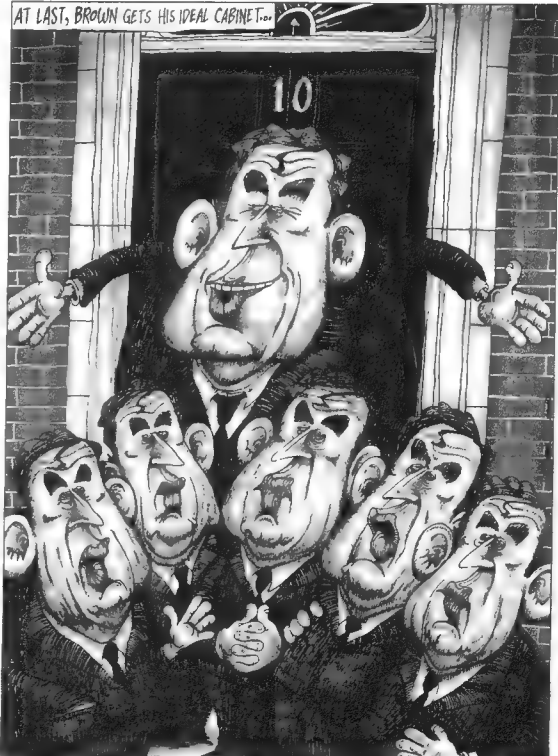
١٤. موازنة تمويل الحاجة للأمن الداخلي مع احتياجات موقف استراتيجي دفاعي أمام إسرائيل.

يجب على سورية أن توازن جهودها الأمنية مع الحاجة للتعاظم مع متكلات ديموغرافية رئيسة واتساع نطاق القوة العاملة. والحاجة للتنمية الاقتصادية وخلق فرص العمل. والحاجة للإنفتاح السياسي وهي الوفت الحاضر. تبدو سورية ملتزمة بالبقاء في قوات أكبر كثيرا مما يمكن أن يؤمل في تحديثه أو تصميه. وهذا لا محالة يؤثر على نموها الاقتصادي وقدرتها على صيانة استقرارها الداخلي. وتضع الحاجة لتعابير أساسية في كل من استراتيجية سورية ووضع القوات. ولكن ذلك كان واضحا بنص القرار ربيع قرن تقريبا. وقد تكون المحصلة النهائية أن طموحات وأفعال النظام خارجيا تؤدي إلى تفاقم التوترات الداخلية والمشاكل الأمنية التي ينبغي أن تكون بؤرة التركيز الرئيسة لصانع القرار السياسي. التحدي الاستراتيجي الحقيقي هو تحديد اجتماعي ونمو اقتصادي. أمر لا يمكن لقواتها العسكرية وقوى أمنها الداخلي إيجازه. ■

# من هــو جوردون براون؟

جوناثان فريدلاند

AT LAST, BROWN GETS HIS IDEAL CABINET...



■ كانت كل إشارة، سواء في ماضيه أو في طبيعته، أو في فوائده الثقيل السياسي الصارمه، توحى بأن جوردون براون مؤهل لأن يصبح واحدا من أعظم رؤساء الوزارة الذين لم تحط بهم بريطانيا. يمكن وصف مسيرته المهنية بأنها سلسلة من الفرص الصاعدة، إما بسبب سوء حظه أو استخاره إلى الشحاعة، حتى بدأ وكأن قدره قرر حرمائه من طموحه المزجج: أن يتزعم حزب العمال وأن يصبح رئيسا للوزراء. في عام ٢٠٠٤ قال جوناثان براون، وكان في وقتها رئيس موظفي توبس بليير، إنها تراجيديا شكسبيرية. إن جوردون براون يشبه القتي الذي يظن أنه سيمص ملكا لكن ذلك لا يتحقق له أبدا. لن يكون رئيسا للوزراء على الإطلاق.

لقد فانت براون، على أية حال، رعاة الحزب في ١٩٩٤، التي لم يرشح لها، فاسحا الطريق لتوني بليير الأصغر منه سنا. ومن النادر كما علمتنا السوابق أن تتاح فرصة ثانية. كان على براون أن يجثم منتظرا على أكثر الأغصان هشاشة. وهو غصن ولي العهد، لوقت أطول من أي من ساسقيه (ربما مع الاستثناء اليانيس لانتوني إيدن). قبل ثلاث عشرة سنة، لم يكن هناك سوى القلة الذين يراهنون على حظوظ براون، بالتأكيد سوف يظهر جيل آخر، بالتأكيد سوف يتعثر براون، خاصة حين تسلم الحزب السلطة في ١٩٩٧ وعين براون في منصب وزير المالية، حيث كان يمكن لاية هزة في الاقتصاد البريطاني أن تكلمه منحه

أكثر من ذلك، كانت الأسباب التي دعت إلى أن يكون بليير الاختيار المناسب لحزب العمال في ١٩٩٧ مازالت قائمة، فهي حين أن

Gordon Brown, Prime Minister

(جوردون براون رئيس الوزراء)

by Tom Bower

London Harper Perennial, 576pp

£ 8.99

Gordon Brown's Speeches, 1997-2006

(جوردون براون الخطابات ١٩٩٧-٢٠٠٦)

edited by Wilf Stevenson

London: Bloomsbury, 462pp.

£ 30.00

Courage Eight Portraits

(الشجاعة ثمانية صور)

by: Gordon Brown

London Bloomsbury, 274pp.

£ 16.99

بترتيب مع

The New York Review of Books

ترجمة بثينة الناصري



## في حين أن براون يمكن أن يكون ساحرا في الجلسات الخاصة، ولكنه يفتقد إلى الكاريزما الجماهيرية، إنه شخص لا يصلح للتليفزيون. أشعث الهيئة، وأحيانا يميل إلى إطلاق وايل من رصاص الإحصائيات



لنفس، مصبعا ٤٥٥ مليون استرليني بشكل أجور للمحامين والمحاسبين وحدهم، والصورة التي يعكسها الكتاب أن براون هي أنه مبدع خطط كبيرة بدون أدنى اعتبار لتأثيرها أو تكاليفها. إلقاء اللوم عليه كل هذا، هو دليل على مهاراته السياسية، إلا أن مهارته تتجلى واضحة في سجله الاقتصادي الذي اختار باور أن يصر عليه مرور الكرام. لقد تمتعت بريطانيا بنمو مستمر في كل فترات حكم حزب العمال (وهو اتجاه بدأ، إذا كان لابد من الاشارة، في السنوات الأخيرة من إدارة جون ميجور الحافظة)، وهذه حالة غير مسبوقة. براون كان وزير المالية الأول في حربه الذي يحافظ طوال مدة منصبه على الاستقرار والرفاهية، مخلصا الحزب مما كان عاقبا من عواقب الانتخابات، ألا وهي سمعة الحزب باعتدال إلى الكفاءة الاقتصادية.

أكثر من ذلك، لم يكن إنجاز براون في تراكيم الثروة فقط، وإنما بدأ بنوعه - نلأ يحيف مملكة إنجلترا الوسطى نصف الحافظة - إعادة توزيع بعض الثروة على الأكثر احتياجا، ذلك باور لا يعا يهدأ، بإنجاز براون في إنقاذ ٦٠٠ ألف طفل من الفقر (عنده هو تخفيض فقر الأطفال إلى النصف بحلول ٢٠١٠)، والاعلاء في ٢٠٢٠) مع أن عدين الإنجائين هما اللذان يصران وصوله إلى السلطة مؤخرا.



تركيز سرون على رفع مستوى المعراة، مع إدراكه بصيق أفق مناوئته، بسبب تلاشي شعبية الخنايب البريطانية للأشراكية التقليدية، ترميزت بشكل وثيق بشخصية جوردون الطيب، كما وصفه ريميله الوزير. خلال السنوات الطويلة للمعارضة الداخلية، صنع براون لنفسه صورة الأمين على شملة الحزب التقليدية، كان الوزير، في نفس الوقت، (جوردون الحيدوي) لأفراء مدينة لندن مع وعده بالا يمس شيئا من شرائهم أو يقف أمام صومعتهم، مع جوردون (الأحمر) الذي يدعو للقضية الضيقة لمساوئين لبياد الحزب، المستزمين خصوصا بأعظم اتحاد الحزب، وهي الخدمة الصحية الوطنية التي تحولها الدولة وقد تأسست عام ١٩٤٨. وكان الكثير من هذا هو الذي صنع صورة براون كبديل اشراكي ديمقراطي لبلير الذي

رئيسه الاسمي، وقد كان مصدر الصراع المتكرر بين الاثنين هو قيام براون بسد الطريق مرارا على بلير في سعيه للانضمام إلى العلة الأوروبية الموحدة. وقد ادار باور رجاء عبر عشر سنوات من هذا السلوك، واصفا كل فسخ وكل مصيبة نصيبها ببروقراطيو ويتحول للوزير سيئ الحظ، كل مراوغة لنيته، كل مناوئة من بلير والبليريين، خاصة مع إصرار براون في أكتوبر ١٩٩٧ على أن بريطانيا لا تنضم إلى اليورو حتى تلحق في خمسة اختبارات اقتصادية، صامنا بهذا الا يتخذ ذلك القرار الحيوي في مبنى رقم عشرة وإنما في وزارة المالية. كان ذلك استنزافا وزهقا، ومن الواضح أن باور يتوقع من قراله أن يصعدوا بما كشه.

ولكن كتاب باور، كما يتر هو نفسه، لم يكن محايدا... من الواضح أنه اعتمد كثيرا على البليريين على أعلى السلح مصادر معارضة لبراون، ويحمل كل من حاورهم ندويا من تسلط براون، ومن هنا كان محاسبه للانتماء. وكان النقد الأشد غراسة هو الطعن في كفاءة براون، مما ينافض الصورة العامة للوزير باعتباره حجر الأساس في حكومة بلير، والصرفي الصائد الذي يقف خلف رئيس الوزراء الشخصية التليفزيونية. يد ويستينج باور بمرحوظ الهجوم التقليدية المألوفة، بدءا من الزعم بأن براون كان موهوبا بالسلطة، ميالا إلى إدراك أصغر التفاصيل ليس في الاقتصاد بحسب وإنما في السياسة البريطانية الداخلية برمتها. حتى أن يلزم الزورات الأخرى بتنفيذ أزماء وزارة المالية ويعكس يهد بتخفيض ميزانياتها. (تحققت هذه السلطة بموجب مقنة غرانيتا سيلة الصبيت في عام ١٩٩٤ والتي سميت باسم المظم الذي وافق فيه براون أن يترج بلير لزعماء الحزب بدون مناه، في مقابل تأكيدات على ألا يتدخل أحد في شئون وزارة المالية، وربما أيضا - أنه لا سبيل لتأكيد ذلك. وعد باو يخلط (بلير).

باور يخطئ - براون لإطلاقه باستمرار خططا برزقراطية معتقدة و لجوئه إلى تشديد النظام الضريبي من حين وآخر، والتمسك بالشركات الصغيرة ومسيبها إريكسا للمحتاجين الذين يعتمدون على منافع الدولة، سواء في كتابة قانون الضريبة في سمانته صفحة أطول من النص السابق في أول ثلاث سنوات له في المنصب أو الترفيع الأخرق أشبه خصلصة مترو الخنايب في

المبكرة من بينها: محاولات هجمات إرهابية، وهيصانات ممتدة، والصفات التي كانت تعتبر نقاط ضعف، افتقاره لتبرير والتألق - أصبحت نقاط قوته، ويستسأل الآن أشد أعضاء الحزب المتحمسين عما إذا كان براون سوف يمزج بفترة راحة متوالية غير مسبوقة لحزب العمال، وما إذا كان سينجح. حيث فشل بلير، في قيادة حكومة عمال اصلاحية عظيمة.



واحد من كبار زملاء رئيس الوزراء مجلس الوزراء يتحدث بين الخاصة حول نسختين من براون، "براون الطيب، وبراون الشرير، وبارتاج يخيف الوزير: إن الأول هو الذي كان يقود البلاد منذ يونيو، الأخير هو الشخص الذي يبعثه توم باور في سيرة حياته، جوردون براون رئيس الوزراء..

لم يكن هذا الكتاب مفاجأة لقراء كتب باور السابقة، فهو يتخصص في عمليات الهدم التفصيلي، يقوم التفصيل والكشوفات التي يمكن أن تحطم الصورة العامة لشخص ما (من ضمن ضحاياها السياسيين أساسيين المنصب: روبرت ماكنسول وكورنراد بلاك الذي أدين مؤخرا). وحسب الأصول يقدم باور شخصية براون باعتباره مقبدا نفسيا - وهو وصف لبراون كان ويرا للمالية، فقلبه به أحد موظفي بلير مجهول الهوية ولكن يعتقد أنه كان السبر كامبيل السكرتير الصحفي السابق لبلير - ومن أشد أنواع الجوارح السياسية مرارة. وهذه البراون الذي انتخب للبرلمان في ١٩٨٣ كان شخصا فوصويا، قصه شقته بالورق والكتبت، تنتابه نوبات غضب شديدة ممانعة. يكتب باور في وصف ذلك، "كان يفقد مدود مرارا، يصرخ بشدة مقدعة في من يحترمه فاهي التزاغة أو الكفاءة، وقد استمرت هذه العادة وهو في منصبه، حيث يشتم براون أو يمتصر في وجه من يخافه، نافرا، على سبيل المثال، من المسؤولين الذين يشكو في خطوته التي رجب به الكثيرين، وقد اتخذها خلال أيام من انتخابه ١٩٩٧ منح الحرية لبلير إنجلترا في تحديد سعر الفائدة، ويقرر براون كل معارضة على أنها خيالة، متقلبا حتى على أقرب زملائه الذين فشلوا في إظهار إخلاص كاف له، وكان يصرخ بوجه بلير رئيسه الاسمي - بانتظام ويعارضه،

براون يمكن أن يكون ساحرا في الحلسات الخاصة، ولكنه يفتقر إلى الكاريزما الجماهيرية. إنه شخص لا يصلح للتليفزيون، أشعث الهيئة، وأحيانا يميل إلى إطلاق وايل من رصاص الإحصائيات، ويملك "وجهًا مثل صياح شتوي ماطر في مقاطعة فايت، كما وصفه الراحل روي كوك وزير الخارجية السابق. كان براون يفتقر إلى موهبة بلير الطبيعية لارتحال الملاحظات المتواصلة، وفي حين أن بلير يتكلم بلكنة جنوب إنجلترا، وهي المنطقة التي تنحس العوز لحزب العمال، كان براون من مدينة كركالدي الاسكتلندية القاسية، ورويت مكانه الاسترليني المشهود، كان يبدو وكأن قدره ألا يتسلم زمام القيادة، وإنما أن يكون، كما كتب توم باور، المهندس الاسكتلندي في الباخرة، يتكد في غرفة المكاني، يلعب الكباسات ويزيل الشحوم، ومع ذلك، ففي ٢٧ يونيو ٢٠٠٧، بعد ثلاثة أيام من اعلائه رسميا لحزب العمال في مؤتمر خاص، خلال جوردون براون ميني ١٠ دانينج ستريت رئيسا للوزراء، لقد اصاع جل السنوات العشر الماضية مصحورا في نزاعات مرورية وحروب مع بلير - حول اختيار الوزراء دور حول القسطاع الخاص في توفير الخدمات العامة، حول تبنى بريطانيا للعملة الأوروبية الموحدة، ولكن دائما، وفوق كل شيء، كان الصدام بسبب الطموحات الشخصية - كان الاشارة في مناعة حامية أصبحت المحرك الحاسم لحكومة العمال ويصمته وزير المالية البريطاني مدة والأكثر أهمية في التاريخ البريطاني، لقد تمكن من إزاحة حصة من المنافسين المحتملين لخلافته، وهو إنجازا بسبقه وسجرا بلا نظير. كان تفوقه كسحا حتى إنه لم يواجه أية مناهضة لزعماء حزب العمال.

وقد عدل نقاد براون توقعاتهم بما يتلاءم وواقع الحال، حتى لو أن براون حقق الاستحصال وفاز، فقد توقعوا أن يفسل في وظيفته، سوف تكون إدارة نائسة، تكرار لسنوات ١٩٦٧-١٩٧٩، حين تولى جيمس كالاهاون وزير ماليته سابق آخر منصب رئيس الوزراء خلفا لهارولد ولسون الشخصية الكارزمية ومبعد الإلام، ليواجبه كالاهاون المحتوم (وفي حالة كالاهاون، كانت مارجريت تاشر، ولكن مع ذلك فقد أريك براون المتكبر مرة أخرى، كانت أشهر الأول) في رئاسة الوزراء ناجحة، كسبت له فقرة في الاستاذة ذات وترحيب عام لمجالسته الحارمة والناطقة لسلطة من الأزمات





إن أحد الأسئلة  
 التي لاحظت براون منذ  
 بداية صعوده  
 المهني هو: هل يتمتع  
 بالصفة التي  
 يعجب بها كثير؟

يَعْتَرِفُونَ بِأَنِّ بَرَاءُونَ  
يَفْتَقِرُونَ لِلشَّجَاعَةِ

جديداً خاصاً به. وقد تصاعد هذا الحديث إلى درجة أن الحزب حين اجتماعه في مؤتمره في الأسبوع الأخير من سبتمبر لم يكن لدى الوفد والسياسيين والصحافيين أي موضوع يتحدثون فيه عنه. (ولكن براون تراجع مستعبداً إجراء انتخابات مبكرة) (الحرر)

لقد ساعدت أحداث استثنائية مبكرة في تثبيت هذه النظرة الإيجابية لبراون. فقد تبين ثلاثاً: سابقة - تنصبه هي


رقم عشرة، اكتشفت سيارة ممتلئة بمخفئة في  
مستأثرت ايند بلندن. اعقبها هجوم فاشل  
على مطار جلاسكو لم تكن هناك علامة  
على الذعر. لم يهرع براون لتيقظ الساسة  
الحكومات مصر على انه سيتولى السلطة  
وتنمسه او يجرى اقتال من اجل ان الحصار  
كما كان سابقه سيفعل. يدل من كل ذلك  
طلب من وزارة الداخلية جاكى سمث ان  
تتأطى الشعب. محققا وعده بان  
يستبدل «رئيسة» بليز بالعودة الى  
الحكومة المناهضة

وحيث اضطر التعليق بعد هجوم غلاسكو، فهل ذلك بمسامة وجدية وكان مناقش جريمة خطيرة وليس عملاً حربياً، هذا يطابق رفض براون لتعقيب الحرب على الإرهاب، والذي يعتقد أن يسمح مكانة كبيرة للإرهاب، وإلا سيؤدي المعالجة الحبيسة التي أدلت بسخونة

شديد وينص حساسة مما أكدته ذلك  
 الاعتقاد. على الأقل، صمم موقفه أن  
 ينظر إلى ورطة العراق على أنها مشكلة  
 بلير الشخصية وليس الحزب،  
 في ٢٠٠٤ كان موقف بلير هشاً... بعد  
 هزيمة صهيونية إلى غريب وتحقيق هوتو  
 الذي أعقب انتصار العالم الحكومي  
 ومعتش الأسلحة السابق في الأمم  
 المتحدة يبعد كيبلي. وزاد الطين بلة،  
 انقضاة سرلانية حول أجور التعليم  
 الجامعي، مما جعل بلير يتراجع من  
 أوجه الخطوط. كان مكان إلى براون

ان يقفله هو ان يقف جاسا ويشاهد  
 قصمه وهو يتهاوى. بدلا من ذلك، امر  
 الثاويين له ان يتراجعو، مما اعطى بلير  
 ثلاث سنوات اخرى في إدارة البلاد. الآن،  
 السؤال حول شجاعة براون يمتد الى  
 المستقبل. هل يلعب منه ان يقف في  
 وجه إدارة بوش. ان يعارض مضامرة  
 عسكرية مشنونة اخرى؟ هجوما على  
 ايران مثلا؟ هل لدى براون القوف لقيام  
 بذلك؟

  
 جورج دبليو بوش  
 ٢٠٠١

  
 جورج دبليو بوش  
 ٢٠٠١

يقترن جوردون براون من نهاية اول

مائة يوم في داوونج ستريڤ، وهي شجرة اعترف هو نفسه بأنها ستكون حساسة في تشييتي في قلب الناخب البرطاسي. وفي أواخر الصيف، تجاوز كل التوقعات. أظهرت توقعات مسكوك براون نفسه. فقد أظهرت الاستفتاءات المبكرة اكتساح براون عريضة الجاديدية التلمريزومية الزعيم المحافظ البالغ من العمر إحدى وأربعين سنة. يدفع كامبرون، حتى إلى معظم تخمينات وسائل الإعلام تركيزاً على احتمال أن يقوم رئيس الوزراء الجديد باستقالة ذلك التلمريزومي وبعده لتأسيس حكومة شريك بينه وبين الديمقاسيين.

كانت أمثال التهوويل على معالجة براون  
لفنضانات منتصف الصيف هي شمال  
وسط إنجلترا، وانتشار مرض  
والأمم هي المناسبة والصبر المالي هي  
مكتسب سيمبر الذي شهد هرولة أحد  
أنكر القرضين البريطاني، ومنه بنك  
نورثون رول (زعم أن هي هذه القضية  
الأخيرة جلب اختفاء سنة أول الأمر  
تقيداً على عودة أول الاختفاء  
الصامت (الظهور) - شهد براون أنه  
يستطيع أن يعتمد على وراثته، خاصة  
أنه كان قد اختار وزاء جديين، حتى  
الصحف المعروفة بدعائها اضطرت إلى  
التمحيص بطريق يوصل بموصل حكومة  
جديدة - حيث كان ستة وزاء منهم تحت  
الأمم - ولقد أوتى قطع الرجل  
المناسب في المكان المناسب.

كان براون يدرك أن عليه أن يترك انطبعا قويا قبل أن تذهب الأمة في إجازة أغسطس. ويسرعه شرع في محو الأجواب المزعجة في إرث بلير، حيث أوقف خطة لبناء «كارينو سوبر» على طراز لاس فيجاس في مانشستر. وهكذا كسبثناء من المحافظين الاجتماعيين في صحيفة التيل. وما عدا ذلك، لقاء

## كتاب الزاوية



### الديمقراطية في فكر

### رؤاد النهضة المصرية

دراسة الديمقراطية في مصر لا تتكامل إلا في إطار النوعي بالتراكم الثقافي لتيار التنوير منذ بزوغ خيوطه الأولى رغم المصاعب الجمة التي واجهها هذا التيار في تطلعه لبناء الأمة الواحدة على أساس العلم والعقل والديمقراطية والمساواة والحكم المدني. كما يقول الأستاذ نبيل فرج في كتابه «الديمقراطية في فكر رؤاد النهضة المصرية» الصادر عن مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان (٢٠٠٧) وحكم هذا التراث الديمقراطي وحده مستواه واتجاهاته مواقف أصحابه من التراث أو من المورث والوفاة. وكان هناك تباين واضح بين ٣ تيارات، الأولى اهتم بالتراث العربي وحده، والثاني بالثقافة المصرية الغربية، والثالث حاول أن يأخذ بنصيب من الاثنين.

وقد أحسن المؤلف صنفاً عندما عرض على صفحات الكتاب مواقف رؤاد النهضة في مصر من الديمقراطية لأن هذه المواقف جزء من تاريخ الشعب المصري وكفاحه في سبيل الديمقراطية بحيث يمكن القول بأن من عرض لهم المؤلف في كتابه هم آباء الديمقراطية في مصر.

ولأن النهضة المصرية الحديثة تجاوزت نطاق المحلي إلى العالم العربي، فإن المؤلف لم يفرق بين أسماء مصرية وأسماء عربية، ففرض لمواقف الأسماء البارزة سواء كانت مصرية أو عربية. وتنتشر «وجهات نظره» بعض مواقف لهؤلاء الرؤاد.

إضافة إلى ذلك أعلن براون أنه خطط لاستمرار سحب القوات البريطانية من العراق. وطبقاً لذلك فقد شهد سبتمبر انسحاب ٥٥٠ جندياً بريطانياً من البصرة. وهكذا أصبح الوجود البريطاني في العراق مقصوراً على مطار البصرة. والأهم من ذلك أن براون شرح مفهومه المختلف تماماً عما لا يريد أن يسميه الحرب على الإرهاب. والنقطة الجوهرية فيه هي البرهنة للراي العام الإسلامي أن الغرب يقدم أملاً أكثر من الإسلام العنيف<sup>(١)</sup>. ومن هناك جاءت رحلة براون من كاتب ديموقراطي إلى الامم المتحدة، مسلحاً بمزيج ديموقراطي للعمل على أهداف التنمية المتصاعدة. يعتقد براون أن الغرب إذا اهتم بمحاربة الإيذاء والفقر والمذابح الجماعية في أفريقيا، سوف لن تلقى دعماً من الديمقراطيين ضد القوى الامبريالية المتفسخة. إذناً مصفياً في العالم الإسلامي.

لقد أدى الترحيب الحار الذي استقبل به براون حتى الآن، إلى انهيار اسمه بلير. لقد أوضح رئيس الوزراء الجديد أن الأمور يمكن أن تدار بشكل مختلف، والأكثر أهمية من ذلك، أن براون لا يرى نفسه يحكم في الأيام الأخيرة لإدارة أهلة. وإذا كان ريملا صمياً بلير، مثل قروب مجنون في العلية، فقرر باستمرار على الأرض بالقلعة، كما قال مساعد سابق في داوننج ستريت - إذن ربما كان ذلك بسبب نفاذ صبره ورغبته في أن يحكم بدون عاقلة. الشيء الواضح الآن أن طموحه لم يكن للمنصب الرفيع وإنما للسلطة. ويبدو أن لديه النية لاستخدامها. ■

### الملاحظات

- (١) من أجل الاطلاع على بحث متحيز متماثل، ولكن هذه المرة إلى جانب براون، انظر كتاب زوربت بيستون (بريطانيا براون) الصادر في لندن عن شون بوكس ٢٠٠٥.
- (٢) من الممكن اكتشاف هدف متماثل في تأليف براون الاسمي لمجموعة من الصور لندسة ومتطوعين بريطانيين غير معروفين، والذي نشر بعد شهر من وصوله إلى داوننج ستريت. انظر كل يوم في بريطانيا (نشر انديرة /ميسترين ٢٠٠٧).
- (٣) انظر مائة مائة ديموقراطية، على الطريق مع جوردون بحثاً عن القلوب والعقول، نشر في السيكتاتور، ٢٠٠٧ أغسطس /٢٠٠٧.
- (٤) قدم براون لمحكمة من هذا التفكير الجديد في مقالة نشرها متزامنة مع لقائه الأول مع الرئيس بوش، انظر، شراكة لاأبد، (الواشنطن بوست ٢٠ يونيو ٢٠٠٧).

الجاردان المعادين لأخلاق الثراء السريع في عصر بلير. كما قام بخطوة كبيرة في انفضاله عن ثقافة البريوجاندة، بإعلان سياسة الحكومة على أرضية مجلس العموم بدلاً من تسريحها أولاً إلى الصحف المتعاطفة. وكان ذلك الأسلوب المفضل لدى الستير كامبل. وقد كشف عن برنامج للإصلاح الدستوري جعل منظمات الحملات الانتخابية يكاد يعمى عليهم، بضمنه وعد لتسليم السلطات التنفيذية الرئيسية - ومنها سلطة إرسال القوات للحرب - إلى البرلمان.

ولكن لم تكن النقطة أكثر وضوحاً منها في علاقته مع إدارة بوش. استخدم براون زيارته الأولى إلى الولايات المتحدة في يوليو للإشارة، بوسائل باطنية وعلمية، بأن تغييراً قد حصل، قبل قيامه بالرحلة، حذر وزير الخارجية الجديد سالونك براون، من أن لندن لم تعد، مرصعة على الركاب، في بيت بوش الأبيض. وقد انكر المتحدث باسم براون في وقتها تلك الجملة شتموه، رغم ما يعرف عن براون من إعجابه بكل ما هو أمريكي.

قبل وصول الأطفال، كان براون يقضي عطلة كل صيف في كيب كود، مختلطاً مع أفراد متنوعين من عائلة كينيدي. وكان الفكر الأمريكي هو المؤثر الرئيسي في تشكيل أفكاره، فقراءته الواسعة كانت تشمل مفكرين محافظين مثل جريترود هملفارب وجيمس كيو ولسون، وهو يتابع السياسات الأمريكية بتفصيل دقيق، بالتأكيد، من بين الاثنين كان براون هو الذي يميل إلى أمريكا وليس بلير. الذي كان يفضل البروفنس وتوسكان. ومع ذلك فإن أعمال براون في كتاب ديموقراطية أكدت حقيقة ملاحظة

اختفت الملابس الضميرية، والتحاطب بالأسماء الأولى والتصرفات الودودة غير الرسمية التي كانت تليق اجتماعات القمة بين بوش وبلير. وحسب طلب براون، ارتدى رئيس الوزراء والبرنس بدلاً من رسمية وحاطب أحدهما الآخر بشكل رسمي. أراد براون أن يوصل رسالة أن العلاقة من الآن سوف تكون مجرد علاقة عمل. وقد ساعد عجز براون عن إجراء الأحاديث الخفيفة، رغبته في ألا ينظر إليه على أنه «صاحب بوش» وأن «العلاقة الخاصة» سوف تكون بين بريطانيا والولايات المتحدة وليس بين رقم عشرة والبيت الأبيض. وكما علق أحد حلفاء براون فيما بعد، كان شيئاً رائعاً مشاهدة جوردون وهو يحول مثالب الطبيعة إلى مكاسب<sup>(١)</sup>.

# ”يوميات سليمية“

سليم تمّارى

عبدالله بن محمد



■ تظهر القدس العثمانية في معظم الكتابات التاريخية المعاصرة كمدينة إقليمية في أطراف الدولة العثمانية تتميز بنسيج اجتماعي طائفي ومتنوع. ويصور العديد من هؤلاء المؤرخين على مطابقة الوعى القومى والأثنى حدود الانقسامات الطائفية التى كانت ترسم معالم لمجموعات السكانية داخل البلدة القديمة. ويرافق هذا التقسيم الأثنى الطائفي عادة تقسيم تجمعات المدينة داخل السور في أحياء المسلمين والنصارى والأرمن واليهود في هذه الرؤية الصيقة نرى أربع حارات منحدبة تعزل حدودها البيات الضامس الطائفي والتخصص المهني. والمدارس والتكايا، والطرقات والأحلامات الدينية وفاق ذلك كله وفاق ذلك كله تحريم الشراخ والتشاهر خارج الديس والطاعة وهى هذا المنظار فان التعاشى والحراك الاجتماعي المحدود بين هذه الطوائف يقى محصورا في البيات السوق، التجارة والزوار الاجتماعي حتى انتهاء الحفية العثمانية

وتيسر حدادة المدينة من هذا المنظر كنتيجة لانهايار النظام العثماني امام الشاؤون العرسي، التفعّل الاقتصادي الأوروبي، والهجرة الصهيونية، ومتاربع التحديث الإدارى التى أدخلتها سلطات الانتداب البريطانية.

تقع همة مذكرات واصف الجهورية في انها تصور حياة يومية جماعية للقدس تبلورت في هذا النموذج التقليدي للمدينة. وتسقط الأصواء على رؤية معايرة بديلة هذه الرؤية تتصور حول مظاهر الحدادة المرتكزة على ديناميات داخلية في المدينة العثمانية في بلاد الشام. كما ان الجهورية يصور لنا وميرة اجتماعية عاصرها شخصيا داخل اسوار المدينة. تتسم بالحراك الاجتماعي والتداخل والمعامل بين أفراد

القدس في المذكرات الجهورية من مذكرات الموسيقى واصف جهورية (جزاى العثمانية/ الأندانية) تحرير وتقديم عصام نصارى وسليم تمّارى القدس - موسمية لدراسات نفسية ٢٠٠٣ - ٢٠٠٥

وعائلات الطوائف المحتلّة لا تنعكس في كتابات معظم المؤرخين للمدينة. بل على العكس فهو يورد القصة تلو الأخرى (راجع مثلاً رواية فصل الزوار المسلمين عن المسيحيين من قبل الشرطة البريطانية عند مدخل الحرم) التى تظهر دون قصد من الكاتب. أن نظام الأحياء الطائفية، كتقسيم إدارى هو في الواقع من نتائج سياسات الانتداب البريطانى على فلسطين، ولا يرجع إلى تقسيمات عصرية، من الفترة العثمانية كما هو شائع

ان استعمال تعبير الهجيب، في وصف المشهد الثقافي لمدينة القدس خلال فترة الحرب العظمى الأولى يجعل في طبياقه عدة مشاكل. فاستعمال الجاسى لهجيبية السائد في العلوم الاجتماعية المعاصرة يشير تحديدا إلى انتشار الهويات ذات الأثنية المتعددة المقاطعة في نفس الحيز الحضري. وفي تبلور تعابير ثقافية مركبة في نمط الحياة واللباس والطبخ والاستعمالات المنوية وهى بالأساس هجاة ثقافية تشاهدها اليوم في المدن الكبرى في الدول الصناعية وما بعد الصناعية التى اجتاحتها هجرات جماعية واسعة في العالم الثالث، مما نتج عنها تبلور هويات ثقافية ثنائية.

أما في القدس العثمانية قبل الحرب العظمى فتشاهد في الرؤية الجهورية لها تشكل وعى طائفي محلى في صراع أحيانا وفي تألب أحيانا أخرى مع التيار العرسي القومى ومع النهضة الوطنية الفلسطينية في مجابهة الحركة الصهيونية. ساهمت بطريقها الخاصة المذكرات الجهورية في رأيي في إعادة النظر في هذا الخطاب السائد حول الهوية الفلسطينية في محاسن الأولى يسقط بالاهتراسات حول طبيعة الهوية الداتية للمفدسيين بشكل حاص ولللسطينيين والشوام في هذه الفترة الانتقالية المهمة. وثانيا في تحديد علاقة الوجدان الدينى الشعبى بتبلور وتكوين الهوية الوطنية التى تتجاوز النطاق المحلى.

ومع أن المجتمع القدسي كان يتسم بهوية دينية قوية الملامح إلا أن حدود التجمعات السكانية لم تأخذ شكلا طائفيا بالدرجة الأولى، ولا طائفا ثانيا (ريما باستثناء التجمع الأرمني في منطقة



تحت مظلة علم الثورة الفلسطينية

البطريكية الأرمنية). بل احبذ طابع المحلة.. كما كانت تعرف الاحياء الالهيه في العترة العثمانية. وثبت إعادة صياغة وحدة المحلة في فترة الانتداب لصالح نظام الحارات الرباعي - الذي ارتكر الآن على قاعدة دينية طائفية وتفرعاتها الدينية الاصغر

فحارة النصارى أصبحت مكونة من دير البروم وتوابيعه. ومن تجمعات السريان والاقباط واللاتين. إلخ. وهي الشمال الشرقي للمدينة داخل السور ثم اطلاق اسم حارة المسلمين على المحلات (جمع محلة) التي ساد فيها اقلية اسلامية. وهو مفهوم انتدابی مستحدث بدأ بتكريس التقسيمات الطائفية في مواجهة تطور الوجودان القومي فوق - الديني

ولكن لتحدي تونس القومي ك - احد الاطر التي بدأت بإصعاف تواجد الطائفي بمرأها مما تواجد مقابل علاقات المحسوبية والحماية والمكافئ بين عائلات اشراف القدس وعلماهم من الصفات المهنية والصناع والمستخدمين. كما هو الحال في هذه المذكرات في علاقة الحسيني مع عائلة الجهرية وهي علاقة استمرت من جيل الى جيل

تمتد مذكرات جهرية الكاملة فترة سني عام (١٩٠١، ١٩١٨) من تاريخ القدس الحديث الفاضل. وتغطي اربعة اعظمه حكم وحسن خروب. والاهم انه سكن معلماً لانتقال المجتمع الفلسطيني إلى الحداثة وخرج سكانها إلى خارج بحوم اعلاق المدينة المسورة.

كان والده جريس (جرجس). مختار الطائفة الأرثوذكسية الشرقية في المدينة (١٨٨٤). وعصوا في مجلس بلدية القدس برئاسة سليم الحسيني وفيهض العلمى. وكونه ثمر مجاميعا. فقد اتم تالمانون الشرعى الإسلامى واتفق عده لغات بما فيها اليونانية والتركية والعربية وقد عمل فترة قصيرة محمى صرالم حكوميا. إلا انه تحول لاحقا إلى العمل الخاص فاصبح ملزم خريز نبحى في العربية ومالك ثمنه عام على مير الحربية كذلك كان صديق صوبت ماهر/ وهوسيفيا هابويا الامر الذى يعبر شجيرة اوصاف على تعلم عرف العود منذ شبابه المبكر

اما والده واصف. هيلانة بركات

فحدثت من عائلة أرثوذكسية بارزة كانت محض فيما أصبح يعرف لاحقا باسم حارة النصارى. وبما ان جريس. والد واصف. عاش في جنوس عائلته بركات لسكن قبل انتقاله إلى حارة السعدية. فقد أصبح صديقاً لوالد هيلانة. وعندما توفي هذا الأخير في سن مبكرة، تولى الشاب جهرية العنانية بولدى بركات وتزوج هيلانة التي كانت تصغره كثير عندما أصبحت نالعه

ان الصورة التي يرسمها واصف للحياة اليومية في محلة السعدية (الواقعة بين باب الساهرة وطريق الآلام). خلال العقد الأول من القرن الماضي. تشكل إحدى أكثر الوثائق قيمته عن الحياة الفلسطينية الدينية. على

الإطلاق والوصف يوفر مصدراً أولياً من الدرجة الأولى بالنسبة إلى المؤرخ الاجتماعي والباحث الأنثروبولوجي والتحوليات التي أدت إلى مرحلة انساق الحياة العائلية مهضبة رمزياً وموصوفة بالتفصيل الدقيق.

وتعزز رؤية جوهرية ذهنية لتقسيمات أحياء القدس. وكذلك تحديد التحول بين الجماعات السكانية التي كانت قائمة في شبابه، اعتقادنا بأن تقسيم المدينة إلى أربعة أحياء طائفية لم يكن يتوافق مع العرف السائد في زمنه، وإنما كان تطوراً لاحقاً. وقد وضع البريطانيون الحدود الجديدة لأغراض المعاملة على التقسيمات بين سكان المدينة على أساس إيجاد توازن طائفي جديد بين المجموعات الطائفية والأثنية الأربع. وكان أساس هذا التوازن الحفاظ على الوضع القائم في إدارة الأماكن المقدسة، التي جرى التناغم في شبابه في أواخر العهد العثماني. وجرى تفصيلها وتدوينها في بداية حكم الانتداب على المدينة.

واليوميات تتحدى ضمناً هذا المفهوم المسبب لتكوين الأحياء، القائم على تنظيم العلاقة بين المقدسين على أساس دينهم المدينية والإثنية. وفي تصوير واضح للحياة اليومية في أرقعة المدينة القديمة، يستقرى انتباهنا صعب ذلك المفهوم على صعيدي، واحد يوحي بأنه لم يكن هناك تطابق واضح بين الأحياء والديانة. فنحن نرى اختلاطاً كبيراً بين الجماعات المدينية في كل حي. وعلى الصعيد الآخر، فإن الوحدة الانتدابية الأساسية في البلدة القديمة كانت المحل شبكة الأحياء ذات التحول الاجتماعي التي ابدي الناس في داخلها درجة عالية من التضامن بين الجماعة السكانية وقد تم التعبير عن مثل هذا التضامن في الزيارات التورية والمشاركة في الطقوس بما فيها الأعراس والختانات، كما في المشاركة النشطة في الأعياد الدينية. وهذا التضامن يضعف ثبات النظام الطائفي الموروث من حقبة ما قبل الحداثة.

لكن الحدود الطائفية كانت تتزعزع أيضاً جراء نهوض الحركة الوطنية في فلسطين بداية في سياق الحركة الدستورية العثمانية في نهاية القرن وخمسة عشر بعد انقلاب سنة ١٩٠٨، التي تلقى الكثير من الدعم في دوائر التقنيين في القدس. ولاحقاً في الانحيازات المناهضة للترك في إطار الحركة القومية لسورية الكبرى. ويمكن الشكاف هذه



تسليم من قبل يهود القدس إلى أخيه هيرشمان خبث من يدك في مجموعة حصرية

موشيه، مؤسسه باعسراق وحدة الحال (الانتماء الوطني) بين العربيين الفلسطينيين الحديث وبين الوعي الطائفي اليهودي، حتى قبل ترسخ الصهيونية في أوساط سكان المدينة اليهود

#### تناهى المدينة الحديثية

توهر يوميات جوهرية للمؤرخ الاجتماعي سجلاً معاصراً فيما يتعلق بتناهي المدينة خارج أسوارها أيضاً ومع أن أحياء الشيخ وحمين موشيه والوعرية، كانت قد أُنشئت قبل زمانه، فإن وأصف يروي قصه تناهى عن المصراة وحى

التحوليات في هذه المدكروبات مصادفه بصورة استثنائية، جوهرية - الذي لم يحرط في أي حركة سياسية، لكنه كان عثمانياً وطنياً ثم لاحقاً فلسطينياً وطنياً - كان يؤسس بوضوح بأن التحرك نحو لحداثة (إما فيها الالتزام بمبدأ الوطنية العثمانية) مرتبط بالحرركات السكس إلى خارج المدينة من قبل الطبقات الوسطى لصاعده وكان أبناء الأعيان قد أسسوا قاعدة سكانية جديدة في الشيخ جراح إلى الشمال. وفي منطقة الوعرية إلى الجنوب من المدينة منذ منتصف القرن التاسع عشر. وفي أوساط السكان اليهود كانت حركة مماثلة حدثت من خلال بناء الأحياء الجديدة في منا شعازيم ويصين

المسكوسة على امتداد طريق يافا في صباه، تم عصيتها أحياء الطائفة والمصطفيون في الثلاثينيات من القرن العشرين وكان شاهداً على تدشين الطريق الجديدة التي تصل المدينة القديمة بالمصراة، رعاية رئيس البلدية فيص الطمى سنة ١٩٠٦م، وشهد هذا التوسع - وأحر مثيل سبقه في البقعة - انتقال مئات العائلات (كثير منها منكور بالأيام هنا) إلى مبان حديثة من الفرديت والاسمات المسلح شخصيات الحديد، واستمر سكان جميع هذه المساكن الحديثة في بناء أحوال تتعدى بناء المطر في هائلها، لفناء حاجاتهم اليومية في فترات صيف القدس الطويلة والجافة وإلى هذه الأحياء أدخلت أيضاً وسائل



الشارع في بغداد، العراق، عام ١٩٩٠. في الخلفية: مبنى البرلمان العراقي

الحيرد كانت تسكن بينهم اعتباراً ثانوياً بالنسبة إلى براءتهم المديس الأوسع كذلك ما من شغل في ابن عائلة جوهريّة على الرعة من وعيها العميق لتراثها الأرثوذكسي. كانت الصداقات أعمق لتعاضد الإسلاميه وقد حمل جريس صباء يفرعون القرآن ويحفظونه في سن مبكرة وعندما مات في الأول سبتمبر ١٩٩٤ رثاه خليل السكاكيني (موت جوهريّة تشبى عصر الطهر)، وتبعه الشيخ علي التريماوي، صديقه الحميم لم اصق ابن روح الجوهريّة تبقى في (مقره) صهيون، بل تنقل في هذه الليلة إلى (مبصرة) مامى الله!! ومثل هذا الموقف يتجاوز

لدى هبوط أول طائره في لغمعة الموقف ينفذ صائغان ماني وبركي وواصل لدى كان مسجود يعمق في شئون الطائفة لارثوذكسية لغرضه يدي مع ذلك تعاضدا قريب في التفرقة الاسلاميه لخدمه وترغمه ربيعه على اعادة النظر في لغرضه التقنييه بنات سبيه القدس الطائفة والتفهمه في العصر لعصامي المتأخر وعلى سبل المثال قصص لا حصر لها الكسر منها قصصا حزينه وترسم صورة حبه لبعاس عمق الجذور من عائلات مسيحيه ويهوديه في قلبه ما صح يعرف بالحنى الاسلامى ولم يكن ذلك نحاوّر متساعدا لافقياد ديمه تسمع نالحاميه واما الحرايط ابحاس في شون

من دون حضان سارة هوزر يسوقه السيد هيسر من لكونونية لامريكية على مسرد البلدية تأخرت من سراج يافا وهي صيف سنة ١٩٩٤ رك حجاز مع والدته الى لسمعه في صاحبه القدس الحوسب لشاهد هبوط طائره عسكريه عثمانيه فيقول كانت لسميه مفسدة من سكانها في يوم الصنف الحار راف وجمع لتابعون لمحاولون ثروة من سبلاء ولتواء الحط تحطمت الطائره في سبخ طبرية! وقتل طياراتها البركسان الصالحان نوزي واسماعيل وقد اتف واصف مرثيه حاصه على شرهما والى كعب ندعى عسك في جميع أنحاء البلد وهي حريف ذلك العام سلطان بن سو حدى في حوب القدس

العدائه الكورياء. أولا في مجمع بوتهدام في مقابل المواجهة الحديدية تماما، والسيارة على طريق يافا، والسينما، وهوق ذلك جميعا، الفوتوغراف الذي أدخل جوهريّة الى عالم سلامة حجازي وسيد درويش والتمتية هي صورة حميمية لحداثة القفس العثمانية في اللحظة نفسها التي كانت الصهيونية على وشك الصدام بالحركة الوطنية الفلسطينية الناشئة يروي جوهريّة قصة دخول الصوبوغراف والسليما إلى مقاهي المدينة سنة ١٩١٠ والدفقة التي مر بها عندما رأى الصور المتحركة أول مرة في المسكوبية وكان رسم الدخول بشللك عثمانى، ويدهج عند الدخول). وفي سنة ١٩١٢، رأى أول مرة عربة

متلما كان الحال مع الشراب في العلب، والعلاقات بين الجنس من دون خوف من عقاب، ومصدر آخر من الحماية لحالات العرب الاجتماعية هذه هو أن القدس كانت لا تزال مدينة معلقة إلى حد ما. ويظهر فيها تدفق محدود من القرى المحيطة، أو من جبل الخليل. من الفلاحين المهاجرين الذين خلفوا لاحقاً أجواء محافظة أصبحت المدينة معروفة من خلالها.

### تعددية الطقوس الدينية

تدعو مذكرات جوهريّة القارئ إلى المشاركة في عالم من التسامح الديني والتعدد الثقافي اللذين يصعب استيعابهما في الأجواء السائدة اليوم من الانعزالية الإثنية والأصولية الدينية. لقد كانت فترة ما قبل القومية التي غمرت فيها الهوية الدينية، الأخرى، في عيادها وطقوسها. ويرى جوهريّة عن فترة عيد الفصح كمناسبة للاحتفالات الإسلامية. المسيحية اليهودية وهو يصف في وصف موكب أحد الشعانين، (التي كانت تقدم من المسجد الإبراهيمي في الخليل إلى القدس)، وعيد النبي موسى يستعظم هنا (أحد احتفال شعبي إسلامي) يندمج في عيد الفصح الأرثوذكسي الشرقي. وأناشيد تسمى النور، (في ذكرى القيامة المسيح) التي تستمرّ بهم حتمال شعبي مسيحي في فلسطين، منسقة بصورة وثيقة مع الأعياد الشعبية الإسلامية وكان الإيمان المسلمون والمسيحيون يحتفلون بعيد نوروز، المسافر، في الأحياء اليهودية. ويصف واصف بدقة الآراء التي ارتدوها في هذه المناسبة، وشركت في العام، شاركت عائلات مسلمة ومسيحية، نص فيها عائلة جوهريّة. في الاحتفال باليهود على صريح شعوم الصديق في الشيخ جراح (والسباسب معروفة باسم، شطحة اليهودية)، حيث كان، حاييم عازف العود، وكري، صارت الدف، غنيان مبرعاة جراح أندلسية.

لكن أهم الاحتفالات جمعها كانت تقام خلال شهر رمضان، وبخاصة واصف فضلا كبيرا من مذكراته لوصف حياة الأعياد في الشارع، والأطعمة، وعروض الأراجوز الدرامية، والصاخب المسرحية، والتكثير من مسرحيات الطفل كان يؤدي خليط من اللهجات التركية الاجتماعية والحيثية، التي كان المؤلف يعيد إبتهاجا بامانة، ومع انه لا يقول ذلك صراحة، فإن بعض المسرحيات التي جرى تمثيلها، تضمنت اجتماعات خريفة، وقصدا سياسيا مبطناً للفظاظ، وكان عدد من صانعي البصائع ومؤسست الحولوى (مثل

الواقعة خلف مقبرة ماميل، حيث كان يعزف لسيدات روسيات ويونانيات برهقة راغب بك التشايشي (رئيس بلدية القدس لاحقاً) وإسماعيل الحسيني (إلى إعادة النظر في صورة القدس في بداية القرن، لا سيما كترسار ما توسع - ريفاً - بأنها مدينة متجهمة ومحاطة وكنيسة من قبل الزوار والمحليين، على حد سواء) ويقتطف إدوارد سعيد عن أبيه، مستذكرا حياته المبكرة في المدينة قوله: «إن الشيء الوحيد الذي قاله عنها إنها ذكرته بالوت»، كيف نعلم هذا التناقض في صورة القدس؟ علينا أن نتذكر أن القدس كانت مدينة دينية. لكن ليست مدينة معالية في بلدتها، الأمر الذي يعني أن موقعها الديني ولد عددا كبيرا من الصناعات والخدمات التي أقيمت كخدمة قطاع ضخم من الحجاج الزائرين، لكن سكانها الأصليين لم يكونوا بالضرورة أكثر تدنيا من مراكز مدنيته في المناطق الجبلية، همل سبل المثال. كان لكل من نابلس والخليل والماصرة سمعة دينية أكثر تزامنا من القدس.

لكنني اعتقد أن التفسير الأقرب لهذه الليبرالية الاجتماعية تكمن في مكان آخر فربما جوهريّة تأتي من فترة سابقة لتاريخ المدينة، عندما كانت العوازل الطبقية والامتيازات الإقطاعية تخلف سماحا معينا. تظهر التحليل العليا فيه بأنها معصومة في اصنام سلوكها عن الصوابط الاجتماعية لجمهور العامة. وفي كثير من الأحيان كان أبناء هذه النخبة يتشابهون بهذا السلوك



خمس مئة وخمسة عشر



خمس مئة وخمسة عشر

الذي كان يملكه حماه. وفي إحدى المناسبات، رافق واصف بديعة على عوده في حملة استمدت طوال الليل، استادت في مقهى جوهريّة واستمرت في بيت والده. وهو ليلة احتفظ بتسجيل هوبوغرافي لها لوعله نها. وكانت بديعة واحدة من عدة فنانسات مصريين ولبنانيين ممن أقاموا وأصاف علاقات بهم، بمن فيهم سلامة حجازي، وادود حسني، والشيخ يوسف الميلاوي. وقد أصبح كثيرون من هؤلاء الفنانين يتمتعون بشعبية في فلسطين مع استيراد الآلات الموسيقية الجديدة. بداية، آلة التشحيل الشامي الأسطواني، ومن ثم العرامهون المصير يدويًا، الذي توضع عليه الأسطوانات البلاستيكية ذات الـ ٧٨ دورة في الدقيقة والتي يشير إليها باسم فونوغرافيدس. ولدى بداية الحرب العالمية الأولى، كان في القدس عشر آلات كهذه فقط، شمن كل واحدة منها نحو ٢٥ حنينا. فريسي، وهي ثروة صغيرة في تلك الأيام، الأمر الذي يجعل الحصول عليها مقتضرا على عدد من المالكين القلائل وخلال الحرب، ما عدد من مقاهي القدس يجب الزائرين عبر شراء فونوغرافات وعرف قطع مختارة بحسب الطلبي.

وقد وصف صوتها وانعا، حتى مغلولًا كثيرًا للواء في الأعراس، جتلى وهو في سن المراهقة. لكن حبه الأندى كان إلى الحد بحلول سنة ١٩١٨ كان انتقد في العود الذي جعله أكثر العازفين المشهورين في فلسطين، أو هكذا يدعى. وكان يعرف الوداء لثباته الدينية ساما وعادة في بيوت خاصة يحتفلون بها لصديقاتهم. وقد احتفظ عدد من أبناء العائلات الأرستقراطية المقدسية - بمن فيهم آل الحسيني والتشائسي - بسبق خاصة لصديقاتهم في ضواحي المدينة لحسد - وتكرسات مذهب يونانيات ورومانيات ويهوديات، وتفسير مذكرات جوهريّة، في التكرس في واقع المنسبب لاحتلاله لنسب صفات برهقة أسماء النخب الاجتماعية ومعتقداتهم. برهقة مغربيين مسلمين ومسيحيين ويهود

هناك سمة أخرى للخدمة التشايشي في القدس، المتعامدة بزد دكرها هنا في الأروسة، التشييشية تشتهر العازب في فرنسا ولكن من عازد الجرح العزب من اساءة لطمع، لطمع في المدينة المصيبة من سماعه، تشتهر معروضة ذات عروبه واحد حب، كانوا يعضون مساهم بلعوبوا لوزي بيرهون ويوسون وفي ليلة الأحد القوطية يحبون حبات عود، ويحبل جوهريّة عددا من الأروسة الخمره حبا، في المدينة القديمة العازب حراج، حيث كان يؤدي موسيقى، ولعبة أعوام كان هو نفسه يحمل مصاح أروسة حسن هاشم

مساهم كبيرة نشاط التعايش العادية التي كانت راجحة في ذلك العصر. ويلاحظ واصف كيف أن عواصم من الطائفة الأرثوذكسية ندان يعضه - يوه - يعضه فيك؟ صاير مسلم، يا أختي من كثر ما يعاشر المسلمين!! إلا ، وهكذا اكتملت والدتي وحالات أن تدافع عنه.

### مقهى جوهريّة

يدخلنا جوهريّة إلى وسط اجتماعي مقدس غنى، في فترة ما بعد الحرب وفي العشرينيات، والذي يمكن وصفه أيضا بأنه مجتمع طرب ومتعة، حملات ليلية من تجمعات الندماء والرقص والتدخين.. تتكرر على امتداد الخطوط، وقد قدمت العائلة مساهمة كبيرة لهذا الوسط الفني الاحتفالي من خلال افتتاح مقهى جوهريّة سنة ١٩١٨. بالقرب من المجمع الروس عند الدخول الجنوبي لطريق ياهو وقد جلب خليل شقيق واصف، إلى هذا المقهى، محاضرات كان اكتسبها في بيروت في أثناء خدمته في الجيش العثماني. وقد شملت هذه تقديم وجبة، مزة، خاصة مع طلبات العرق وآاء الملتج، الذي كان تحديدًا في القدس، وأصبح مكانًا يادخل مولدات الطاقة الكهربائية. وخلال أشهر على افتتاح المقهى، أصبح نقطة جذب رئيسية للباحثين عن لطرف في جميع أنحاء المدينة واشتهر باستقدام أفضل الفنانين إلى البلد، بمن فيهم الشيخ أحمد طريفي، ومحمد العائش، وركي أفندي مراد، وبديعة مصابني، وقود علاقة واصف ببديعة مصابني، وروحها نجيب الرواحي إلى هذه الفترة. وكانت مصابني تزور ياهو في زيارات غنية من حين لآخر في أثناء الصيف، في طريقها من القاهرة إلى بيروت وأحيانا قد تصل إلى القدس بداية انتفاها واصف في صيف سنة ١٩٢٠. ومن (٣١)، عندما كانت تؤدي زورها الفن من مسرح وفراق عازب حراج نوب الحليل مشاهير وهو يستحل عددا من مفعولاني، العادية لرفضة لتي كانت تؤذيها لمسان شفاف كما أدت عدد من أعاص سيد درويش، التي كانت لها تشعب كبيرة، وخصوصا مسرحيتها الاجتماعية بالاعتماد على الحق على الأعاص وكان أحد المقاطع الشهيرة التي غالبا ما يلقيها جمهور مستمعها التي أعادتها هو إمتى بقي شوق قرش الشرقي يفضل بيلده ولا يطلعتي ولا حما ولا واصف يسمى سبعة قصود تشييشي في حفلات خيمية في قصور أعاص لعبد مثل فخرى التشائسي ومصطفى الحسة أو في فندق سانت جون





صورة لأحد أبناء فلسطين ملقاً على عود المشقة أمام باب الحين في غسّس في حو سن عام ١٩٤٥ - مسو حين يغدس في مجموعة مؤسسة الدراسات الفلسطينية بيروت

## أبى يحفظ القرآن

القرآن في نسب و ب تسميد في مدرسة السبورية، هذا ما قرئت سورة قراءة غير صحيحة فكان يردني من غرفة الصالون عينا فخرج عن خطئي وهكذا كان شريكاً في المحامدة مع داود حمدي ثم مع فرانسيس لبيب ثم مع سارة طنوس في يافا وكان هذا يزور وبناد في بيتنا عند ريارية نفس واني لم أزل أحتفظ ببعض "نوكلات" اسمه ومن صممها وكثرت من عائلة سرسقي في بيسان كما اني احتفظ بأوراقه بحظ يده التي لها علاقة بالمحامة واني أؤكد للقاري بأن حطه أفضل من خطي يا صاحب هذا الكتاب وان اسمه مدون كمحامد معروف بالقدس في مجلة خاصة كانت تصدر شهرياً في الأستانة رسمياً. وان وكالة سرسقي وتيان في لبنان باسمه والذي مؤرخه.

عندما تعلم بأن جدى خليل جوهري توفي عندما كان والدى جرجس يلعب الكلول تعترف بأنه كان قاصراً فتعلم اللغة العربية ثم التركية ثم اليونانية لوحده وبدون مدرسة. وأخيراً تعلم القانون وأصبح محامياً معروفاً في المحاكم الشرعية ومحامياً في المحاكم المدنية عند فتوحها بالقدس زمن وأصف بك العظم من دمشق رئيس محكمة الحجاز. وقد سافر إلى استانبول في ذلك الزمن مرتين عرّفني الرحلة الثانية كانت بوظيفة خاصة للبطريرك زيمانوس وكان معه المرحوم يعقوب سعيد وأخته أم جورج أدركني وكانت رحلته الأولى للتجارة في الكراب.

كان حافظاً للقرآن ويحسن قراءته حتى إنه كان يصحح خطئي عندما كنت أراجع درسي في

ولا يلمن) يستخدم الحفلات لتقديم عروض تجارية، يعنيها ممثلو الطل، لترويج البيعات

كذلك كانت المدينة تحتفل بمناسبات موسمية لا صلة لها بالاعياد الدينية ويحدد وأصف مناسبتين علمانيتين، شطحات الصيف إلى سعد وسعيد، وزيارات الربيع لبشر أيوب، وأصبح موقع سعد وسعيد، في الفترة ما قبل الحرب العالمية الأولى، المكان المختار للعائلات المسيحية والمسلمة للترفيه في أوقات بعد الظهر من الصيف الحار. وقد شجعهم على ذلك بصورة خاصة تنامي القصور الحديثة حول المصرة ومنطقة الشيخ جراح وفي هذه الطلعات، كانت تستهلك كميات كثيرة من الشراب والأكل، وكانت تستمر عادة، إلى ساعات المساء المتأخرة، عندما كان على المستمتمين أن يعودوا قبل إغلاق نوابات المدينة. وفي الربيع كانت هذه الطلعات تتوجه إلى بشر أيوب، عند ينباع سلوان الحتا، حيث كانت عائلات القدس تجد مخرجاً من شتاء البلدة القديمة القاسي. ومع تطبيق شروط هذه بلعول خلال

الانتداب البريطاني، وصلت هذه الفترة من التسامح الديني إلى نهايتها فالحرية الوطنية الفلسطينية، بالرغم من كونها في جوهرها حركة علمانية، بدأت باكتساب حماسة دينية، والسلطة الكولونيالية الحديثة بدأت تفسر الانظمة بشأن السيطرة الدينية وحق الوصول بمصطلحات الانعزالية المذهبية ومنع المسيحيين من دخول الأماكن المقدسة الإسلامية، والمسلمون من دخول الكنائس المسيحية والأديرة لمرسوم عسكري. وكانت العادة في تلك الأيام بالنسبة إلى الشباب المقدسي، في جميع الأديان - الخروج إلى الترفيه في المروج الخضراء داخل منطقة الحرم ومع دخول الانتداب أصبحت المنطقة محظورة ويصنف وأصف معاصرة قام بها في يوم يرمي في نيسان/ أبريل ١٩١٩، في أيام الحكومة العسكرية البريطانية الأولى، عندما تظاهر دانه مسلم، (أو مسلمان بلغة اليهود) أمام حراس معطفه الحرم اليهود، بينما منح رفيقه محمد معروف، ذو العيّنيس الرقائوس، من الدخول. لا وأصف، أوضح لهم، انه يهودي

### البحرية العثمانية

أضفى نشوب الحرب العالمية الأولى خمسة قرون من الحكم العثماني للقدس وفلسطين وفي سنوات الحرب، مر وأصف بأشد فترات حياته درامية، موت والده بلوعة من الرشد،

انتقاله إلى أريحا. تجنيدته في البحرية العثمانية، في البحر الأبيض. شهدت الحرب، تجنيد الألاف من شباب القدس في الجيش العثماني، وفيهم الكثيرون من الرجال المسيحيين المقدسيين. فصح إاحال إصلاحات التنظيمات سنة ١٨٣٩، وخصوصاً بعد إصدار قانون الولايات، سنة ١٨٦٤، لم يدم أبناء الأقليات الدينية محضيين من الخدمة. وشهد واصف الكثيرون من أبناء عائلته القريبين، وأغلبية معارفه، يرسلون إلى لجهية السورية، وضم هؤلاء اخاء الأصغر لوجبة، الذي نقل إلى دمشق بعد فترة قصيرة من العرف في الفرقة العسكرية التركية في القدس، حيث أصيب بجرح باعثة في العنق، ولاء الأكبر خليل، الذي عده في بيروت، ومع اشتداد تطويق الحلفاء للجيش العثماني، انطلقت قيادة العامة، بإمرة جمال باشا، ضد القوميين العرب في سوريا الكبرى. وكانت خليل لعرب نفسه شاهد على عشق سكان الوطنيين العرب علناً فيما سمى لاحقاً ساحة الشهداء في بيروت. أما بالنسبة إلى واصف، فحارب كانت تعنى أريحا، والبحر الميت، وإذماره المهني الموسوي في سنة ١٩١٧، سلم نفسه للأساسية الأولى. عاملًا ذلي، حسين بك الحسيني، هي إدارة تجارة الحبوب الخاصة به بين فلسطين والأردن، والذي كان العثمانيون أغفوا الحسيني ثوا من عمله رئيساً لبلدية القدس، وذلك لمصلحة ضابط تركي (وأي واصف في هذه الخطوة بداية تقربك نظام الإدارة العثمانية). وفي غياب معبر للمصانع على نهر الأردن، كانت التجارة تمر عبر البحر الميت في مراكب يملكها آل الحسيني. ومع بداية الحرب، وصفت البحرية العثمانية يدها على هذا الحط الاستراتيجي، وجرى تحديد واصف في البحرية وفي مخصصه عشرة من صغره (مع انه يجب أن يكون الـ ٢٠ عاماً، ويصيب فيه خمسة ثلاثة أعوام من عمره ليسوا غير مخصصه). وقد أصعب واصف، خلافاً لأخيه، ونظراً إلى مهاراته الموسيقية الغنية سنوات الحرب يمتع ضباط البحرية الأردنية وعثمانياتهم وسرعاً ما أثبتن ميانه على الشاطئ العربي للبحيرة. وأعطيت للجوهرية وطيعة قطارجر، نائب المصيطر المسؤول عن وزن الفحم المشور، الذي كان يشترى من القبائل السورية في منطقة الأردن، ويتنحسح عبر البحر إلى الحاصب في فلسطين. وقد أصعب واصف ما تلقى من الضغوط الحرب (عسكري حبوب، في الهار، وصادق عود، في الليل، كما يسمى نفسه. إلى أن أعص من مهماته لدى هزيمة العثمانيين على أيدي الحلفاء.

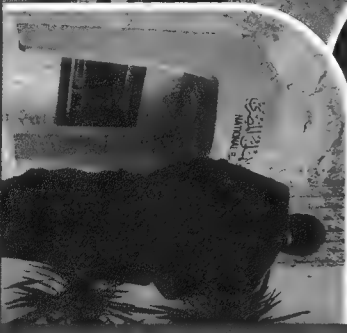
لقد كانت تجارة الحبوب شريان الحياة للجيش العثماني، ومصدر ثراء بالنسبة إلى آل الحسيني ولهمنا تزويد ثابت من شرق الأردن، وتلغز جبهة فلسطين ضد قيادة الحلفاء في مصر. بنى العثمانيون ميناء على الضفة الغربية للبحر الميت، وكان ولي آل جوهرية حسين بك، وكذلك واصف نفسه منخرطين مباشرة في بناء الميناء، وتضمنت العملية تجنيد عشرات الملاحين العرب من يافا، الذين حملوا معهم تقاليدهم البحرية وجلبوا عائلاتهم إلى أريحا. كما نقلوا برعة عدد من شرعية مراكب من البحر الأبيض المتوسط. وقد أوجد حضور الملاحين جواً ساحلياً مديكاً من الضباب والغشاء والمحر (بما في ذلك حملات التحصين الليبية)، أقام أول جوهرية خلال سنوات الحرب، وبسبب قرب واصف من آل الحسيني، وزميا بحرية، مضادة تعيينه في حامية أريحا البحر. كان شاهد عيان على زيارات كما بها أنور وجمال باشا لفلسطين في سنة ١٩١٦. وهو يذكر أيضاً حادثة هزلية، إذ حاول تقديم التبع إلى جمال باشا، الذي لم يكن يدخن وتال لويضا عسكرياً على سلوكه الأرغن. إلا أن موقفه من قائد النظام العثماني الجديد متشكك، هي إحدى أحداث سنة ١٩١٦، يصف الحصانة والوادة اللتين إيداعها السكان الفلسطينيون المحليون في أريحا والقدس تجاه جمال باشا بغيرة من أعزاء جمعية الاتحاد والترقي (من ٢٥٥). ولا شك، يصف فتوة القادة العثمانيين في محاولتهم سحق الحركة العنكبوتية، التي هي أن هذا التناقض الظاهر على الفوضى تجاه العثمانيين، الذي ساد فلسطين خلال الحرب، والموقف المتردد تجاه المستقبل، وهو غفوس يصادفه المره بصورة أكثر بلاغة في مذكرات أخرى. موارية لمذكرات جوهرية، هي مذكرات خليل السكاكيني تنكس تناقضات الظاهر هوية القدس العثمانية في تأسيس جمعية الهلال الأحمر سنة ١٩١٥، التي قامت في الطاهر لكست التأسيس الشعبي في فلسطين لصلحة القوات العسكرية العثمانية ضد الحلفاء. وعلى الرغم من إشارات واصف الكثيرة إلى حشنة جمال باشا والتلالذي، فإنه كان مؤيداً نشيطاً للجمعية. وعمل سكرتيراً لأحد أعزائه القديسين، هو حمادة العيصي، صمحه (٢٢٥) وكانت الجمعية، التي تركزت بصورة بارزة في الحمم الروسي المعروف بالسكويكوف، برئاسة حسين الرمي، الذي كان أجسر في مزانه على التحليج من موقعه رئيساً للبلدية، كما صعب بن موسيها عذا من المؤامرين البارزين، المسيحيين واليهود منهم، البراهين (أبراهيم) شيبيني، ينسحاق الشار، سليم حوزي، وديع كتانه، وضاغطان قياديان من

الجيش العثماني، واستطاعت جمعية الهلال الأحمر من خلال حفلاتها الموسيقية العامة، وعبر التماسات المباشرة، أن تجمع مبالغ كثيرة لمصلحة الجهود الحربية ضد العدو البريطاني والفرنسي. لكن جوهرية يرى أن الجمعية كانت تدرسي أيضاً إلى إقامة جسري بين مصالح الطائفة اليهودية في فلسطين والحكومة العثمانية، قبل ظهور الصهيونية قوة فاعلة. وكان دور كل من إبراهيم عينيبي، مدير شبكة مدارس الأليانس الإسرائيلية في القدس، والأنساة لاندوا، التي توصف بأنها «حلقة الوصل بين الصلحة اليهودية في القدس والقيادة العسكرية العثمانية، محوراً في توطيد هذه الروابط. ومن أجل هذا الهدف جندا عدا كبراً من البنا والعقيدات الثابتات، اللواتي ارتدين بزات عسكرية عثمانية احتفالية، تحمل شارات جمعية الهلال، والتمس بنات عينية وتقديس للجيش، ويحدد واصف هوية عدد من هؤلاء «السيدات الحسنات»، اللواتي طوون علاقات حميمة بأصحاب السلطة العثمانية العليا (التي يتناولون - إحدى أجمل النساء اليهوديات في فلسطين - صفحة ٢٢٢) التي أصبحت حليلة جمال باشا، التي الجيش الرابع (ويعد الحرب تزوجت أنكاروس، مع عام القدس الشهيدي، الألسة سيماء العربية، التي أصبحت حليلة سعد الله بك قائد حامية القدس، الألسة كوز، التي أصبحت حليلة مجيد بك، متصرف (حاكم) المدينة.

## مذكرات في الميزان

توفر المذكرات الجوهرية مادة دسمة للباحث التاريخي في عدة مجالات من أهمها: تلغز تاريخ موسيقى شعب لقمبيس بربط بين بلاد الشام ومصر، من خلال تطور تكنولوجيا الإنتاج الموسيقي الساعية إلى استغلال الشعبية واللذنة العرافلون والميداع) ومن خلال تكتيف التواصل بين الفتيان والفتيات الشرقيه القادمين من مصر إلى الشام، والهجرة العاكسة وطوون المنابر المناسبة لهذه الحفلات الموسيقية. ومن أهمها التكاثرات والمقاهي، حيث يحتل المهو نصيب الأسد في وصف الجوهرية لأماكن الأداء الموسيقي لصفه وجمهوره. وفي وصفه الجوهرية للحياة اليومية التي عاصرها تكتشف، أو بالأحرى تعيد اكتشاف، مجتمع متغير لم يهد معنا، ولكنه يسلط الضوء على كبلور حداته المدينة الفلسطينية، وانعقاد القدس من حاراتها المحصورة داخل السور إلى رحاب

الصواحي الحديثة إلى العرب والشمال من البلدة القديمة. وفي هذا الخطاب تكتشف أيضاً، وهنا تقع أصالة كتابات الجوهرية، أن الحياة الاجتماعية داخل السور لم تكن ميكوتية ولا متوقعة كما هو سائد، هالعلاقات الجوهرية هناك تمكنت من تجاوز الحدود الطائفية والأثنية وبشكل حميمي غير متوقع كما سيتضح من وصف الروابط التكافلية بين عائلة الجوهرية وآل الحسيني. ومع أن هذه العلاقات بدأت كعلاقة محبوسية في العهد العثماني، إلا أنها نمت واتخذت أشكال صدقات وروابط شخصية في الفترة الانتدابية بعد انهيار النظام الاتراسي القديم. الأهم من ذلك أن هذه المذكرات تتحدى النظرة التقليدية إلى مجتمع القدس بوصفه مجتمعاً محافظاً مغلقاً يعايش من الأوقاف الدينية واقتصاد الحبيج. ويوجد في الجوهرية وجعيل لهذا التحدي الأول في وصفه لظاهرة الدين الشعبي الذي يجمع بين الطابع الاحتفالي للموسم والأولياء والمزارات والذي يدمج الموسيقى الشعبية مع الطقوس الدينية الأريالية لاتباع الديانات الثلاث مع سقاب التراث الموسيقي المحصور والساق لتكثيف (في زيارات يوسبي كنعاي)، وتحتل في هذه الواسم مشاركة أهل الطائفة كحالات الأكر كما تدر في موسم النبي رويين ولبس موسي وعيد النصر (مار جريس)، حيث يشترك السلم والمسيحي واليهودي في إحياء الذاكرة الحمامية الشعبية. ونراه أيضاً في بروز ثقافة حمامية جديدة في أبدأ فلسطين من الطبقات الوسطى أبعد الجوهرية في الاحتفال بها والمشاركة في صنعها، وهي ثقافة المسارح والمقاهي والأساليب الترفيهية، خاش الواف غمارها بداية في فترة القبة العثمانية في القدس ثم انتقل إلى أداته في موسيقى الأفراح والاحتفالات الخاصة، ثم شارك في موسيقى المسارح العامة والمقاهي الحماهيرية إن أمالته بين هذين المنطهرين للحداسة وتنامحها لافت لتفسير هالتونيه الدينية للدين الشعبي مثلاً في احتفالات النبي موسى والنبي زويين الشعبية) تلغز تاريخ فاقومي في الصراع الدائم بين النزعة القومية العربية في الشريانات والليثانيات في اصطدامها مع الحركة الصهيونية. من ناحية أخرى فإن الثقافة العثمانية التسمية امتدت وتحدرت في الأبرعيات والتأصيل رخصاً عندما أصبحت الحفلات الموسيقي في ثقافة فلسطين المدنية وثقافة الموسيقي والمسرح والسيمياء في العالم العربي. ■



## لا يتوقف

من البداية..

لا يتوقف.. عن التطور والتحديث لأداء وتلبية  
مهارات أساطم  
لا يتوقف.. عن الابتكار في خدماته ليستمن  
احتياجات عملائه  
لا يتوقف.. عن الاستثمار بمرحلة داخل مصر وخارجها  
لا يتوقف.. عن تطوير أكبر المشروعات القومية  
لا يتوقف.. عن الابتكار والتجديد مع عملائه



البنك الأهلي المصري

الأقرب إليك

# البنك الأهلي المصري

# النفس... بين

طبيباً أبقراط البشري

[١]

■ يتعامل رجل القانون دائماً مع نصوص، سواء بالنسبة لعمله النظري والتفسيري، وبالنسبة لممارسته التطبيقية في القضاء والإفتاء، لأنه دائماً يتعامل مع مبادئ وقواعد مصوغة في عبارات عامة، كما أنه يتعامل مع وقائع وأحداث جرت وتمت وتتلقاها هو في صياغات خبرية، فهو في الأغلب الأعم لا يتعامل مع الحدث جريانها، ولكنه يتعامل معها عند الإخبار عنها بعد تمامها، ويكون جزء من عمله هو التحقق من صواب الإخبار عنها، وذلك في مجال عمله التطبيقي، وتكون غاية عمله التطبيقي هي إزال أحكام النصوص المصوغة في مبادئ وقواعد عامة على ما أخبر به الواقع من أحداث ونوازل معينة، وذلك لتقرير المركز القانوني الشرعي لن تلحقهم آثار الحدث بعد تمامه.

فئة قاعدة عامة ومبدأ عام مصوغ في نصوص وهو ما نسميه التشريع أو القاعدة القانونية، وثمة إخبار بواقع حادث صيغ في نصوص أيضاً وهو ما نسميه الدليل الذي تحكمه قواعد الإثبات، ولكن شتان بين النوعين من النصوص من حيث الطبيعة ومن حيث طرائق التعامل مع كل منهما، وإن منتهج التعامل مع النص يختلف حسب طبيعته وما أعد من أجله تشريعياً كان هذا النص أو إخبارياً يتعمق سوز الدليل على ثبوت الوقائع.

والنص بعامة هو عبارات محددة بالفاظها يرد بها معنى من المعاني، وهو عبارات مكتوبة أو مروية تثبت برسمها وينقلها الناس بحرفها، وإن التلقني لها يستخلص منها دلالات هكرية حول معنى من المعاني ويرتب عليها النتائج، بمعنى أنها تشكل صيغة من العبارات المحددة بكلمات والفاظ تفيد معاني وتنتقل إلى الناس بالقراءة أو بالسماع، وهم



# التشريع.. والإخبار

٩٩

**النص التشريعي يتشكل في صورة نموذج قابل للتكرار بموجب طبيعته وبمقتضى أصل وظيفته المؤدة أو المقصود تأديتها. وهو امر بشيء أو ناه عن شيء أو مرتب لأثر ونتيجة على فعل أو مقدمة**



هذه النصوص يقابلنا نوعان من الأسلف، نوع ينظر إلى عبارات النص والفاظه أي إلى هيكل النموذج المحد وسمته ورسمه، ونوع آخر ينظر إلى الوقائع أو التصرفات أو الحالات التي تفرز على النص، أي أن المادة التي سيتعامل معها النموذج.

ففي النوع الأول من الأسلف، عن تحريم القران الكريم للخمر، يقابلنا السؤال عما هو الخمر وما هو الميسر وما هو الرجس وما هو الاجتناب، وفي قانون العقوبات يقابلنا السؤال عما هو الاختلاس، ما هو المنقول وما هو المملوك ومن هو الغير، وفي قانون الإصلاخ الزراعي يقابلنا السؤال عن

هو الشخص وما هي الملكية وما هي الأرض الزراعية، وكلها من أسئلة النوع الأول التي تتعلق بدلالات الفاظ النص وعباراته، وبإستنباط ذلك من المعاني اللغوية ومن المعاني الاصطلاحية التي يعبر بها أهل كل علم أو حرفة، وكذلك مما جرت به أعراف التعاسل والتفاهم بين الناس في كل صقع أو زمان. ونحن في إدراك هذه المعاني نكون مازلنا نقف عند حدود نص جامد نتمتعهم دلالة في ذاته فقط، سواء زمان. ونحن في إدراك هذه المعاني نكون مازلنا نقف عند حدود نص جامد نتمتعهم دلالة في ذاته فقط، سواء زمان. ونحن في إدراك هذه المعاني نكون مازلنا نقف عند حدود نص جامد نتمتعهم دلالة في ذاته فقط، سواء زمان.

أما النوع الثاني فهو ينظر إلى الوقائع المحد، أي الوقائع التي جد وحدث بعد صدور النص التشريعي ونظر إلى ما يعتمل في هذا الواقع وليس إلى الميارات في ذاتها، لذلك تكون أسئلته أسئلة عينية تتعلق بالحالات التي يراد إزال حكم النص عليها، وهي حالات مفردة أو ظواهر مخصوصة طرأ من بعد، وأسئلته هي من نوع، هل المادة المساللة التي أمامها هي خمر، هل الدبحة التي تصدها كانت ميتة قبل خز السكين أم أشاء ذلك أم بعده، وهل الأرض المشار إليها مملوكة وهل هي زراعية وما مساحتها

نظرية القانون هو أن القاعدة القانونية لابد أن تكون عامة ومجردة، بمعنى أنه يتعين أن تعالج بطريقة تجعلها تنسرى على الأحداث والأشخاص بموجب ما يتوافر في أي من ذلك من وصف موضوعي، والنص هنا هو حكم يتعلق بأمر أو نهي أو بوضع مثل، كلما جرى كذا يجب أن يحدث كذا، فهو يضع شرطاً لتصرف أو يرتب نتيجة على تصرف. بقى النظر عن ذوات الأفراد وعيّنات الأفعال.



والنص التشريعي بذلك يصوغ نموذجاً قابلاً للتكرار، وإن لم تكن فيه هذه القابلية فهو لن يكون نصاً تشريعياً. وهو لن يكون كذلك إلا باستماله على عنصر يتوافر مع توالي الزمن وتكراره، وأن يكون عنصرأ حاضراً في الأزمان التالية، يؤثر في غيره ويؤثر به، مثل «إنما الخمر والميسر والأشباب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه»، «إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الفخزير»، (صدق الله العظيم) ومثل ما يرد بالقانون الوضعي «كل من اختلس منقولاً مملوكاً لغيره هو سارق»، يعاقب بالحبس مع الشغل على السرقات التي تحصل في مكان مسكون، «لا يجوز أن تزيد ملكية الشخص من الأراضي الزراعية عن خمسين فداناً»، كل عقد يرتب عليه مخالفة هذا الحكم يعتبر باطلاً»، «كل خطأ سبب ضرراً للغير يلزم من ارتكبه بالتعويض»، «يقصر القاضي مدى التعويض عن الضرر الذي لحق بالمتضرر».

النص هنا صيغ صياغة تجعله نموذجاً لحالة وليس حالة بعينها، وهو بحسبانه نموذجاً يكون قابلاً للتكرار على كل ما يحدث من وقائع وتكون انصفت بالأوصاف والأوضاع الواردة بالنص، ونحن عندما نتعامل مع مثل

بالقران الكريم «وما كنا معدين حتى نبعث رسولا»، وكذلك: «إلا ما قد سلف»، بمعنى أن النص المحرم لزواج معين لا يسرى على ما سلف من زيجات مخالفة له، سواء أكان كذلك أو كان نصاً تشريعياً وضعياً ورد في قوانين الدولة «عبداء عدم رجعية القوانين»، فهو دائماً نص قبلي، أي يصدر قبل ما يتعامل معه من أحداث، من حيث استخلاص مبادئ ما هو تال لصدوره وخاضع لجلاله، ومن حيث تطابق دلالة على ما يعقبه.

بينما النص الإخباري هو نص تاريخي، أي أنه ابن زمن حدوثه، هو نص لازم يتعلق بما أورد من وقائع وأحداث، لا يتعدى إلى وقائع وأحداث غير ما أورد، ولا يحكم أحداثاً أو أشخاصاً غير من اشتملهم ببيانه، وهو من جهة أخرى يصدر في الحاضر الذي صيغ فيه، وتتنصرف آثاره ودلالته على الماضي الذي سجله، والذي يكون تم من قبل، فهو نص عيني تنحصر دلالاته ومفادته على ما شمله من واقعه ومن شملهم من أشخاص، وهو نص بعدي، أي أنه نتج وصدر بعد الحدث الذي يدل عليه، وليس شأنه في ذلك شأن النص التشريعي الذي يصدر قبل الحدث الذي يدل عليه.

وهذه الفروق في طبيعة كل من النصين أنتجت فروقاً كبيرة فيما يتعلق بمنهج تناول أي منهما وطريقة التعامل معه، ونحن في عملنا القانوني التطبيقي ننزل حكماً وارداً بنص تشريعي على واقعة أو تصرف وارداً بنص إخباري.

النص التشريعي هو نص نموذج، ودلالته معدة لكي تكون قابلة للتكرار، وآثاره معدة لتكون عابرة للزمن، لذلك يتصمم القدر اللازم من التعميم والتجريد، وأن يصدق على الأفعال المشار إليها فيه بأوصافها لا بأعيانها، وأن يصدق على الأفراد الذين يلحقهم حكمه بأوصافهم لا بخواصهم. ومن هنا كان أول درس يتلقاه طالب الحقوق عن

يتعاملون معها ويتفاعلون معها، وهنا يرد الفارق الأساسي في النصوص، بين ما يمكن أن نسميه «النص التشريعي»، الذي يتعلق بمبادئ وقواعد عامة، وبين ما نسميه «النص الإخباري»، أو النص التاريخي الذي يتعلق بذكر واقعة أو حدث، ويقوم به دليل على ثبوته أو نفيه.

النص التشريعي يتشكل في صورة نموذج قابل للتكرار بموجب طبيعته وبمقتضى أصل وظيفته المؤدة أو المقصود تأديتها. وهو امر بشيء أو ناه عن شيء أو مرتب لأثر ونتيجة على فعل أو مقدمة. والنص الإخباري التاريخي يتشكل في صورة إخبار عن واقعة أو حادثة نزلت، من وقائع الزمان الماضي أو الحاضر أو يمثل قولاً عنها أو تعليقا عليها. فهو مثبت لوجود ممارسة، وهو ذكر نازلة أو بيان موقف عيني أو فعل لبشر أو قول لبشر. ولكل من هذين النوعين أساليب مختلفة ومناهج متباينة في التعامل.

[ ٢ ]

النص التشريعي نص معد لكي يحكم تصرفات الناس بعد صدوره سواء أكانت معاملات كبيع ورواح أو سلوكيات كصلاة وصوم أو عقوبات. وهو بأصل وجوده نص «متعد»، وليس مجرد نص لازم، بالمعنى اللغوي لهماين المهمين، أي أنه نص لا ينعذ على مصدره فقط ولا تقتصر دلالاته في شأن من أصدره ولا تنحصر دلالاته في محتوى عيني له، إنما هو دائماً يتعدى إلى الغير، بل إن المقصود من إصداره هو أن يتعدى إلى الغير ويحكم أنشطتهم.

والنص التشريعي يصدر في الحاضر، أي في الزمان الذي يصدر فيه، فلا ترد دلالاته ولا أثره على الماضي الذي تم وجري قبله. وذلك سواء أكان نصاً تشريعياً إلهياً ورد

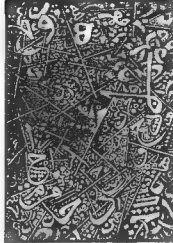


ومن ما لكها، إلى آخر هذه الأوصاف التي نستخلصها من الواقع المحسوس المحدد في كل حالة على حدة، أو من خلال ظواهر مخصصة جدت ويريد أن نعرف هي أي مركز شرعي أو قانوني يتعين أن نصعها.

[ ٣ ]

هذان النوعان من الأسئلة ومن وجوه النظر هما طرفا عملية تفهم النص التشريعي، وهذان الموصوعان ليسا منفصلين أحدهما عن الآخر، إنما هما متفاعلان يشكّلان منهجا واحدا في فهم النص واستدعاء معناه مطبقا على حالة معينة أو حالات مخصوصة، وإن ما نسميه تفسيرا للنص التشريعي أو اجتهادا في فهم دلالة أو فقه أحكامه، إنما يتعلق بهدف العملية مطبقة على حالة أو حالات معينة، أو أنه استخراج لمعاني النص التشريعي منظورا في فهمه إلى سوابق أعماله على الحالات التي طبق بشأنها، وفي كلمة، فإن التفسير هو تحريك النص الثابت على الواقع المتنوع والمتعدد الحالات، وهو ما يصل بين ما تتناهى ألفاظه وعباراته في ذاتها، بما لا تتناهى حالاته في نوعها وتعددتها وأحداثها وتغيرها.

والنص التشريعي بذاته، أو بألفاظه وعباراته، هو دائما نص محافظ، وسواء أكان نصا قديما أو جديدا، وسواء أكان نصا ورد في كتاب سماوى لا يلغى التغيير والتبديل لوروده من خارج الزمان والمكان، أو كان وضعيا يضعه الناس في كل حين ليحكم ما يتراءى لهم من شئون دينيهم هي كل زمان ومكان، نص محافظ لا وظفته التشريعية أن يحكم واقعا يطرأ بعده، وأن يلزم حركة الواقع من بعد صدوره لكي تكون محكمة به غير خارجة عن ضوابطه، ولو لم يرد به حاكمه الواقع التالى عليه ما كان يصدر أصلا، وحتى النص الوضعي الذي يصدره الناس لتغيير أوضاع في نظم حياتهم ومعاملاتهم حتى هذا النص الذي قصد به تغيير البيئة الاجتماعية القائمة عند



صدوره، فهو أيضا له وجهة محافظة ترد إليه مما يحمل من أحكام ثابتة وما يفرضه من ذلك على واقع تال، بأشخاصه وعلاقاته.

وإذا كان ذوق المصكر الوضعي الضمعي يستكثرون أن يحكموا بمبادئ الشريعة الإسلامية، لأنها تشمل نصوصاً وردت في مصادر تشريعية أبلغت للناس من ألف وخمسمائة سنة، أو من قبل ذلك كما هي أديان سابقة أخرى، فإن من النصوص الوضعية في البلاد الغربية والتي تبنت الفلسفة الوضعية في التشريع، إن منها ما يعود إلى مائتي سنة مثل القانون المدني الفرنسي الذي صدر أيام حكم نابليون لفرنسا، ومنها سوابق تشريعية قصافية عرفتها بريطانيا مثلا من مئات السنين، ومجموعات القوانين التي صدرت في مصر سنة ١٨٨٣ بعضها ظل يعمل لسبعين سنة تقريبا مثل القانون المدني القديم الأخذ من القانون المختلط الصادر في ١٨٧٥ وهو الأخذ من القانون الفرنسي وبعضها بهد المصادر ذاتها ظل يعمل من بعد عشرات السنين في مصر مثل القانون التجاري والقانون البحري، وعاصر كل ذلك، سواء في فرنسا وإيطاليا، أو في مصر، عاصر نظما سياسية ودستورية واقتصادية وستويات تطورت في الأساليب التقنية ومذاهب فكرية وثقافية وعادات عيش ونظم عمل، عاصر في كل ذلك من التغييرات ما لا يقل حجمه ولا وزنه وأثره ما حدث

في العالم على مدى القرون السابقة، وعرف في بلادنا نظم احتلال أجنبي ونظم استبداد وديمقراطية ونظما رأسمالية واشتراكية، عاصر كل ما يصره القارئ من تطور وتغيير في عشرات من السنين كثيفة الأحداث مزجحة الوقائع متغيرة العلاقات متنوعة الثقافات.

[ ٤ ]

هذا عن وجه الثبات في النص التشريعي، وأما ما يتعلق بتعامله مع الواقع المتغير، فإن هذا الوجه من وجوه منهج التصدير هو ما يكسب النص الثابت حركيته وقواعليته، وذلك بالخاصة الأولى التي ذكرتها وهي أن النص معد في صياغته لأن يتجاوز زمن صدوره بما يلاحق ما يستجد من حالات، وهو معد لأن يتجاوز حدود ألفاظه لكي ينسحب على حالات ذات تنوع، وكل ذلك يجري بمنهج عقلي اجتهد رجال المنطق، وعلما أصول الفقه وفقهاء التصدير لأن يضموا لها الصواب والحدود.



لقد وضعت مناهج لتفسير النص التشريعي بما يمكن من تطبيقه على الواقع المتغير وعلى الحالات المتنوعة، ولهذا الأمر مناهجه في الفقه الغربي، مما ينقسم إلى مدارس ومذاهب، فيقال مدرسة الشرح على المتن والمدرسة التاريخية والمدرسة الاجتماعية وغير ذلك، وأساس الخلاف بينها في ضبط المنهج يتعلق بنبات النص ومحتواه معانيه الواردة بألفاظه وعباراته، وواقع الزمان والكان وتوقع الحالات.. وفي فقه الشريعة الإسلامية وضعت مصادر لاستخراج أحكام مثل القياس وضوابطه التي يضيف إلى الحالات المنصوصة حالات أخرى وكذلك الصالح المرسل التي تنفل من المجالات ما يقع على الأمور به والمضى عنه وما يقارب كال منها، وكذلك الاستصحاب والاستحسان أن يقول به وغير ذلك، كما وضعوا مذاهب في تخريج الأحكام

من خلال عباراتها ولاستقراء القواعد الشرعية العامة من الأحكام التصديقية إدراكا للمقاصد العامة الهادية في التفسير وغير ذلك، ولا أريد أن أريد في أمر يدخل بنا إلى ما يخرجنا عن السياق العام الذي نحاول رسم خطوته العامة.

والذي أريد أن أشير إليه في هذا الحديث أن النص التشريعي له اتصال مباشر بزمان التطبيق، وليس بزمان الإصدار فقط، بل إن اتصاله بزمان التطبيق أكثر وثوقا من اتصاله بزمان الإصدار، ونحي كلما عملنا حكمه في حالة عرضت في لحظة زمانية ما كان هذا النص ليس ابن الزمن الذي صدر فيه بقدر ما يكون ابن الزمن الذي أعمل فيه، لأنه ليس ماضيا ولي، ولكنه حاضر في هذا الزمن الذي نزلت فيه الثائرة التي استمدت قضيته عليها، وإن أي واقعة تحدث في تاريخ معين يمكن أن تتجمع في حكمها مجموعة من النصوص وليس نصا واحدا فقط، فواقعها قد يكون شخص متلا في سنة ٢٠٠٧، يحكمها قانون العقوبات الصادر في ١٩٣٧ بالنسبة للجريمة وقانون الميراث الصادر في ١٩٤٢ بالنسبة لواقعة الإرث واقتسام المال الموروث، وقوانين المعاشات والتأمينات الصادرة في ١٩٧٥ مثلا أو ما بعدها بالنسبة لما يصرف لأولاده القصر وزوجته من معاش.

وهكذا، وكل من هذه القوانين صدر في وقت مختلف عن وقت صدور الآخر، ولكنها تتجمع في حكم الواقعة بصرف النظر عن تاريخ صدور كل منها، وهي تتجمع على ذات المستوى من الفاعلية بحسبانها كلها قوانين الحاضر بالنسبة للواقعة التي حدثت في ٢٠٠٧ مثلا، وإن أحكامها بحسبانها من «حاضر الواقعة، تتداخل في التفسير وتبين الدلالات.



وهذا النص التشريعي يتجدد تطبيقه وتتجدد دلالاته وهو متنوع الحالات التي تعرض له في التطبيق فتنتي معانيه وما يستفاد منه من أحكام، وإنه مثل الكائن الحي الذي تكسبه الحركة والتعامل خصوصية وخبرة وراه هي الأثر والدلالات، وفي العمل



القانوني التطبيقي لنحظ نصوصاً تصير شريعة جداً وخصبة جداً في معانيها، ويمكن أن يوضع في تفسيرها ما لا يكاد يحصى من الفروع، لنحظ ذلك مع طول المعاشية في العمل التطبيقي حتى في داخل القانون الواحد، وذلك بسبب كثرة تعامل الناس بما يخص لها من أحكام، نتيجة أوضاع اجتماعية أو ثقافية أو اقتصادية، والكثرة تفيد التنوع وكثرة التداخل بين الأنشطة وتستثير الانقباس والعمل على إعادة الضبط والتحديد، وتستثير الأذهان لتبيين الضوابط والفرق وتحديد الآثار المترتبة على الوقائع والتصرفات.

وعلى سبيل المثال، فإن الدستور المصري الذي صدر في سنة ١٩٢٣ فيه مواد استغرقت جهوداً هائلة في تفسيرها، وكان ذلك يعود إلى الصراع السياسي المحتدم إبان سريان الدستور بين انصار التوسعة في الحركة الشعبية وبين انصار التوسعة في سلطات الدولة والملك مثل المادة ١٥ الخاصة بحرية الصحافة، والمادة الخاصة بتنظيم الاجتماعات، وثمة نصوص ترد في كتب الشريعة والمجموعات القانونية تسرد سرداً مجرداً، فلا يكاد يلتفت إليها، مثل الدستور ذاته، وعلى سبيل المثال أيضاً، أذكر منذ سنوات بداية عملي في مجلس الدولة في شبابه في النصف الثاني من القرن العشرين، كانت ترد إلينا في إدارة الفتوى بالجلسات الضالكة القانونية الخاصة بتطبيق قانون الإصلاح الزراعي وتحديد ما يستولى عليه لدى كبار الملاك، فكانت هناك نصوص تخصص لصعقت كثيف في التطبيق من كثرة المشاكل وتنوع الحالات التي تعرض وهي النصوص الخاصة بما تستولى عليه الحكومة من الأرض وما تسمح للمالك باستبقائه وما يعتبر مملوكاً للمالك وما لا يعتبر مملوكاً، مثل المادتين ٣ و٤ من القانون ١٧٨ لسنة ١٩٥٢ وما يليه، وكان ثمة مادتان لا يكاد يعطى إليهما قارئ القانون وهما المادتان ٢٢ و٢٣ منه الخاصتان بالحد الأدنى للملكية الزراعية وعدم جواز التجزئة لأقل من هادين وعدم جواز التجزئة

لأن المتعاملين جميعاً ابتعدوا عنها ولم يلتفتوا إليها ويكاد ألا يكون أحد طلب تطبيقها.

أردت بذلك كله أن أشير إلى أن النص التشريعي لا يتصل زمناً صدره فقط، ولكنه يكاد يولد يومياً مع كل حادث أو تصرف يقتضي استبداء حكم هذا النص، ويعتبر عنصر من عناصر الحاضر، حاضر الواقعة الحادثة أو التصرف الصادر مما يخص لجال انطباق النص التشريعي.

## { ٥ }

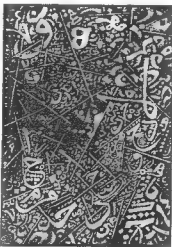
أما النص الإخباري فهو يثبت حدثاً أو ينسب به، سواء أكان الحدث واقعة مادية أو كلاماً قيل أو كتب أو علاقة ظهرت أو أمر تنظيمياً جرى، أو كان شيئاً من ذلك تغير وتعدل، وواقعة أو فعل بشر أو قول بشر، على أن يتبين أن لفظ النص الإخباري المعنى هذا ليس هو فقط الواقعة التي نزلت وليس فقط العمل الذي مورس، ولكنه أيضاً الإخبار، بأي من ذلك بالكتابة أو بالرواية أو بأي صورة من صور التناقل أو التداول لما حدث.

فنحن هنا إزاء واقعة حدثت وحفظها بعد حدوثها ذكرها أو إخبار عنها، ويتعين أن نتأمل في هذا الشأن، فإن الواقعة في ذاتها كان من شأن حدوثها أن تنتسج وتضمص فيما حولها من وقائع وأحداث وإن يذهب بها ويطمسها من بعد ما يتكلم من وقائع وأحداث تتلوها وترتلها أو تغيرها أو تتركها عليها بما يطمس تغريدها وتبينها بحسبانها حدثاً متميزاً منظراً إليه في ذاته، ولكن ذكر الواقعة أو الإخبار عنها تسببها أولاً، فصارها الذكر لها أو الإخبار بها مما يبقى الثبا عتاً حتى بعد زوالها أو استيعابها في غيرها مما يجري حولها أو يتلوها، ثم بالتناقل خارج محيط حدوثها، سواء في داخل التعامل الذي وقعت فيه أو غير من تعامل من وقوعها تأثيراً فيها وتأثراً بها، أو إلى خارج زمان حدوثها كله.

ونحن نعين أن تتنبه هنا إلى أن

ما تناقل، أي ما تجاوز محيط حدوثه مكانياً أو زمانياً، ليس الحدث ذاته واقعة أو تصرفاً، ولكنه الإخبار عنه هو ما تناقل وتجاوز محيطه الزماني أو المكاني، وهذا الصارق فارق جوهرى، وهذا الفارق وضعاً مباشرة في صميم نظرية المعرفة، التي تعتبر بآياً من أبواب الفلسفة وعلومها، وهي ببساطة تتعرض للمسألة الفلسفية الخاصة بطبيعة المعرفة البشرية للموجودات الكائنة خارج الإدراك البشرى وحدود هذه المعرفة ومدى مصداقيتها، ولكننا لا نعرض لفكرة التمييز بين الواقعة أو الفعل كما حدث في ذاته وفي سياق ما أحاط به من أحداث سابقة ولاحقة ومواكبة، وبين إدراك الواقعة أو الفعل لدى من أثبتها ونقلها، أي لدى المخبر عنها حسبما صيغت لديه في نص كلام مكتوب أو مروري وهذا تدخل في مجال نظرية الإثبات في القانون فيما يتعلق بالتهادة والإقرار وتبيين القرائن وغير ذلك، ولكننا هنا لا نتكلم في هذا المجال التمس الأجزاء الوجود، إنما نتكلم فقط فيما يخص الفرق الأساسي بين ما يشكل نصاً إخبارياً وبين النص التشريعي، اتكلم عما يخص هذا الفرق من زاوية واحدة تتعلق بمنأى استخراج الدلالات وما يفرض في ذلك.

والأصل في الإخبار عن الحدث أن يكون لصيقاً به ولا يجاوزه، وإن كان الحاصل أيضاً أنه يتضمن أثراً أسبقه



عليه من تحول على يديه الحدث إلى الخبر بالإدراك له وبالنقل، وهو أثر يرد من إنشاء الخبر وذكره، وهو أثر يحتمل قدرًا من التحوير والتغيير، بالإضافة إليه أو بالاجتزاء منه أو بالتعويض له بذكر بعض مظاهره دون بعض، فما لا يصبر لدى كثيرين مما يكمل الحدث، قد يعتبر لدى آخرين أجزاء متممة ومكملة له وإن تكون من مقتضاء، كالتقال مال من يد شخص إلى يد شخص، يخبر بها معزولة عما يكملها من اتفاق أو أفعال غصب أو غير ذلك، والأمراً أحياناً يندق فلا تكون الزيادة أو النقصان أو الاجتزاء مقصودة من خبر ما لحدث ولكنها تكون بسبب عدم تبين الخبر أو بسبب أن تكوينه العقلي المسبق وتجاريه السابقة لم تكن من استيعاب جملة ما يعتبر من أجزاء الحدث أو متمماته، مصداق ما ورد بالقرآن الكريم، أن تصل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى، صدق الله العظيم (سورة البقرة الآية ٢٨٢).

ثم هناك التشكل العقلي والثقافي وما يولده نوع الخبرات التراكبية لدى من ينشئ الخبر أو ينقله بما يجعل الخبر يسبق على الحدث من أحكامه أو تقاريره أو أوصافه التفسيرية ما يتحول به الحدث على يديه إلى الإخبار عنه وصياغته في نص، فمثلاً واقعة أن جماعة من الناس جمعت في الطريق وصارت تهتف هتافاً ما، فهذا حدث، ولكن الإخبار عنه قد يورد له وصفاً فهو انتفاضة أو ثورة أو هتاف أو تهرّد شعب أو غير ذلك، وهذا الوصف هو ما أضافه الخبر إلى الحدث عندما صار نصاً، وهو يحمل أثراً واضحاً لمن نقل الحدث وحوله إلى خبر.

## { ٦ }

إن النص في هذه الحالة يكون وسيلة للإخبار بحدث، هو إدخال للحدث في صيغة كلامية من صيغ التعبير بالكتابة أو المشافهة، وهو في ذلك يحمل وصفاً للحدث، وصفاً ممن يولى صياغة الإخبار به، حسبما ذكر في العقرة السابقة، فثمة عدد من الخصائص

التي تميز النص عن الخبر، وهي:



الإخباري (أو النص التاريخي) وهي خصائص لصيغة به لا تكاد تنفك عنه، ومنها،

أولاً : إنه نص يتعلق بحدث سابق عليه، أي أنه نص يكون معبراً ومخبراً عن حدث سابق، ومن ثم يكون نصاً تاريخياً لأن وجود الخبر يفيد تماماً وقوع الخبر عنه وأنه قد مضى، والأحداث نوعان من حيث الزمان نوع هوري الحدث، أي يحدث بدءاً وتاماً القانونية أو قول يصدر من شخص في ذات اللحظة بما يصعب معه في تعاملات الناس الفصل الزمني بين البدء والتمام، مثل الصور المعروفة عن تمثيل الشخص الطبيعي عن إرادته القانونية أو قول يصدر من شخص معين أو قتل إنسان أو ضربه، ونوع ممتد يستغرق زمناً يدركه الناس في معاملاتهم العادية، مثل القرار الإداري المركب الذي يتشارك في إصداره عدد من الجهات أو المجالس أو المؤسسات، ومثل أحداث التاريخ بعامه كحرب مثلا أو عملية انتحابات لجيش تشريعي تستغرق شهراً أو شهرين، فالغالب فيها أنها أحداث ممتدة زمانياً وليست من نوع ما يبدأ وينتهي في لحظة، إنما عنه أو يستمر في التشابك وسط صراعات ومجادلات بين قوى عديدة، متعارضة أو متحالفة أو تتخلل في مراحل التشكل حتى يكون شام اكتمالها هو تمام انتهائها وبداية ما ولدت من آثار، يكفي أن نعرض مثالا على ذلك بحادث حرب أو حادث ثورة أو حادث بناء نظام سياسي.

وإن النص أو النصوص التي تحبر عن أي من الأحداث سواء أكانت أحداثاً هورية أو ممتدة إنما تكون مهما يحبر عن ماضٍ قديم به وتضمنه، ووصف الحدث عند ذكره يبدو في الغالب الأعم من الحالات لا مندوحة عنه، لأن الوصف يلتصق بالتعبير عن الحدث، فأخذ المال من شخص إلى شخص لا يعبر عنه بهذا اللفظ إلا هي الثمر اليسير من الحالات، إنما يقال أعطى أو استولى أو استرد أو تقاضى أو منح أو استلم، والغالب من هذه اللفاظ تحمل ظلالاً من معانٍ تعبر عن رضاء أو كره فضلاً عن لفظ اقتحم أو اغتصب أو غير ذلك، ولهم هنا أننا نتعرض لحدث مجرد، ومهما كان له أو صار له من متشابهاً فإنه معين بداته وليس

معطاً متكرراً، أو بمعنى أدق ليس المقصود عند الإخبار عنه ذكر جنس له أو نوع، إنما المقصود إفراده بذاته بما يبين عنه ويبينه، ولذلك فإن من يتكلم عنه أو يبحث أو يتعامل معه بأي من وجود التعامل إنما يتعين أن يدخل إليه في ماضيه وينظر إليه ويستبينه في بينته وفي سياقه الذي حدث فيه وتفاعل معه.



وهذا ما يشترك به تماماً النص التشريعي عن النص الإخباري أو التاريخي من حيث الطبيعة والخصائص ومناهج التعامل معه، يتلوه من وقائع، والنص الإخباري تنفهمه في سياق ماضيه وما نزوله،

ثانياً: النص الإخباري بوصفه صيغة لإثبات حدث مضى أو تبينه، يرتكز في مصداقيته على وسائل التحقيق لأدلة الإثبات للوقائع والتصرفات، أو لمنهاج التحقيق التاريخي للأحداث، ووسائل التحقيق والإثبات في مجال الحقوق والقانون معروفة للوالجين في مجال هذا العلم بفرعه المدنية والإدارية والجنائية، كما أن مناهج تحقيق الأحداث العامة والخاصة معروفة لدويها، وفيها نقد الرواة الذين تناقلوا ذكر الحدث ونقد الوثائق والمستندات التي دلت عليه واشتملت على ذكره في مصادرها. ودلائل الثبوت هنا تتراوح في القوة والضعف، كما تتراوح في نسبية الدليل ومدى حجتيه، وفي مجال الحقوق فإن الضرر معروفة في الحجية وطبقاً لمداها بين الإقرار على النص أو الشهادة على الخبر أو القرائن بدرجاتها المتباينة. وفي مجال علوم الاجتماع والتاريخ فإن ذكر الوقائع والأحداث يتوافر لها كذلك في الحجية ما يترأى من مدى حياد المصدر أو انحصاره ومدى مصداقيته، فيما عرف عنه ومدى ضبطه على التثبت، وتقوى دلائل الثبوت وتضعف وفق ما يتبين في هذا الصدد. ومن ناحية أخرى أهم، فإنه متى ثبت حدوث الفعل، فيستحيل بعد ذلك إلغاؤه أو نفيه، لأنه فعل مضى وانتهى، ويستحيل إلغاء الماضي كما يستحيل تغيير وقائعه وأحداثه أو تعديل ما وقع.

والنص التشريعي يخالف النص الإخباري (أو النص التاريخي) في هذا المجال من طرفيه، فالنص التشريعي يحتاج للإقرار ببقائه ووجوده درجة لا أدنى من اليقين في الثبوت لا

يمكن النزول عنها، والألفظ النص التشريعي، لأنه لا يمكن أن يشحك الناس في حاضرهم ومستقبلهم إلى ما لم يثبت لوجوده درجة عالية جداً من درجات اليقين المعبر، سواء أكان نصاً دينياً أو نصاً وضعياً، وسواء أكان قانوناً أو عرفاً، كما أن النص التشريعي بخلاف النص الإخباري له حجبية مطلقة على من ينتفع به أو يضار به، أما النص الإخباري فحجبيته نسبية لأنه ابن واقع محدد ولد في سياقه واكتسب مضامينه من هذا السياق المحيط، وتحدثت دلالاته العينية في إطاره دلالة غير قابلة للتكرار، فهو ليس نموذجاً يتولد مع الزمن، وكذلك فإن النص التشريعي يمكن أن ينسخ إذا ثبت تشريع قال له العاه صراحة أو تضمن احكاماً مخالفة له، ويكون نسخه أو إلغاؤه من تاريخ صدور التشريع التالي المخالف حسيماً هو معروفة، وبسبب قيام هذا التصور فإن النص التشريعي كان إبان سريانه ممتد الأثر على ما يليه من أحداث وهو يحكم ما تلا صدوره من وقائع، أما النص الإخباري أو التاريخي فهو حدث مضى وانتهى وليس له حاكمية وليس له أثر مباشر، يمتد في المستقبل، بما يجعله نموذجاً قابلاً للتكرار، يمكن أن تكون له آثار واقعية ترتبت عليه، ولكن هذه الآثار تلحق به التحاق نتيجة بسبب أي نتيجة عينية ملموسة مفردة بسبب هو عيني ولمس ومفرد كذلك، دون أن يكون النص في ذاته متجدد التطبيق على حالات لم تنعم به وإنما لاحقاً بحسيناته تشريعية متجدد الحضور معها ومع كل حالة مماثلة تولد.

وكذلك فإن النص التشريعي يمكن أن ينسخ إذا ثبت تشريع قال له العاه صراحة أو تضمن احكاماً مخالفة له، ويكون نسخه أو إلغاؤه من تاريخ صدور التشريع التالي المخالف حسيماً هو معروفة، وبسبب قيام هذا التصور فإن النص التشريعي كان إبان سريانه ممتد الأثر على ما يليه من أحداث وهو يحكم ما تلا صدوره من وقائع، أما النص الإخباري أو التاريخي فهو حدث مضى وانتهى وليس له حاكمية وليس له أثر مباشر، يمتد في المستقبل، بما يجعله نموذجاً قابلاً للتكرار، يمكن أن تكون له آثار واقعية ترتبت عليه، ولكن هذه الآثار تلحق به التحاق نتيجة بسبب أي نتيجة عينية ملموسة مفردة بسبب هو عيني ولمس ومفرد كذلك، دون أن يكون النص في ذاته متجدد التطبيق على حالات لم تنعم به وإنما لاحقاً بحسيناته تشريعية متجدد الحضور معها ومع كل حالة مماثلة تولد.

[ ٧ ]

وقد سبق الإشارة إلى أن النص الإخباري هو بوصفه صيغة ذكر لحدث ماضٍ، إنما يجعل غالباً وصفاً لهذا الحدث، وفقاً للدلالة أو الفوضى التي وفرت لدى من صاغ الحدث في خبر مكتوب أو مسروى، وإن الوصف أو التعبير الذي صيغ به الخبر الغالب أن تختلف أو تتنوع عليه وجوه النظر

## سببى الحدث دائماً

منسوبا إلى زمان وقوعه.

وسببى محك تقديره وفهمه واستخلاص

دلالاته هو موقف

الحدث مما واكبته





# كتاب الزاوية



## الديمقراطية ورواد النهضة

### أديب إسحق

الملك إما استبدادي، وإما شوري، والشوري إما جمهورية، أو ملكية. وهذه مراتب الملك منذ كان القانون، ووجب حفظه، وخرج عن هذه المراتب الحكومة الفوضى إن صحت تسمية الفوضى بحكومة.

وما كل ملك بملائمه لكل قطر، وما كل قطر بصالح لكل ملك، فالجمهورية وهي حكومة الشعب بالشعب، لا يحسن أن تكون في قوم تولاهم الجهل، والملكية الاستبدادية، وهي حكومة الشعب بواحد منه لا يصلح أن تكون في قوم بلغوا من التمدن والمعرفة غاية نبيلة، وإن كانت فلا تلبث أن تتقلب شر منقلب، كما جرى لحكومة لويس السادس عشر، وشارل العاشر، ونابليون الثالث في فرنسا فإن حكومات هؤلاء الملوك، وإن وسعت بالشورية ظاهراً، فقد كانت استبدادية باطناً، وذلك ما دعا إلى نقضها، وتل عروشها. ومن الحكومات من تراعى ذلك فتجبره إيثاراً لمصلحة بلادها وحرصاً عليها، ومنها من تمتع عنه فتكره عليه. ولقد عرف الناس الآن شرور الاستبداد، وترفعت نفوسهم بالعلم عن الرضى به، وصار الأمر شوري عند جميع الدول المتقدمة إن صحت تسمية الدولة المستبدة مطلقاً بدولة متعذرة، ولا يتعذر على العقائين منا أن يزيلوا أفكار التعصب من أفكار الجاهليين، فنكون جميعاً أمة واحدة لا تتعصب إلا لوطنها، ولا تطلب إلا سيانته، وتقتص على صفحات قلوبها: فتحلتها الأمة، فليعبها الوطن.

التفصيل والإجمال فيه تكشف عن طبيعة الجدل والحوار العام الدائر عندما وضع النص الإخباري وصيغ به الخبر عن الحدث.

والخلاصة أننا نقتررب من النص التشريعي أكثر من فهم دلالاته وإدراك معانيه كلما استطعنا أن نقله أكثر إلى حاضرنا. وكلما عملناه في سياق هذا الحاضر، ولا شك أن أوضاع إصدار النص التشريعي في زمانه وتبين تعامل الأجيال السابقة معه وقدراته في توليد الأحكام منه، مما يسمى بـ «اختلاف المتوى باختلاف الزمان والمكان»، إلا أنه يبقى أمر مهم وهو أن ثمة علاقة مباشرة بين النص التشريعي وبين الواقع المستقبل في تطبيقه على الوقائع الحاصلة.

وبالغاية لهذا الوضع بالنسبة للنص الإخباري نتجس نقتررب منه أكثر في فهم دلالاته وإدراك معانيه كلما استطعنا أن ننقل نحن إلى في زمان حدوثه وصيغته، واستحصرتنا بهذا الانتقال أكثر ما يمكن استحصارة من وقائع ماضية وأحداث الحيطه به على المستويات الإدراكية الثقافية والاجتماعية، والحادثة أنه في النص التاريخي الذي يتعلق بأوضاع عامة سياسية واجتماعية، فكثيراً ما يجري إسقاط تقاضي من أوضاع الحاضر المعيش على الماضي الذي ينتمى إليه الحدث وتشكل في ثنائيه وصيغ الخبر فيه، وكذلك بالنسبة للنص الإخباري الذي يجري بين أفراد الناس في تعاملاتهم الحقوقية يمكن أن يطغى فكريا الحاضر على تفهم صيغاته جرت في الماضي عن أحداث جرت في هذا الماضي، وفقاً لدلالات تعددت وهذه عيوب وشوائب يتعين الحذر منها. وسيبقى الأمر الجوهرى هو أننا لن نقتررب من فهم النص الإخباري اقتراباً أكثر إدراكاً للصواب إلا إذا انتقلنا إلى زمانه واستوضحنا معانيه في ذلك السياق، وبالعكس لن نقتررب من النص التشريعي اقتراباً أكثر إدراكاً للصواب إلا إذا نقلناه إلى زماننا الذي يطبق فيه بحسبانه من عناصر هذا الزمان المتجدد. والحمد لله. ■

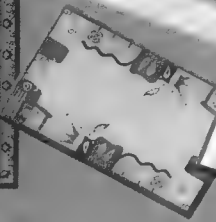
من كتاب أو رواية أو باحثين، ناهيك عن أن يكونوا أطرافاً في خصومة أو أن يكونوا من ذوي المصالح المتعارضة، وهنا يتفاوت ما تفضى إليه الدلالات والتي يمكن استفادتها أو استخلاصها من الحدث، لأن النص هنا إنما يكون صنعه من أعد الحدث أو شارك في صنعه أو عاصره، أو يكون هو من أثبتته من بعد أو علق عليه، فهو من ثم يحمل اثرًا لوجهة النظر الحكيمه لى قام بصياغته.



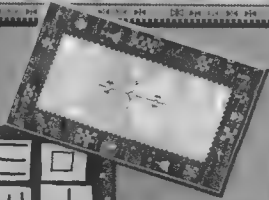
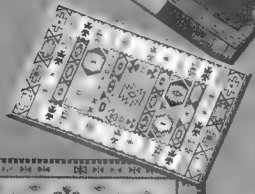
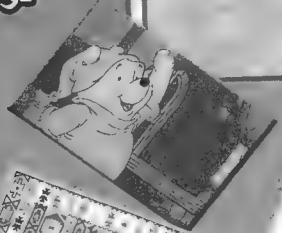
ولكن مع ذلك كله سيبقى الحدث دائماً منسوباً إلى زمان وقوعه، وسيبقى محك تقديره وفهمه واستخلاص دلالاته هو موقف الحدث مما وكبه وأحاطه من ظروف في السياق الزماني والمكاني له، وسيبقى صحيحاً القول بأننا إذا نزعناه من سياقه هذا سيفقد دلالاته ومعناه، ونحن لكي نفهم دلالة حدث ما تفهراً كان أو واقع، نعين أن نحيط بأوضاع نشأته وظروف تكونه وما تجمع على تشكيله من أوضاع وما ترتب على قيامه من آثار، ونحن نكون أقرب لفهم هذا النص وأصوب في استخلاص دلالاته كلما اقترينا من طريق نشأته وتكونه، وكلما وصلناه بالأوضاع والأحداث التي صدر فيها، وهذا التوصل بأوضاع النشأة يكون هو ما يجلى الحقيقة بقدر الإمكان بشأنه ويخلص الخبر بقدر الإمكان بما يكون علق به من شوائب الأوصاف غير الدقيقة، أو المنحازة لطرف ضد طرف.

ومن هنا يتعين ملاحظة عدد من الأمور لاستكمال فهم دلالة النص الإخباري، من ذلك سياق الحدث المنصوص عليه في المجال الثقافي، أى مجال إدراك المتعاملين له بمعناه لغة ومصطلحاً وتعارفاً، وكذلك سياقه في المجال الاجتماعى والسياسى إن كان حدثاً ينتمى إلى هذه المجالات، وسياق النص الصاغ به الخبر في إطار ما كان يجري به الخطاب بين من يوجه الخطاب ومن يتوجه له الخطاب، لأن وجود التبركيز في الكلام ووجوه

سجده من قبل الأقران - تحت الأجنحة

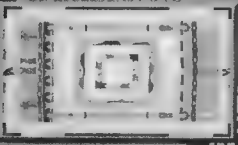


## لواصات حمام



متواجد في مراكز بيع بواقي

## قطع موكيت



سجاد أطفال



سلاير المنتشرة في كل أرجاء مصر

شرقي

مطبوع

مشايات

سادة صلي

[www.niacarpet.com](http://www.niacarpet.com)

# التقويل

## مقالة في هاجس الاستباق



### خيرى منصور

■ إذا صبح أن تاريخ العلم هو دأته تاريخ الأخطاء فمن باب أولى أن تكون المعرفة كلها بمثابة اعتبارات متعاقبة عن منجزنا، ناهي، لأن المستقبل ليس محدد مجال حيوي لتحليلات الماضي وتمده، بقدر ما هو أحياناً قطعية مزروجة، مع المنهج والمحتوى، وحين قال الفريد وايتهد بأن البشرية محكومة على الدوام بالارتباط بأفق إغريقي، لم يكن يعني أن الإغريق قادمون من المستقبل ليصعدوا على كل معاصرة... والمعنى الوحيد الذى يمكن استخلاصه من تلك العبارة هو أن المفارقة الإغريقية لا الإغريقية هي قدر الإنسان الذى يحاور شروطه.

وإذا كان التأويل مطلباً معرفياً بالخاص، لأنه يفنى ويمدد فإن التقويل هو على التقريب منه رغم اعتباره فى بعض الأحيان وعلى نحو إجمالى أقصى مراحل التأويل...

فالتقويل، تعذيب النصوص على طريقة قاطع الطريق اليونانى بروكست لتعريف بما لم تقرر، وهو أيضاً تأكيد للماضى باعتباره النموذج الكامل، والتوسط بينه التقويل معناه أن يجد الإنسان نفسه متغلباً بحمولة من الأوجية على كل أسئلته على اختلاف الأمكنة والأزمنة، وبذلك يكون قد حكم عليه بالمطابقة العقلية لأن هناك من فكروا عنه وحلموا له... وعاشوا أيضاً نياحة عنه

التقويل هو التعبير الأدق كما نرى عن تاريخ دا جين، يخلو شاماً مما ساء هيجل المكر أو المباشرة غير المحسوبة، وللتقويل تجليات فى الأدب والفلسفة والعلوم ولا ينجو منه حتى النص إنه شعف إنسانى لتحقيق هاجس الاستباق استرصاء لمرجسية قومية أو فردية أو أيديولوجية. وإذا كان القدماء قد قالوا أقوالاً كلها فيها لهم كما قال دانتوس ساحتاً ..

إن التقويل الذى يتجور حاصل جمع المعينات للنص أو الظاهرة أو الحدث... هو مصدرة سامتيان، بل هو الماضى وقد استطاع ليقتضم ما تنسج من أشواق إنسانية للتعبير والكشف والاحتجاج؛ لتبدأ من ذلك التقويل المعصوى من نهيات مملكة الأمثال، حيث تم الوفاء على أن المثل حكمه تختزل خبرة أجيال، وما من شيء كالمثل يحيل إلى الذاكرة الجمعية، الذاكرة المصونة من كل نسيان، فى مصر يقولون حين تازف المناسبات، على رأى المثل، وفى العراق يقولون، لم يترك أبو المثل شيئاً لم يلقه ثم يقول أبو المثل، وأبو المثل هذا هو مصدره التاريخى الذى يعيد إبتاح نفسه من كل مناسبة مماثلة، وفى الشام يقولون، مثل مايقول المثل الع



ح. النزي

ها نحن إذًا معرفة أنجزت بكاملها فى الماضى، وفقطت فى مختزلات كلامية قائلة للحياة فى كل حين، لا شيء يتجدد إذن، مادام القياس ممكن على الدوام ومادام النموذج الماضى قد انطلق على نفسه فى تلك الخلاصات التى لا تأتى المستقبل إلا بصفتها مجالاً حيويًا لها.. ولكن يكرس مصداقيتها..

من هذا المبدأ، تقويل الكلام المقول من قبل، من خلال دمجه بالحادثة المعادة، أو بمعنى أدق المستعادة، فالبرش يمشون حول أنفسهم، ويمودون دائماً إلى تلك الحطبات التى طغوا أنهم فارقوها.. هذا ما يشى به تقويل المثل حين يتم العثور على حادثة تطابق مع معناه كدائرتين متساويتين فى القطر والمحيط، ومن خلال هذا الانطباق التام يتجدد المثل المقول من قبل ويستمد طاقة جديدة للإقامة فى الذاكرة، وحتى الشعر فى أعلى درجات (تقويله) حين يكون خلاصة حكمية، متشبهة بالمثل أو صائراً إياه فى بعض الأحيان، يتم تجريده من مصدره الذاتى، وتخل المرجعية الحماكية متجسدة فى الذاكرة الكلية محل الشاعر نفسه، ولو شئنا التعبير بشكل أدق لقلنا، يتم تجريده من شعرية شاماً، وتقطر عنه الحكمة (المثلية) لكن يعاد تقويله فى مناسبات ملائمة، إننا فى هذه الحالة أمام (ألية) عضائية تقوم بتجهيز القضية، أو بعضها من زمانها ومكانها وذاتيتها إلى أزمنة وأمكنة وذاتيات مفارقة، بحيث يبلغ التقويل حد إعادة الكتابة.

إننا أمام (مكتوب) يتم اجتراره حين يتخطى الأمر ولا يلبس الطيب التنبؤ حصه الغاية كلها وليس الأسد وحده فى هذا المضمار!، فهو الشاعر الأكثر استقطاباً للحكمة، ولعله الشاعر الأكثر تداولاً على هذا الصعيد، حتى بالنسبة له.. فهو يرى نفسه القائل المستمر، بل مصدر كل قول الآخرون من الشعراء يشككون فى مجموعهم أصداً له، يتكلمون به كالمثال الأفلطونى السماوى، الذى تتناقل صوره الباهية وظلاله فى الأرض، إن سيلاان القول فى حالتى الشعر الحكيم والمثل الشعبي، يشبه إلى حد بعيد سيلاان الرزمى نفسه، وورما تحطه كما فى إحدى مبالغات أبى الطيب المعروفة، بعد هذا المدخل، سنحدد أنفسنا فى مواجهة التقويل الواعى القصدي، ذلك الذى أمثلته متناثرة بدءاً من طرائق التفسير وانتهاء بإغلاخ الزمان ومصادرة المستقبل على الحكمة التى تم تقطيرها على الماضى، فقد كان العزالى يقول، (إذا بدا لك تناقض بين الدين والعلم فاعمد إلى التأويل ذلك خير من أن ترمى الدين بتهمة الضعف). هكذا تصدر الحاجة، وليس الرغبة حسب، فى التقويل عن هاجس احترازى، خشية أن تقدم



## في مصر يقولون حين تأزف المناسبة... على رأى المثل... وفي العراق يقولون «لم يترك أبو المثل شيئاً لم يقله... ثم يقول أبو المثل... وأبو المثل هذا هو مصدره التاريخي الذي يعيد إنتاج نفسه في كل مناسبة مماثلة. وفي الشام يقولون: مثل مايقول المثل



### ذو الرمة وداهنشي

كثيرا ما يندب الزعم بالاحتيار عن قصيصه تماما، وقد يكون هذا شكلا من أشكال التداوي أو الترميم اللاوعي، ولعلم النفس ومدرسة الحديثة كلام لا ينتهي حول هذه المسألة.

في المثل التقويلى التالي... يتساءل د. عبدالله الطيب بصيغة لا تثير صعبة الجدل عند كل من (براونة) و(اليوسف) اما تتألد: «الطيب هو عن الشبه الشديد بين بيت وصفى لذى الرمة، وبين لوحة نغمه دواغ السؤال لنقرأ هذا البيت لدى الرمة:

### كان عمود الضجر جيد وليلة

بعيد الدجى من حرة الوجه سافر وحسب تصوير، الطيب لهذا البيت بقرا:

هنا صورة امرأة جميلة برزة، سافرة الوجه، على راسها الحمار وجيدها وابائها مشرفة على راسها الجبل سواد، وصيفها ما دلتها منه الصورة لوحة ليوناردو داهشي (لاجيوكاذا)، فهل وقع الحمار على الحافرة وأوقع إلى دافنشي بعض مترجمه إلى اللاتينية عن عنها من شعر (غيلان)؟ ما نحن في مواجهة تقويل مركب، ولكن يتم تمكيكه علينا أولا أن نشير إلى أن د. الطيب لم يجد في موشوما ما يكفي من الخلق التشكيلى لأسباب معروفة، فحجا إلى الشعر ليجت فيه عن تعويض يتيح له التقويل، ولو رجعنا إلى شرح بيت دى الرمة الذى يتكون مسودة أو (استكش) لوحة دافنشي سندد أنه يجلب التقويل على كل صورة لامرأة جميلة (بالرغم من اختلاف معاني الجمال بين عصر وآخر).

ومن ناحية أخرى نجد أن د. الطيب لم يستقيم له التقويل على صلبه... (الجيوكاذا) تاريخها على مستويين، المستوى التاريخي العام، ومنه التهمة وما يضمنه على المستويين كافة، والمستوى الخاص الذى يشير إلى التاريخ الشخصى لهذه اللوحة بالذات وليلة التمسك استقرها الرسم، وما أضيف إلى هذا التاريخ الشخصى للوحة من تفسيرات ساكنة أو بوجية (دراسة فرويد لنشوء دافنشي مثلاً).

القلق على كل القرون الماضية لجيلاد اللوحه قد تم استجابه لها من (الاستياق) أو النزوع التقويلى الذى يفسر إلى جعل (المشكلى) مجالا أو فضاء تركب فيه الهمة، إلى مجرد فضاء، حين سرعان ما يضلح الشاغل الذى كان هذا الحيز الماشرح حاما على هذا المستوى التقويلى هو التجاور الجسود لكل الحدود بين الفن والرسم والشعر، وتترافق كل منهما

إن ما يجعل هذا التقويل القصرى الذى يقدم به الناقد (اليوسف) لافتا للانتباه، والنقش أيضا، هو موقف الناقد نفسه من مسألة مماثلة، ففي المقالة التى كتبها المستشرق (ماتثر براون)، بعنوان (الوجودية فى الجاهلية) "يقصر هذا المستشرق اللامنى التسيب الجاهلى وفقا وانطلاقا من رؤية وموسى جديد غريب المصادفة أن يصوغ (براونة) مسالة في مطلع معلقة عبيد بن الأبرص على الشكل التالى:

هل هذه الأبيات لشاعر قديم ام لأحد الشعراء الوجوديين فى وقتنا هذا؟ ويتوصل المستشرق اللامنى الأخير إلى أن ما يشعل الإنسان طيلة تاريخه هو خوف الفناء والتناهى..

يثو يوسف على تفسير براونة هذا، ويسجل ضده عدة نقاط يكفيها أن نشير إلى واحدة منها فقط هى اعتراض الناقد يوسف على تعامل المستشرق (براونة) مع الشعر الجاهلى كما لو كان مسلوخا عن أرضيته الاجتماعية ويفترض أن الشاعر يلف من الوجود موقف طولوليا... إلخ.

ما لدى هله، براونة، أكثر من اليوسف نفسه؟ قد صاغ سؤاله، الاستنكارى... بشكل مشابه لسؤال اليوسف، الذى براونة يصيغ (عبيد بن الأبرص) وجوديا معاصرا، من باريس أو الدنمارك لا هيرق، ولدى اليوسف يصيغ (أبو ذؤيب) فيلسوفا جدليا معاصرا، يرمح إلى الألمان، إن اعتراض الناقد يوسف على (مصنوعة) براونة القصرية لعبيد بن الأبرص لم ينبع، كما كانا، من اعتقاد مغاير، لانه هو نفسه من المعركة القصرية في موقف آخر... يبقى لدى تفسير واحد... هو أن

اعتراض اليوسف على تفسير براونة منطلق من اختلافه مع سياق القول... مع السياق الاستشراقى الذى ورد فيه ذلك التفسير، يعيننا على ذلك الحكم ماسيو وقاله اليوسف في كتابه (مقالات في الشعر الجاهلى) عن ضرورة تخليص الشعر الجاهلى من (براثن) الاستشراقين والشعر الجاهلى من (براثن) استخدام هذه الطريقة بالذات (براثن) ترمي إلى أن يصطبغ اثره استبعادا لتجانسها لهذا التحدى، الجوهري، الشرس كما يشئ استخدام مصردة (براثن)

نحن قد نشعر عند أوليات أو (مباديات) فى الجدل حين نقرأ الشعر الجاهلى شيا كان أو غير ذلك، لكن المحاسنة لن تبلغ بنا حد الجزم بأن (حدا) شعريا مهما فى قصيدة قادرة على الهجر إلى المستقبل ولقد قرون عدة تصعب الفلسفة، أو أحد أهم منجزاتها النهاجية، مجرد مدى ذلك الحدس البعيد.

سيرة الواقع حرجا ميدانا لمكرة أدبية الصواب، والتأويل بهذا المعنى الذى يذهب إليه الغزالي يتضمن فى طياته كل أو معظم معكبات التقويل، وربما كان التقويل أعلى مراحل التأويل، خصوصا حين تكون الفكرة المراد تأويلها قد قايرت النضوب، أو باعدت التجربة كثيرا بين إحيائها وبين طبيعة الحادثة التى تستدعيها.

### أبو ذؤيب الهذلي وهيجل

الرواية التى وردت عن أبي ذؤيب تليق بالأساطير التى ينضج بها حسن زمانى جعل من (المتية) حيوانا أبدا لا تنزع عنه الخصائص فى الرواية ملك لأبي ذؤيب، تتخلص نديش من عام وأحد أصابعهم المطاوع، وفي رواية أخرى، له سبعة بين شروا من لبن شربت منه حبة ثم ماتت فيه فهيكوا في يوم واحد، وأستبد به الحزن حتى قال إنه (الثامن) أو (السادس) الذى سيقن بهم

### فهرت بمعهم بعيش ناصب

### وأحال إلى لاقح مستنبح

إن ديوان أبي ذؤيب مضمم بهذا الاحساس التراثية بالزمن... فالزمن فهاره (إدلة) الموت أو لنقل إلى عدو البشر لأن الموت (ينمو فيه)، يقول الناقد يوسف سامى اليوسف في مقالة له عن الرثاء فى الشعر الجاهلى: يرم الرثاء الجاهلى عن جدلية فى العقل العربى، ويضرب أمثلة لعل أبرزها ما يقوله أبو ذؤيب نفسه

والسهر لا يربى على حد ذاته، متوصلا إلى طريح السؤال، الذى استوفى فيه لنا الصد، يتساءل يوسف، ما الفرق بين فهم شعرائنا للزمن على هذا النحو وبين فهم هيجل للحدل على النحو التالى، الجدل هو القوة الكلية التى تقاوم ولتلى لا يمكن لأى شيء أن يثقف من وجهها مهما بعد هذا الشيء بعدد محضنا صعبا...؟ بهذا (التقويل) يجعل الناقد اليوسف من الجدل الهيجلى مجرد تكرار (منها) على ما قاله من قبل أبو ذؤيب أو (صناعة الجاهلية) بعد الهاجس على الحقيقة نفسه، ذلك الذى يجعل المعرفة فى تمت فى الماضي كمتحوى ومصمون، وما الظاد إلا هواء لعوى لها... إلى مجالا مستقبليا لاستعدادنا، إن هكرة (الفرسوق المفقود) أو العمرم الضمى كما يسميه (هزيود) تعاد لها ونا على مستوى غير يختلف، كمي، فقط، ولكن يستجيب الجدل الهيجلى لعملية التقويل، بما أولا احتزاله إلى سطرين فقط، ولأن الخناس علة شعار، أبو ذؤيب فإن الطريقة التى يتم بها احتزال هيجل من قبل أقراب الشعر الففراء، أو لنقل البعدين خارج العمومة والخولة.

ونقده ووسائل تعبيره... إلخ، والتفسير الوحيد لهذه (الجسارة) هو (إليانة) الشعر كموروث متحقق (الرمس) كموروث محتمل، ولقد شاء د. الطيب أن يجره هذا (الاحتمال) عبر فى آخر مختلف أداة وطرائق وموروثا

إلى أمثلة (التقويل) التى يقدمها د. الطيب فى كتابه عديدة، وبمضمونها يعقل المناقشة والاختلاف، الكمى، كمنقارنة قصيدة كيش (البيل) فى القصائد العربية التى امتازت بمطالع النسيب، أو مقارنة قصيدة (سليك) عن النمر وقصيدة للمتنس على الخ.

وأيا كانت درجة الصواب والخطأ فى مقارنات كهذه، فإن ما يبعث منها هو باطن نيتها، فهاجم تماما للهدف الملن عنه، فإذا كان شاعر فديع على قدر قصيدته ثم يفتنى ما يتبها فى الآداب الأوروبية بعد سبعة قرون فإن هذا معناه أحد الشئين.

إما أن يكون الشاعر القديم بسبعة قرون مؤثرا وماسا لشعراء أتوا بعده بقرن... وهذه مسأله طبيعیه... ولعلها التية العائمة

أو أن يستمد الشاعر الأسبق أصمته أو مصداقيته من ضامر على قدم شعرى (وهذا باطن التية)... وفي هذه الحالة الأخيرة يصيغ القول لمعلقون مسكونة ثالثا صعبا، من شأنه أن يقبل المشهد كلى، ويجعل كل مقارنة ذات هدف (تقويلى) يمدد الماضى تستدير على أعقابها لصالح الجديد الحاضر واليوسف والتفتى على حرة السائق الرائد.

### عندما يتوقف الزمن

فى الكثير من القصائد العربية الحديثة التى استخدمت شعراؤها (أسطورة) يوليوسيس) تخيلت الزمن، منتظرا بدو عودة البحار إلى المرأة الترفيقية عودته مع الأمواج على الشاطئ... فهاذرت على أحد الحالات، بين هذا المستوى من الاستعداد السكونى، الاتباعى للأسطورة وبين استخدام شاعر يونانى معاصر (ريوسن) وكان مثيرا للفتنة، فى الألف، أن أجد هذا الشاعر يعيد صياغة أسطورة

متبها بإياها من روح عصره، حيث لا ينظر أحد أحدا... وإذا كان هذا هو الشأن مع الشعر، فهنا ما هو أكثر التارة للفتنة، فالنكر نفسه يذهب أبدا صحتها وهم مائل، ولكن مثلنا متعلقا بما يلقى حذب فى تاريخنا المعاصر ما يلقى كتيبة ضلطين عام ١٩٤٨، ما كانت تشير إليه كلمة تكه من انهام متباهر فى نصب هزيمة تاريخية على مساق





أحداث طبيعية كالزلازل والبراكين والكوارث التي لا دخل للإنسان فيها. في (ربيع) عام ١٩٤٨ إن كان لذلك العام ربيع حيث الهزيمة وتم التزوج وكتب الكتاب والشراء والساسة الكثير. كان من بين أبرز ما كتب في ذلك العام (معنى النكبة) لـ قسطنطين رقيق. وكتب يومود في مقدمة كتابه يقول:

ليست هزيمة العرب في فلسطين بالنكبة البسيطة أو بالشر الهين العابر، إنما هي نكبة نكل ما في هذه الكلمة من معنى<sup>(١)</sup>.

بعد عشرين عاما حدثت النكبة الثانية. وكان من الطبيعي أن تصدر الطبيعة الثانية من كتاب معنى النكبة، على هيئة كتاب جديد عنوانه (معنى النكبة مبعدا)<sup>(٢)</sup> كلمة واحدة أضيفت إلى العنوان القديم وهي (جديدا) كلمة تعادل عشرين عاما بكل ما فيها من ثورات وإرهابات وظلمات وبحولات...و... لكن ما علاقة هذا كله بالتصويل موضوعنا

المحوري في هذه المقالة؟ لنعد إلى مقدمة الكتاب الصادر بعد عام ١٩٧٧. يقول المؤلف (اليوم عمت إلى هذا المعنى) أي معنى النكبة فوجدته ينطبق بجموده على الحالة الحاضرة، ثم يمد المؤلف كتابة الأسباب والنتائج وما يترعرع عن كل منهما.

هنا نجد شيئا مشابها لما يقوله المتنبئ. اجزئ! إذا انقسمت فخرنا إنما يضرني آثار المأخوذ مبرداً والنكبة هي التي تأخذ دور الضاحك. مصدر القول هنا أنها تعيد لنكبة نصفاً في عز من البشر التكوين الذين وقع فعلها عليهم. هي حدثت عام ١٩٤٨، إذن كل ما سيقال عند تكرارها هو تعويلها. هي أنها الأفعص والأكثر بقاء. وهكذا تتولى هي نصفاً أيضاً تنقيح الطبيعة الثانية عن تاصيلها وأسبابها ونتائجها... إلخ.

أردت من خلال هذا المثال الأخير أن اضيف شاهداً إلى في التقويل بمتسوياته المتعددة والمركبة. والواقعة أيضاً. فالقول قد يأخذ شكل (مثل) أو (شعر حكيم) أو (نكبة) أو أي شيء آخر... ومن ثم يبدأ رحلات متكررة لاستعادة مهنه. وهو أشبه بئر أسطورة لا تنضب. يكفي الظامن أن يرى به حصاة ليظفر منها الماء لكن الشيء غير المتوقع من تكرار رمي الحصاة هذا أن تصعب البئر نفسها حصاة حصاة يابسة... أما الماء فيضطرب على جانبيه الفوهة وفي أفواه السائلين!

## الماضي القادم

هل كان شكسبير يعرف مانه سورياتي؟ وماذا يجيب هراريقليس حين يسأله أحد الحاضرين في لقاء مقصود عن عنوانه الأيديولوجي في القرن الحادي والعشرين؟

هناك على الدوام نزوع من الحاضر لكي يتأصل ويبحث عن أسلاف متشبين تحت غبار الكتب أو في المتاحف الصوفى الإسلامي شكسبير وهراريقليس لم يكن يصرف أنه أحد جدور قصيدة النثر. ومواقف، الشعر، ومخاطباته رغم احتضانها الحان لتفسيرها المعاصر فهي لم تكن تطمح إلى مثل هذه التفسيرات والتصنيفات، والسرودي ما كان يعلم بأن أحد نصوصه (الغربة العربية مثلاً) سيصبح ماضياً معاصراً يتأخم ويتزاحم أحدث النصوص في هذا القرن.

هل نحن الدين (نقول) هؤلاء ما لم يتولوه؟ أم تراها نصوصهم المفتوحة على أفاق الأزمنة هي القابلة للتصويل والتأويل؟

ما من واحد من أسلاف الفلسفة والشعر إلا ووجد من يضمنه ويصممه في سياق يتخطى ذاته (المعردة) حتى بات هؤلاء... أو هكذا يفيل لي - مندهشين أمام الخطوط والحانات التي حلوا فيها. من هنا تأخذ قولته نثرارة شو الشهيرة، إن السبع ليس صميميا، مغزاه - ويصبح «فرويد، بهذا المعنى ليس فرويدياً، وهيجل ليس هيجلياً... إلخ.

وذلك بمسألة لأن البشر قادرين على تحويل الأفكار الكبيرة تبعاً لمصالحهم. وما يسود من ثقافات في فترة ما. لهذا أدرهت (الانثولوجيا) دالما، وأخضع الوثائق لعمليات جراحية واسعة ما يلائم حاجة الأجيال... فاستقرت أفكار واضيبت أخرى... لا أجد تفسيراً لنزوع الحاضر نحو تأطير الأسلاف واختزالهم في اتجاهات وأنساب فكرية غير ميل خصي يضاف إلى طائفة التبرير لديهم... هذا الميل هو السيطرة على ماء المحيط بصمه في زججات ذات أشكال. وتحويل العاية إلى حزم (ناشفة) قابلة للحمص. والسهولة التي تقدمها عملية التأطير متأتية من إحسان أهل الحاضر باستحالة السيطرة على ثرائك المعرفة بدون (التأطير) والقطعة والاختزال) الخالون للمحب الذي تفقد الذات العارفة أهم ملامحها من خلاله.

من هنا كان خلق السلاسل والعائلات الفلسفية والعينية بمثابة تسهيل لتناول المعرفة على حساب (المعاريف) وجعل التيمات أسساً لهذه المعرفة بحيث يصبو الأشخاص - مفكرين وشعراء وفلاسفة - تحت هذه الخيام المعلقة فلا يصعب حصرهم ولا يفلت أحد منهم من (القطعة) والتدجين المنهجي ربما لهذه الأسباب. أو غيرها كان سورين كيركفورد، يرفض أن يدرس أحد مع آخر أو أن يحضر في سلاسل فلسفية مهما بلغت صرافتها. لقد أراد من وجودية (الكاثوليكية) أن تكون جزيرة وحدها في محيط تتداخل فيه الأصوات ويحصى أثر الخطوات قبل أن يبدأ. وهو يدركنا بإسلام (أي در) الذي شاهه صاحبه

أن يكون على طريقته منزلاً، وحزناً وعلى سيماله تدبير اغتراب. إن ظاهرة أبى در هي إسلامه وكيركفورد، هي مسيحيتهم متكررة في تاريخ الفكر البشري، ما من أحد جاء يعترض على حكمة التاريخ بحكمته إلا ورضى الهجوم على غصن ما في شجرة عائلة... ما...

لكن الموت وبغياض هؤلاء المحتمل يجعلهم في حوزة الآخرين تماماً، الذين يصرونهم ببضعة فروع قد تبلغ العشرات في بعض الأحيان.

## البحث عن أسلاف

من التجارب الأولية في علوم الاتصال أن فكرة واحدة تنتقل من مصدرها إلى الشخص العاشر عبر تسعة أشخاص تنحصر في تصوير وصف وإضافات تقفها جوهراً الأصلي، وتصبح فكرة أخرى مختلفة كلية. قد لا ينطبق هذا المثال على انتقال الأفكار من خلال المخطوطات المتوردة والموقعة لكنه ينطبق بشكل ما على المثقوب الشفوي أو المخطوط غير الحق.

لقد استطاعت الكتابة كإنجاز بشرى هائل أن تخلصنا من ضياع الفكرة من خلال الرواية، حيث ما من مجال أوسع من مجال الاتصال والضافة والانتقاء حيث تلف الصفحة المباشرة في هذه المجالات دوراً خطيراً.

ولو عدنا إلى المثال الأول سورياتية شكسبير ومايديه هراريقليس وغربة السورودي نجد أن الحارة إلى هؤلاء هي التي أعادت اختراعهم محدداً. فاندريه بريون الذي أدخل عددا من القدامى من سورياتيه بدء من الإغريق حتى دانتى وشكسبير كان يلزم من حيث يعلم. أو لا يعلم. متعقبة بالهجنة والاتلافية. لهذا يركز مثالي على بودلير بوصفه السلف الأخلاقي له.

ولم يكن «بودلير»، اختباره نصوص السورودي، والشعري، وقطعة المرح يستمد فحسب، إن الأسباب التي جعلته يستنبد العراقي، وهي التي جعلته ينسحب إلى هؤلاء، وهو الشاعر حديث متشبه مع السائد الشعري والاتقاي وعد أن عليه أن يتبع ذلك الخطم في تسبيح الترات. أي يبحث عن شريعة في التراث وعن أبيه في زحمة الأبياء. إن ما يثير الانتباه هو ذلك المهاجر البشري الذي جعل على الرواد في مياديهم يتحورون من كونهم يقعون عند مصر الحليفة، وهم بالتفاهل إلى الأوزة صحت عن وجود تشبههم إنما يفعلون ذلك بحثاً عن (تاريخية) لما يقولون أو يعبرون حتى السورياتي الذين وثقوا إلى تركيز الواقع. كان بركزوني إلى واقع أكثر تفريقاً مما يعيد إلى أفعاننا قول أرستش فيشر عن اللواقي بأنه على الدوام (واقع جيد).

## أفكس البوصة...

كان الصائون والشعراء والفلاسفة عسيري الهمم حين يتعلمهم أهلي البوا، وعن تجربة بيكاسو يقول سارتر... إن الأولى لقطته لأنها لو أبقت له ديمرها الغثيان، لكن ما يقولها سارتر عن بيكاسو أنطيق بشكل صمد على الأسماك الصغيرة - سهلة الهمم - بحيث أصبحت (البوا) بمعناها الحقيقية والزمرى مثل (أمد) فاليري. لدى فاليري الأسد هو الخراف كما الأسماك عن موهبتها لتصبح جزءا من طائفة أنسجة، من كيان عضوي حديد.

لهمما كان دجاج وقطع الحولي وماككة التي ياكلها الإنسان. يحيلها (إرن) عصوية فائقة اشكالها تلك. وافهي البوا هي التجسيم التي لتلك السياقات التي تتماشى على (الأفراء).

إن عسر الهمم الذي تعرض له البوا في مثال أسارتها منذ القدم، ربما من محاولة أولت في النسيان ويستمر على ما يبدو ما استمر الحوار بين البشر (الهمم)، يعني وهي يتحسم حدود وصحراء مغمورة لظلال لا حصر لها، تطمع إلى فهم تلك (الفاروق) المتحد. والمانع قد يتنازل - إلى حين - عن عينيه لتعنين اجتماعيتين لكنه في هذه الحالة يكون قد دخل طواعية عن اختياره الذي هو اختيار الجميع (هـ) أو من خلاله، إنه يارتباطه الشديد مع المستقبل قادر على رؤية ومعاينة الناقص في المحل. كان لسان حاله يقول: ما من معطى يشكل إجابة.

لقد كان الحوار أومانيا في بعض الأحيان بين ذات تقضي على سواها وبين رخص (سواها) عليها. لهذا قال البعض عليا أن تكون من المظلمون، عند أسروطو... ومع أسروطو ضد الأفلاك في رغبة في المخافة المجانية، بل توكيداً لحيوية الاختلاف وتقدم زوايا الرؤية، ولهمهم قصود شيئا بقولهم: إن التالية نصف الفلسفة وصفتها الآخر مادية.

إن في التصنيف وتوزيع الخانات استجابة لثريتين شرعيتين هما التماثل والامتثال. وفي التماثل تكون شرعية النمودج والتخلص من عبء الخروج على معايير الجيران المبررة (يماءة ذنن حين يبعث الخوروف؟) وفي الامتثال لتلتهم المادرة الاجتماعية بكاملها ويصيح الجميع كلمة في مجال العرفية... وربما للهمس... أو القبح بالحكام.

في البدء كان الشراء، مدررة في البدء كان الإنسان، مع الشعراء ومن بعدهم جاء الخليل ليكتشف عورهم ولا يتخبرهم، فقد كان (العلم) مفرقا من قبل وهو الذي جعله معروفا، وفي البدء أيضاً كان الرسامون والنحاتون... عند الكشف

الخالف حتى المجد ومن بعدهم جاءت التسميات... والختانات والخرائط.

إن ما يقولها (ماكليش) عن الفرق بين الشعر والنقد ينطبق هنا تماماً. فهناك الشعر الدوام من يعانى صعود الابداع والفرع في الأصابع الصعبة وهناك من ينتظر لرسم الخرافة، كم من الخطوات سيضيع في مقياس الرسم الجائر! إن من يتلقى العصر عصي التاريخ والتجهرافيا) ليس كمن يعدها.

لقد جاءت التسميات الجمعية تميظا وتكرسا لتمسجة تشفق والتمسجة الأخلاقية - السلوكية- للكون للجميع. وهذا ما يعنى المخرع من تعدد وتيج فرصة للمحامين، في الفن يحدث شيء مشابه، فحين يحضر خصمون رساما في تسمية واحدة وخلف لافتة واحدة فإن الخصائص العريضة- التي هي راس المال كله حين يتعلق الأمر بالابداع- تبدأ بالتراجع والاختفاء تحت ضغط القاسم المشترك السهل... عندئذ تكون فرصة النافذ - لا مزلق الفن - هي همما من نوع آخر. إن يتقاضى فيها الناقد اجرا إلا ما سيبلغه من إبداع فكريته.

لهذا يحسم الخرافة مثلا عن محاولات اجتراحها مدفوعة بقوة ضمن المستقبل.

قليلة عليها الهممات الخوروف؟ يحجم النقد لأن مثل هذه المحاولات الاجترائية تتطلب - في كثير من الأحيان - حياورا لا أهنا. لأن النشيد اللاهت والاتباعى يبيح عن قطع سيمسها قطعا، وعن حجارة يسميها حجارة، فاعلى على نماذج مستقرة، مسامة ومضمومة، لكنه حين يصادف في حديثه حيوانا به بعض الفرابية أو حبرا يرتشم أو شجرة لها أصابع فإنه يتراجع مأخوذا.... وقد يمر من مدقته إلى الأبد.

لا سيبل إلا فهم الوحشي الممزق لتتو... لا من خلال تدجينه في الأفق الجاهزة، وطرق كل شئ فيه حتى يستوى ويشأى مع آثاره الفنية الأخرى.

لقد استطاعت اليد البشرية بالعصا، وطرز بالآلة والرمضاء نتيجة الحاجة إلى الأثر، وبذلك سيطرت على المسافة وكثرت نصفا وكذلك طلت عين الصياد الأولى تقوى في مجهرها بشكل شيعاني وقبضت على المظلمون بالظلم كان من الأجدى للإنسان أن يطور قدراته العقلية أيضا وأن ينعذ إلى ما تحت بشرته النقص ومهاجمتها حتى من تلك الجوهر المبداء التي لا تبين أو تعقص من محاربتها إلى بالكد الروحي والانحساب من عالم الربيع والمخارة لاقتحام عالم كل ما فيه (استمرار) بغض النظر عن الريح والخسارة.

ربما لأن الأفلاك الكبيرة ليست ذات نفع نهاري لتسامه اليد المعصية التي لا ترى ما هو أبعد من ظاهرها، ربما لهذا السبب طلت محلوية كتاب ميت عزيز في الخزائن وعلى الرفوف أصابع لا تمتص من الوقت

أو الوجد- أسؤال مديب صيب القلب، وما من إجابة سوى الترفيز.

الترفيز هذه الكلمة الفاتحة المحمودة أسرا من مطلع كل فكرة (منتجة) لا مركبة ولا معدة بغيره بيلاعة... مهما بلغت.

الترفيز، وألمة الدم الطرى في الأفكار المتجرية لثتو من شريان مرهق التوتير قفاز كالقداسة على الكتاب.

فرأى جاءوا منذ أكاديموس حتى اليمامة، ومن الإسكندرية الأولى حتى شمس النهضة، ومن طهيرة النهضة حتى هدم المساء جمعتهم اليد المحترقة ووترهم على خراطم تختزل عشرات الألوان في بضعة ألوان... وككل الخرافات كان لهم مقياس رسم جارى في التجمع والتصيير والتتمجة ينتقل الدم الجارى في الأنساع إلى زجاجات في ثلاث مصرف الدم.

وعبر هذه الزايل الثلاث برع كرمكورد على التنازل عن (لا محسنة) ويصيح فلفقة في الوجودية المسحية. وينوب عنه في المدرسيات المولعة بالأمثلة جابريل ماريبل مثلا.

ويتجلى (الفاروق) عن ظله المتوحدة في الصخر والعلى عتبة العتبة لغبية الظلال المظروعة عن ظل عسلا... وقد يصيح بلعنى نضع عدد من الشعراء أو الرسامين أو الفلاسفة كيسا محسوبا ناليبيض، المتشابه، والترتيب، وعدم الأبعاد.

نود ثمانية إلى (الابن) الهممة وقد الخوف الخريف المتخلف للزوايا في شبيه البوا مفتوحة أبدا للأفراء الأقل امتثالا.

للقائين الأول شيئا بالتموجج. إن رجسة بيلة قد تكون (بيكاسو) أو (ارغون)، أو (أمايكافوسكي). لكن المشكلة تبدأ مع عملية الابتلاع، والضيق بهذا الابتلاع.

المفكوط خارجا يعود إليه عبر أطول طريق ممكن. يعود إلى عصبانية الجعيل الذي هو امتثال صمد، امتثال لا تصمد به الرؤيا.

في إحدى مقالاته، الأكثر مغامرة، يقول ولان بارت عن كتاب ما يسمى بالرواية الجديدة أو (اللازوية). إنهم لا يتشابهون، لذلك لسبب واحد، هو عدم وجود مدرسة أو اتجاه يحمل هذا الاسم.

هذا الرض من بارت يكرس اعتبارا فريدا لكل واحد من هؤلاء الكتاب الذين يلتقون ليعترفوا، والذين يجتذب تشابههم السطحى التناقض المدسى المقنن بالأطر والختانات وماجدول...

ومثلما فعل بارت قبل بعض كتاب ما يسمى (الجيل الفاس) وهض كتاب مسرح المظلمين... فليس من هؤلاء، من ذهب متوشك بشكل مسرحي اسمه اللعب أو اللامعقول. لقد أطلق مارتون أصا هذه التسمية التي حاول النقد المدسى أن يجعل منها (متغير) يحضر في شكل مستطيلات متوازية كل من يحول أن يجرب شكلا غير تقليدي في المسرح.

ولقد قال كمو، أنه شوهه (بالخطأ)

على سعيته الوجوديين. وهو ليس كذلك أبدا إن حرا صاعدا كانت ولا تزال تدور بين كتاب يعون اعتباراتهم العريضة وبين نقاد مدرسيين يعاملون التناقضات كحشر (السلالات) واليهولون الثقافية في صابريهم. حيث يتم اختصار المروق بعناوين قد لا تزيد على مفردتين!

كيف يمكننا أن نضع تسميات مثل جيل الستينيات والسبعينيات العريضة أو الثلاثينيات الإنجليزية أو جيل ١٩٧٠ الأسلاطى أو جيل ما بين الحربين الأورسي أو... دون أن نتخلى عن فرق قد تكون جوهريية بين أبناء الجيل الواحد؟

والتسمية الواحدة؟ ولذا انتقلنا من هذا التعميم التاريخي إلى الأمثلة المقتضية لتبين ما لنقصه هنا شكل أكثر وضوحا.

منذ شعراء العلاقات حتى جيل ما يسمى (الرواد) في الشعر الحديث ينزع الدارس إلى البحث عن المشترك التاريخي- المضموني، إلى أم أي حد يضارب رهبر طرفة... فنقل مسألة تأتي في الدرجة الثانية أو الرابعة؟

ولو بحثنا عن نقاط الاتفاق والافتراق بين أوديس وعبد الصور، وفيل حايو ودارك الملا،... لوجدنا أنها تتوقف عند (بعض) قواعد واعتامة التعميم كوحدة إيقاعية، كما نجد أنفسنا عند المفترق الكبير لطريق أربع في الرؤية والمخاطبة الثقافية ورجعة الحداداة والوعظ... ولكن لقد السرج في ملف الواقعية عشتار الكتاب والعناوين الدين - لو تفتحصنا أعمالهم جيدا - تبين أن لكل منهم واقعية الجديرة بتسمية.

وحتى داخل الحركة السوربالية كان هناك من أراد الفهم من ضغط الواقع والتاريخ والهروب إلى (ما هوهم) وكان هناك من أراد أن يقول (لا ينتشر لواقع الخصص في الواقع العام).

إن البحث عن البحث بعدد المقاربات في ضوء هذا التبع سهل بكثير من البحث عن (الفرق) التي هي كما قلت من قبل (رأس المال) كله عندما يتعلق الأمر بالإبداع. فالسطوح وكذلك المظاهر الخارجية للأبنية والتماثل تشابه لدى جميع الكليية، بينما حين تتسع الرؤية تصبح الفروق وتعتق الفرضية بأنواع غير قابلة للاختزال، ويصبح مقياس الرسم خديعة علنية.

وما أن لاج في الأفق قطع الأحصنة الحشوية حتى سارع النقد المدسى إلى تهية المستطيلات المتساوية تحت سفوف واطئة.

لكنه حين أخفق في القبض على الأحصنة، رسمها كالإنسان القبيح على جدران الإسطيل، وجلس عند العتبات ينتظر عبثا صمها... ١٠

في العدد القادم

محرات الحداثة،

# فضلاء.. التاكسي!

## أميمة عبد اللطيف



© Mona Sharaf - Reuters

■ قبيل وفاته بأشهر، جاهر عالم الاجتماع الفرنسي المرموق آلان روسيو بمخاوف حقيقية جراء تزايد حدة التوترات الاجتماعية التي تنصطب بشوة على المصريين. وذهب إلى حد تشبيه حالة الاحتقان السياسي والاجتماعي التي تمر بها مصر بـ «مصر مثلث» التي سبقت فترة ما قبل «ثورة يوليو». لقد عكست هذه التوترات عودة ما وصفه بـ «المسألة الاجتماعية» لتحثل صدارة المشهد السياسي المصري.

كان روسيو يرى أن التهديد الأكبر لاستمرارية النظام المصري لن يأتي من خلال جماعة الإخوان المسلمين أو عبر أحزاب المعارضة الوريقة، أو ربما حتى عبر الحركات الاحتجاجية غير المتحيزة، وإنما الخطر الأكبر يتمحور حول التصورات المتعقبة السائدة حيال نظام الحكم في مصر.

ثمة ملامح يمكن تلمسها لعصبة اجتماعية مقبلة، حذر منها روسيو وهي تبدو جليلة أكثر من أي وقت مضى، بحيث إن أخبار الإضرابات والاعتصامات العمالية التي بلغت قرابة المائتين اعتصام وإضراب خلال العام المصري فقط توشع على أن المصريين أخذوا يعبرون عبر هبات شعبية وغير مسبقة عن كراهيتهم للحكومة. هذه الهبات التي لا ترفع مطالب تخيوية من قبيل الإصلاح السياسي أو الانتخابات الحرة أو وقف عجلة التوريث وإنما فقط، مياه نظيفة ووظيفة مؤمنة ورعيف عيش ليست سوى احتجاج شعبي يتم عن سطح على الحكومة والمعارضة على حد سواء.

غير أنه لا يمكن للمرء أن يلمس المخاوف والعصبة للتعبئة للمصريين بشكل فردي فقط عبر حضور الندوات وحلقات النقاش التي يحاضر فيها نخبة البلد. وكما هو الحال في العديد من الدول في عالمنا العربي يبدو ما اصططلح على تسميته بـ «لغة

الشارع» أو أراه «رجل الشارع» هي الأكثر قدرة على تفسير كيف يلمك المصريون ويتصرفون ككائنات سياسية. (سياسياً). هؤلاء يمثلون بحق الأغلبية الصامتة أو مصر أخرى غير مسموع صوته.

مصر

لذا حين أراد خالد الخميسي الذي درس العلوم السياسية ثم تحول للكتابة السينمائية والصحافية أن يبدش لمشروع يسعى من خلاله لتصكيك رموز السلوك السياسي للمواطن العادي قرر أن يتم ذلك عبر استطلاع آراء ذلك النوع من المواطنين الذين على دراية بالشارع وأرائه لكونهم الذين يتمتعون لطبقات اجتماعية متنوعة وهؤلاء بطبيعة الحال هم سائقو التاكسي. اعتبر الخميسي أن طريقة تكبير هؤلاء السائقين وتعاطيهم مع الشأن العام تعكس في مجملها تعاطي «الغلبة»، من المصريين مع المسألة التي يقفون على الهامش منها ورغم ذلك هم أكثر القطاعات المجتمعية تأثراً بها.

يستعرض الخميسي عبر محادثات سجلها مع حوالي ٥٨ سائق أجرة في القاهرة على مدى عام كامل بعضاً من هذه التصورات الشعبية في روايته تاكسي والتي سجلت أعلى نسبة مبيعات في القاهرة (٣٥ ألف نسخة). وقدم الخميسي هذه الرؤى العموية عبر مقترحات من خبرات السائقين الذين تصادف و كان بصحبتهم في المشاور التي قام بها. وهو قدمهم بصفتهم شخصيات مبهمة ربما حفاظاً على سلامتهم وربما هو لم يكن يعنيه في مهمته هذه اسم السائق أو أي شيء يكشف عن هويته مادام الهامش الأساسي يكمن في محاولة التصرف على أفكاره وأرائه بالأوضاع السياسية والاجتماعية في البلاد. لا

يشكل اهتمام المصريين بالكتاب ونسبة المبيعات التي حققتها أي مفاجأة تذكر. فرغم أن هناك فائضاً من المؤلفات الأكاديمية التي عملت على تقصي سؤال «ماذا حدث للمصريين؟» إلا أن ثمة فريدة تميزت بها رواية الخميسي خاسلوية غير التقليدية ولفته السلسة ومحاولته العموية للتعرف على التصورات الشعبية جعلت رواية تاكسي - ربما ومن دون مبالغة - هي أحد أكثر المؤلفات والأعمال الأدبية التي استطاعت أن تلوح

للتحولات الاجتماعية والسياسية التي خبرتها البلاد خلال الخمسة عقود الماضية.

من دون شك أحد الأمور التي ساعدت الخميسي على إتمام مهمته هو أنه اختار أن يوثق حركة الشارع في لحظة سياسية مشحونة بالتحولات والأحداث في تاريخ مصر الحديث، فألوح مرة منذ عقود لم تعد حركة الاحتجاج الشعبي موجهة ضد إسرائيل أو الولايات المتحدة وإنما ضد «عدو محلي» إذا جازت التسمية إلا وهو نظام الحكم والأجهزة الأمنية التي تتحكم بمفاصله. وفي الفترة من أبريل ٢٠٠٥ إلى مارس ٢٠٠٦ كان الخميسي مراقباً عبر مشاهداته لاحتلال الشارع موقع الصدارة للتظاهرات المناهضة لنظام الحكم والاحتفالات المصاحبة للانتخابات الرئاسية ثم البرلمانية ومشاهد العنف

القيح الذي مورس بحق المظاهرات والمعارضة. سجل الخميسي ضمن مشاهداته ردود فعل المصريين حيال ظهور أول حركة احتجاج سياسي غير متحيزة وهي تحدى نظام الرئيس حسني مبارك وكذا ردود أفعالهم حيال أول انتخابات رئاسية يتنافس فيها الرئيس للمرة الأولى ضد تسعة مرشحين آخرين والتي أعقبتها الانتخابات البرلمانية التي حظيت فيها جماعة الإخوان المسلمين بـ ٨٨ مقعداً بجلس الشجب بعدما خاضوا معارك عنيفة ضد البلطجة المؤسسية التي قادها الحزب الوطني الحاكم.

مصر

كان عاماً حافلاً بالأحداث والتظاهرات والتظاهرات المصاحبة بين انصار التوريث ومعارضيه. كان الشارع في قلب هذه الأحداث بل والساحة الوحيدة لها فيما كان الحميس يمارس هوايته المفضلة في الاستماع لتدريجه من المصريين العاديين الذين تأثروا بهذه الأحداث على كافة مستوياتهم الحياتية فيما هم لا يملكون من أمرهم شيئاً ويكتفون بدور



الحلق على مشهد لا يعنيه من قريب أو بعيد .

هؤلاء السائقون بينهم المحاسب والمحامي والمدرس الذين ارتضوا بهذه المهنة بعدما خدلتهم الدولة وهم غاضبون من التشفيف الاقتصادي الذي يعيشونه ولديهم مخزون هائل إلا أن استولوا على هذه المساحة العامة الضيقة المتمثلة في التاكسي ليصبوا جام غضبهم على السياسة وطبقة السياسيين وهم يفعلون ذلك أمام غرباء أي راكبي التاكسي الذين ربما يشاركونهم أيضا هذا الشعور بالغضب والرفض . فإرادة الرواية أنها تفسر كيف أن التاكسي أو هذا الفضاء الصغير لم يعد فقط ينظر إليه باعتباره وسيلة المواصلات الأكثر رفاهية وإنما اكتسب معنى مضافا حين تحول لمضاء عام في وقت أصبحت كل الفضاءات العامة التي تستوعب حركة الشارع واحتجاجة وغضبته ضد النظام متفصلة بفعل القبضة الأمنية الخفية.

وأهمية الرواية تكمن في كونها تكشف بشكل عضوي عن نظرة المصريين - خاصة الطبقات المهمشة منهم - إلى الحكومة والنظام وتجييب

بشكل غير مقصود عن سؤال لطالما قُض مضاجع من يتابعون حركات الاحتجاج في مصر وهو: لماذا لا يتظاهر المصريون رغم كل الفتن الواقع بحقهم ولماذا لا يخرجون إلى الشارع أفرادا وجماعات للاحتجاج ضد النظام؟

وتكشف أيضا عن العلاقة التي تتسم بشيزوفرانية رهيبية بين المصريين والسلطة حيث الخوف الذي يمنعه من الثورة ضدها رغم أنهم لا يكون لها إلا الاحتقار وهو معبر عنه في العديد من التعليقات التي وردت على السنة غالبية ساكني التاكسي الذين التقاهم الخميسي. وهو يكاد يكون الجزء الأخطر في الرواية الذي يكشف عن تصورات المصريين لحكومتهم العتيبة لأن هذه التصورات من شأنها أن تعكس ربما شكل وحجم الغضبة المقبلة فالحكومة بنظر المصريين «مرعوبة ركبها بتخيط في بعضها ونفخة وتقع.. وهناك من يرى: إحنا عايشين في كدبة ومصدينها والحكومة دورها تراقب إن إحنا مصدين الكدبة.. أما أحدهم فقد ختم شكوى عريضة بجملة «ها عايزين منّا إيه! عمالين ينهبوا ويسرقوا ويرتسوا» وأخرها إيه موش عارفا نهج (نهاجر)

رى ما كل الناس نهج... ولكن إذا كان الحال كذلك لماذا لا يهيب المصريون ضد حكومة يرونها ضميمية وهشة ويمادا يمكن تمسير هذه اللايمبالاة المتناهية التي صارت أحد أهم ملامح المصريين خلال الخمسة عقود الماضية يضع أحد السائقين يده على الإجابة ربما من دون أن يلحى: الحكومة رعت فينا العرب من الجوع وخت كل واحد يقول ياللا نفسى..

ويضيف آخر: المشكلة فينا إحنا لأن ١٨ و ١٩ يناير كانت بداية ثورة ماکملتش.. ولأن (فيه متين واحد ماسكين لافتات وحواليهم يحيى القين عسكري وضابط وعرييات أمن مركزي قافلة الدنيا..)



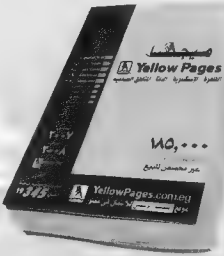
واحتلت المسألة الاقتصادية صدارة النقاشات التي دارت بين الخميسي وسائقيه ما بين روابب لم تعد تضي الباعد الأدنى من الحياة الكريمة والأسعار المرتفعة التي أضحت روتيننا يوميا لا يملك سائقوه إلا أن يلوموا الحكومة التي يعتبرونها لا تفكر إلا «بالأغنياء والسانحين الأجانب، وعلى حد قول أحدهم: واضح أن خطة

الحكومة الحقيقية أنها تخليتها نهج كلها على بره.. بس لو هجيننا كلها الحكومة هتسرق مين.. تحسن انهم بيبدلوا محهود لحراب بيتنا وعازرين يحولونا لشحاتيس أو مجرمين.

من دون شك أن صراحة كذلك ليس من المتوقع أن تسمعها في مننديات القاهرة الخيوية أو في مراكز الفكر المشغلة بقصة الإصلاح السياسي في الشرق الأوسط . لهذا السبب بالذات تميزت رواية الخميسي فحكايات التاكسي كسحت عن وجود مخزون شعبي هائل من الغضب والإحباط ضد الوضع القائم. الأمر الحزن هو أنه لو صدقت تصوير الخميسي فإن إمكانية أن يتحول هذا الغضب الشعبي لقوة تغيير حقيقية في مجتمع مجهد تكاد تكون معدومة.

يبقى من المهم بمكان معرفة هوية الجهة التي سيكون بإمكانها أن تستثمر حالة الغضب والاحتجاج التي تسود قطاعات واسعة من المجتمع للدفع بقضية تغيير النظام غير أن المشكلة التي تواجه الجميع هي عدم وجود قيادات تستطيع أن تؤدي دورا في رسم شكل وتوقيت وطبيعة هذا التغيير. بما يحصن البلاد من مصير قاتم. ■

# كل ما تحتاج!



لطلب نسختك

اتصل 19345

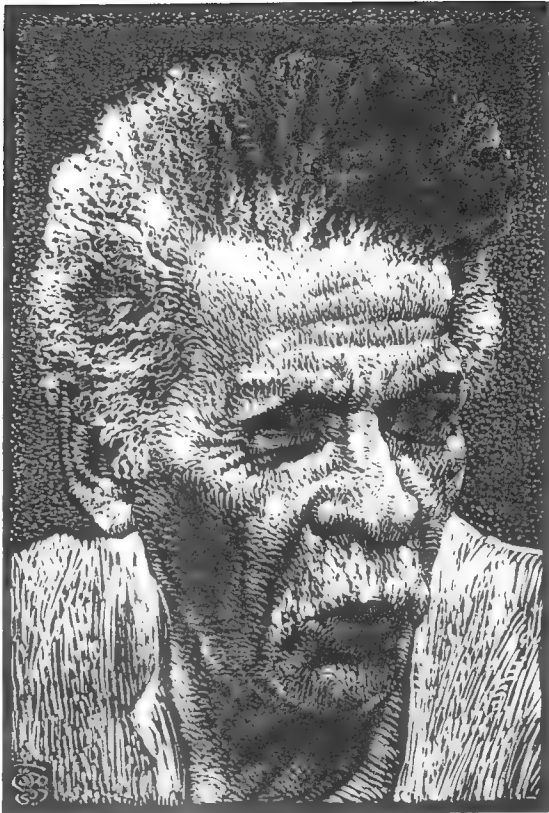
\* يتم تحصيل رسوم توصيل رمزية ٩.٢٥ جنيه.



YellowPages.com.eg

ديك للأعمال في مصر





للإيقاع عبر النقر بأصابعه على المائدة  
كانت البداية حول موضوع النكسة  
وقصيدته العامة الشهيرة «الحمد لله  
خبطنا تحت بطاطنا يا محلى رجعة  
ظباطنا من خط النار»، ولأنى كنت آنذاك  
مراسلاً عسكرياً لجنلة روز اليوسف، ولأنى  
شهدت المأساة كاملة على الطبيعة فى  
سيناء، من هنا كان انفعالى الشديد، وأنا  
أحاول جاهداً احتباس الدموع!

بعدها على ما ذكر كانت غنية توث  
هاوى حاوى توث، ثم تنامت الأغنيات  
بعد ذلك، إليه آخر الصبر يا شيخ أيوب،  
والله الله يا سوى هات الشخايل . ثم  
كانت العاشية غنية جيعار مات بحر  
خير فى الراديوها،!

كنا نردد كويليهات الأغنيات  
مبحورين بشكل جماعى وفى حرارة  
وحماس ولوعة، وكانت المعاني والمرامى  
تضطرب فى أعماقنا وصماذرتنا، وأدركت  
وأنا المقيم بأنواع الغناء كما لو أنسى  
اكتشف عالماً آخر مختلفاً، فقد كانت  
شعار نجم غير مسبوق فى خياراتها  
التقديمية الصارخة، كما كانت انعام إمام  
وغناؤه هديرًا مزلزلاً!

وتساءلت فى نفسى: من أين كل هذا  
الزخم الإبداعى الثورى؟ ولعله من هنا  
كان طريقى سالكا الى حب العنصرية. حيث  
المنيع والشيح .. حيث سكن نجم وإمام  
شديد التواضع فى خوش قدم، ولا أدري  
لماذا دار فى ذهنى شبه نجم بالناصر  
الإسباني الشهير، لوركا، فهو فقير مثله  
وعظيم على شاكلته، وإذا كانت شهرة  
لوركا لكونه صاحب أجمل الأغنيات فى  
تاريخ إسبانيا منذ كانت الاندلس، فهذه  
غنيات إمام ونجم القصيرة تحضر لها  
مكاننا مرموق فى تاريخ القاهرة الفئالى!

## ما بين خوش قدم والأكاديمية

من يومها راحت قدمى تقودانى يوماً  
بعد آخر ما بين خوش قدم وشقة الاديب  
محمد جاد الشهيرة فى المحورة التى كما  
نسبها الأكاديمية، حيث كان يأوى إليها  
إمام ونجم أحياناً ويبدعان، ويؤمها جوقة  
من الادباء والشعراء والعنانين الواعدين،  
وبينهم الأيسوى وأمل دندقل ويحيى  
الطاهر وعبد الرحيم منصور  
وسيد خميس وسيد حجاب

رغم اختلاف المشارب بينهما  
والانطباع، تشاء تصارييف القدر أن يرحلا  
إلى القاهرة، وأن تتجاوز شهرتهما آفاق مصر،  
أحدهما عبد الحليم حافظ  
والآخر أحمد فؤاد نجم!



لشاجومي

## الذين استمعوا مثلي لأحمد فؤاد نجم وهو يلقى أشعاره وبينها قصيدة «شحاتة المسل» في جامعة القاهرة، لا يزالون يتذكرون تلك الحجة، فقد كان الصف الأول من المسرح يضم البصاصين والخبريين

هيط إلى القاهرة قادماً من الإسكندرية  
أواخر ستينيات القرن الماضي يبحث  
فرصة للنشر، فكان اعتماد أحسان  
عبد القدوس له مبدعاً وتعبيته بمجلة  
«روز اليوسف» ليس بصفتة محرراً وإنما  
بصفته شاعراً!!

وكان الشيخ إمام قد تعرف على قاعود  
قبل بجم عمر ما كانت تنشر له مجلة  
صباح الخير من القصائد العامة، حيث  
لحن له وغنى عشرا من قصائده العامة  
كال أكثرها رواجاً وقتئذ تلك الأغنية التي  
كانت تحكي يوميات بائع جائل في وسائل  
النقل العام، ليان دكر مجهرات بكش/  
شحلية فلايات/ وباعة للضميص/  
ونوجة يابلسي في مترو الذوات/ يا  
كمسري يا كمسري يا نص سكرى.. إلخ.  
إن ذلك كان قصيدة الشاعر، التي  
كتبها قاعود تليقاً على حادث احتجاج  
أحمد فؤاد نجم في مركز شرطة إمبابة  
عام ١٩٦٨ ومطامها

ومى علامات النهاية (إن اللي شوفته  
قصائد عيشي ميقتل/ هو اللي بيحرق  
معايها



من المضحك وشر البلاء ما يضحك  
أب يتنكر الشاعر محمد لاشين نداع  
وهنا من قبيل رفع الروح المعنوية، وكان  
يردده مع قبيل رفع الروح المعنوية، وكان  
جمال وضابط الإيقاع محمد علي والمال  
التعبي محمود البلبان مع صحبه  
المجسدين في الحجز، ولا أكاد أتذكر من  
هذا الدعاء الهتاف سوف:

يا رب ياللي خلقت البوليس وهايتهم  
يتأكدنا

بأدهك تآخدهم جهنم زي ما خدونا  
عن هذه الواقعة المشرقة حكى محمد  
جواد في مقال كتبه على هامش حلقات  
«الشاجومي» التي نشرتها صحيفة الوطن  
الكويتية مع بداية شهر نوفمبر ١٩٨٨..  
يقول: كنا عائدتين من سهره في بيت  
النحات الطمستيني المعروف «مصطفى  
الحلاج»، كما نبحث عن عقد يملك هذا العشاء  
وتقدم له من «إمام ونجم».. ولأسف  
التدبير لم نجد هناك سوى الطلمبة  
والحوق.. شربنا الشاي وانطلقنا في  
الطلمة، كما في الصيف لكنني أحسنت  
بالرد بما كتب في الجوال الشفيع، في  
الشاعر رأيت مساك جوع إمبابة ممتدة  
حتى مركز إمبابة على اليميس، بينما  
التيل على الشمال، كنا تسير في الظلام  
الداس من تلامصين ولفطنا الشيخ إمام

العدد المائة وستة - نوفمبر ٢٠٠٧ م

سعيد سيف الدين خوش قدم المؤيدي،  
إنه تسلطن على حكم مصر يوم السبت  
السابع وعشرين من رمضان سنة خمسة  
وستين ولثمانمائة هجرية، ومات على  
سرير الملك بعد سبع سنوات، وله من  
العمر نحو مئتين سنة، وكان ملكاً  
جليلاً كفاً للسلطنة، أدبياً، حشماً،  
عاقلاً، وقوراً، شجاعاً، مقداماً، عارفاً  
بأنواع الصروسية، وكان إذا ساق الفرس لا  
ينفرد ديله من تحت فخذه وهو في قوة  
سوقه، وكان عنده تواضع.. يسوما عند  
الحاكمات من غير عدة ولا بادرة، عارفاً  
بتدبير أحوال المملكة، ماشيا على طريقة  
الملوك السافلة!

ثم نستكمل الملاحم الشخصية أو  
السيرة الذاتية في كتاب إن إياش حول  
خوش قدم.. يقول: كان تابعاً لطريقة  
أستاذة المؤيد في عمل المواكب بالقصر  
والجيت به في ليلتي الاثنين والخميس،  
ويصعد العسكر إلى القلعة وهم بالناش  
والفتاح، وينزل لصح السرفي يوم وفاة  
النيل بنفسه كعادة المؤيد، ويلبس الأمراء  
الصوف بمعظم الطرز التي في الطريقة.  
ويشق القاضرة في المواكب الحافلة  
بالأمراء قدامه، ويكون له يوم مشهود،  
ويدير في كل سنة يوم في رجب،  
وتسوق الرماحة على العادة القديمة  
ويصرف على ذلك جملة أموال، ويحرق  
بالرملة النقوط الهائلة، وتصرف الناس  
في تلك الأيام أموالاً لها صورة، وتعمل  
الأسطمة والدمات الحافلة

ثم يختتم أس إياش شهادته عن إمام  
الظاهر خوش قدم، كانت أيامه كلها لهو  
واشراق، ولم يقع في أيامه الطاعون ولا  
الغلاء، ولا أخرج من مصر جريدة إلى  
البلاد الشامية، وكان شهماً مهاباً حسن

وعلى ريق الله وجيب شهاب وحسن  
الموجي وخيري شلبي وتبيل قاح ومحمد  
لاشين ومسيد عبيد الذي عاد من الخليج  
مطرباً وزعيماً لفرقة جيش التواشيع  
والتمثل على الشريم.. وغيرهم كثير، حتى  
هرب محمد جواد من مطاردة الشرطة  
واختفى في قريته «بركة السبع»، وقد  
شقة المعجوبة بمدما عجيز عن دفع  
الإحراق ولم يكن يتجاوز سنة جنيتها،  
وعلى ما يبدو أنه وجودة المتضمن كانوا  
تحت المراقبة الأمنية، فلم يسلم منهم من  
الاعتقال والحبس سوى البعض، ورسم أن  
محمد جواد كان ناصرياً إلا أنه كان يرفض  
تجاوزات الأمن في عهد عبدالناصر.  
وأذكر أنه كتب وأشند رها ٢٥ أغنية قام  
بتلحينها حسن الموجي رفيق الشيخ إمام  
قبل شهرته بسنوات، كي يتم إنشادها  
خلال نص مسرحي تحت عنوان «قهوة  
البوسة»، التي كانت تلتقي جمال الدين  
الأفطاني والشيخ عبيد وعبدالله  
النديم ويعقوب صنوع، وما تزال هذه  
المسرحية تغيرها من شهر رادب ولفسة  
محمد جواد في حوزة أسرته ويحكي  
أصدفانه في انتظار أن ترى النور، وتلك  
كانت البيئة والأجواء الإبداعية التي  
شهدت ولادة نجم وإمام إثر هزيمة يونيو  
١٩٦٧

والشاهد أثنى عندما شرعت إلى  
التحقيق في صحة معلوماتي عن شقة  
العجوز «الأكاديمية» أكد لي الأصفاة  
الثقة الذي كانوا يآوون إليها، أن الناقد  
الأديب سيد خميس يرحمه الله كان  
يتكلم بدفع الإحراق، بينما كان عماد  
النور فقط باسم محمد جواد، ثم إن سيد  
خميس كان يتولى من دخله الحدود  
توفير الطعام والمأوى والكتب لروادها من  
الأدباء والمفكرين الصغار!  
هكذا استبدت متناعري واهتمامي  
ظاهرة نجم، إمام، وكأني أمام أسطورة  
حيية ومتجددة، وراحت أسطره على  
الثنائي المدهش تضمن نصها على  
الأسباع، وكانت قد فرضت نفسها تلقائياً  
على الأسباع في القاهرة ومصر من  
أدناها إلى أقصاها ومختلف ربوع الوطن  
العربي، كما كانت إعادة نسخ هذه  
التسجيلات كاملاً مهما في توسيع دائرة  
الاستماع وكسب المزيد من الانصار  
والعجب، وإلى الحد الذي استعدت من  
أجله قراءة الموجز أس إياش لعلى استرشد  
به في استبيان تاريخ الظاهر خوش قدم،  
حيث كنت (نجم - إمام) في عهد من  
الأحياء التي تحمل اسمه.. يقول في  
كتابه «بدائع الزهور في وقائع الدهور»  
حول صفات ومكارم الملك الظاهر أبي



أحمد حسن عساف

## وأبطل منها الحج مع عمراتها

ومن هنا كانت الطبخة الأمنية جاهدة عبر تلميق الجريمة الكبرى التي تناولتها مختلف الصحف والجلات التي صدر صفحاتها، الشيخ إمام وأحمد فؤاد نجم أكبر نجار محدرات في مصر، وفي السياق جرى التحفظ على الشيخ وكيلو حشيش وكيلو افويو..، القصة تأت بعد مضي زهاء ٣٨ عاماً بالت معرفوة بكل تفاصيلها المثيرة، فقد تم القبض على إمام ونجم ومحمد لأشيد وسعد الموجي حيث سبق المتهمون إلى مديرية الأمن العام، ومنها إلى النيابة، ومنها إلى قاضي

المعارضات الذي شكل جلسة سرية! قدم المحامون مجموعة من الصحف والجلات التي كتبت عن إمام ونجم باعتبارها ظاهرة أدبية وثقنية جديدة بالاحترام والتشجيع، ومن بينها مقال للدكتور فؤاد زكريا في مجلة «السكر المعاصر»، واقتناحية رجاء النقاش في مجلة الكواكب، وعمود الأستاذ محمود أمين العالم الذي أكد فيه أن إمام هو سيد درويش مصر، وأن نجم هو بديع خيري أو بيرم التونسي، وعندئذ طلب القاضي الاستماع إلى أشعار نجم، بلسانه، ثم طلب الاستماع لها عبر تلحين وأداء إمام، وراح يغني ويضبط الإيقاع عبر النقر على منضمة القضاء، فكان قرار القاضي أن القصيدة لا تستند إلى أساس والإفراج عنهم بكفالة مالية، وإذا جمعت غير من المواطنين يتقاطرون على قاعة المحكمة ويدفون الكمال!

لكن التهميش الإبراء أغلقت عليهم الرنازين لمدة يومين، وعندما ثاروا وصاحوا يهتفون ضد الظلم والطاين، استدعاهم المأمور واشترط حضور ضامن لهم من عنده، ومن عجب أن يتقدموا أحد من الخبراء لم يكن له سابق معرفة بالمشاهير الأبرياء، وحقق في وجوههم، ثم أمسك القلم ووقع على الأوراق ضامناً له في الله، فلما خرجوا إلى ساحة الحرية نادوا إلى شراء الصحف، حيث وجدوا صدحت الحواتين بضيضاء من أي ذكر لواقع القصبة ولا أي متابعة للمحاكمة التي انتهت بالإفراج عنهم!

## القصاص بين نجم وإمام

على أن بانوراما السيرة الذاتية لشاعرنا المأمومي مازال غير مكتملة وتحتاج ولا شك إلى كتاب يحصره جمع من الكتاب



## لا ينكر نجم أنه دخل السجن للمرة الأولى بتهمة التزوير، وب ضرورة ناعفة كما يقولون، فقد قضى في العقوبة ثلاث سنوات، افتتحت خلالها شهية للقراءة، وحتى أدركته موهبة الشعر

المصرح يضم البصاصين والخبرين، لكنهم لم يملكو سوى التصديق له في خضم تصديق ١٥ ألف طالب، وهو يسخر من سوية، شحات المسيل، وإذا بهم يحاولون محاصرة نجم قبل إفلاته فيما يشبه حركة نفاق لشحات المسيل نفسه!

بعضها كانت مباحث أمن الدولة قد ضاقت ذرعا بكل هذا النشاط السياسي الجمود، وهذا الانتشار الواسع الذي امتد إلى النقابات والجماعات، والتحاويل الجماهيري مع الأثنيين والسخط على النكتة والنقد الصارح للغة والتسيب والإهمال الذي أدى إليهم، وتداعياتهم الوحيمة على الصعيد الاجتماعي على نحو ما جسدت أغنية نجم وإمام لأحوال مصر

نأح النواح والنواحة على بفره حاحا النطاعة

وبالفرقة حلوب.. تجلب قطار لكن مسلوب.. من أهل الدار وبالفرقة تنادى.. وتقول يا ولادي ولأاد القوم رايعين في النوم.. إلخ. لكن أحمد فؤاد نجم الحمسيد المصري لشاعر جمال الدين السملوني الذي عاش زمان السلطان الخوري عام ١٥١٧ ميلادي، حين بدأ بالظالم التي سادت في عصره، وناله منها الصررب والعسف على يد عبدالجبر قاضي القضاء، فهاشيد يقول

فشا الزور في مصر وفي جنباها ولم لا ويعبد الجبر قاضي قضائها

أبكر في الأحكام زوراً وباطلاً وأحكامها فيها بمختلفاتها

إذا جاءه الديار من وجه رشوة يرى أنه ليس على شيءاتها

فإسلام عبدالجبر إلى سوري بصمته والكفر في ستماتها

إلى أن يقول: ولو أمكنته كعبة الله باعها

المقاعد وزدهات وحديقة النقاية، واستمر العمل ثلاث ساعات متصلة لم يتوقف خلالها التصميص وترديد كوتيليات الغنائية لحظة واحدة، كانت ثورة ثقافية عارمة بأي معنى، لكن لم استرح لهذا النجاح منقطع النظير، ويا ليت أحد اهتم بتسجيل هذا الفصل التاريخي، إذ كان وراءه مجهود جماعي شارك فيه حجازي رسام الكاريكاتير ومصاب الأيدي المصاصة على خربة إمام وبحم، وكذا رجاء النقاش وسعد الموجي وحسن الموجي وفؤاد القاعود ومحمد جاد الرضا!

وحدث ما توقعته وخشيته، وغيرى من أنصار هذا الثوري الصريد، حيث اهتزت له السلطة غصبا، بحيث انطلقت بعض الأرواق الصحفية في سيل من الهجوم المنقذ والنباءة من عقابها، كل انطلق بصر من القصر الماهقين والمواين يبدجون التهميش السياسي دون جدوى.. أقصد دون أن يتمكنوا من محاولة أشعار نجم وجذب الجماهير الكاسنة إلى الصدق والإخلاص!

وهي تصديق حار رفيق طل رجاء النقاش بوسائل التفرغ نتيق وبإعراء نجم وإمام عام إذاعة صوت بغداد إبان أيام شهر رمضان عام ١٩٦٨، كما أصدر رجاء النقاش أربعة أعداد متعاقبة عنما في مجلة الكواكب من العلاف، إلى العلاف.. وكان رئيسا لتحريرها، لكن نجم أختى على نفسه وعلى إمام من تلك الاتهامات والشائعات الدريضة التي حاولت الترويج بتهمة اختواء السلطة لهما!

والذين استمعوا مثلى لأحمد فؤاد نجم وهو يلقى أشعاره وبينها قصيدة «شحاتة العلف» في جامعة القاهرة، لا شك أنهم لا يزالون يتذكرون هذه المفاجأة وللك الجرة، فقد كان الصف الأول من

عيسى يتقوده جمال جاد، بينما محمد لاشين يقود محمود الليان.. عندئذ تأت نجم «إيه راك، نعم في الظلام كله يعني عشان نسبي الجوع والفقر الذي لا يسعفنا لا بالطعام ولا أجرة التاكسي حتى نعود إلى حوش قدم؟

ويدنا نفث وراء نجم، وكأن المشهد على ما يبدو مثيراً لشخص يتريص بنا في الظلام، وإذا به يستوقفنا ويعلن أنه شيخ المخبرين في مركز إجابة، إذ ما به يصاب بحمى قظيلية.. حمى القسوة الشديدة بلا أي مير، نزل بكل كفه على وجه نجم بشكل متكرر وكأنه يحاول قتله.. كأن هناك ثارا حقيقيا حل موعده.. بل إلى الضرب تواصل بعد وصولنا إلى مركز إجابة تحت ضوء لمبة كهربائية ضخمة ولا وقت عند شيخ المخبرين للقاءهم، فكان نجم لص خزان ثم القبض عليه بعد بحث دالب استمر سنوات وسنوات، ويخشى أن يفلت منه، أشهر لص خزان في التاريخ، إذ ظل يعاجله تباعا بضريرات موجعة وقاتلة، ولا أعرف كيف لم يمت الشاعر الكبير تحت أذى الحكم من الصععات رغم أنه كان غريصا!

والحقيقة أني كلما راجعت تفاصيل الواقعة كما حققها جاد وشهادة لاشين، أكاد أرتد شفقة على هؤلاء الذين وهوا دون جريرة ولا سبب في شراك التعذيب قلب صابحة والتجويع عدة أيام، إلى حين رقى إلى إهانة الباحث صديدا أدرك أن بينهم صحفيين وشعرا، بينما كان الشيخ إمام قد أغلقت وحده بأعجوبة واستطاع أن يركب تاكسي إلى خوش قدم خمسة وعشرين قرشا كانت كل ما في حافظته، وهكذا جرى تغيير محصر الشرطة باعتبار التهميش لا يحملون بطاقة شخصية، فكان قرار وكيل النيابة تعريم كل منهم جيبهوس ونصف الحنية تقديرا لظهورهم!

يقين هذه الواقعة الماساوية كانت ولادة نجم الحقيقية كشاعر شعبي يعبر بانقدار إلى لهجة بسيطة وحاسمة عن نداءات الكنتكة على كل صعيد، والدعوة إلى التراجعة ونقد الذات في مرارة لأسبابها المعروفة والمستبطنة، ثم إن هذه الولادة وأكب ظهور نجم وإمام على مسرح نقابة الصحفيين بعد أن كان مجال التعبير والإفصاح سرا في البيوت والمقاهي والقرى والأحياء الشعبية! قدم الناقد الكبير رجاء النقاش والمرحوم محمود المارغي وكيل النقابة نجم وإمام وسط حشد ضخم من الصحفيين والديون صفاقت بهم



# صورة الشاعر والوطن.. في تعقيقات التضاء

## عماد الزمالي

الخسمة، والذي كان لتخلده وانتهازيته بالغ الأثر في ذيق الفساد والتمهيد لأجواء الهزيمة التي جرت بعد ذلك بتنهو قليلة، فهذا المثقف على مفهيه ريش... محطوط مزعلط كثير الكلاء/ عديم الممارسة/ عدو الزحام/ بكام كلمة فاضية/ وكام اصطلاح/ فيبرك حلول المشاكل قوام/ يعيش المثقف/ يعيش يعيش يعيش

والحقيقة أن هذا النقد اللاذع للمثقفين، لم ينفرد به نجم وحده، بل تواتر في عديد من الأعمال الشعرية والقصصية لتلك المرحلة وما بعدها، وربما كانت، «بروتوكولات حكماء ريش» للمصري والشاعر الراحل نجيب سرور هي الأشهر بينها، تقرباً مثلاً، نحن الحكماء المجتمعين بمقهى ريش/ من شعراء وقصاصين ورسامين/ ومن النقاد سحالي الجبانة/ حملة ممتاح الجنة/ وهواة البحث عن الشهرة/ وبأى شمن/ والخبراء بكل صنوف الأزمات/ نحن الحكماء المجتمعين بمقهى ريش/ قررنا ما هو أ.

لا تقرا شيئاً.. كن حمال حطب/ واحمل طن كتب/ ضعه بجانب قنينة بيرة/ أو فوق المقعد/ واشرب وانتظر الصراف/ سوف يفي بك.

الأخر/ يحمل طن كتب/ ونقرأ أيتها، يا ذؤيبان لا تعرف الكلمة/ يا صبيان السوق الحرة/ حيث يبيع الله بكأس ريب/ ما أرخص في السوق الإنسان

ونقرأ لا تصمت أبداً.. إن الصمت جهالة/ واحذر أن تتكلم في الموضوع/ لا موضوع هنالك، لكن خذ سمة الأستاذ/ وحذار أن تنسئ البياض/ والكلمات الخطرة اللاتينية/ قل في الواقع واصمت لحظه/ قل لا شك/ واصمت لحظه/ ثم مقدمة محفوظة/ من فذلكلة المنهج/ حسب الموجة والتبار.

وأيضا: لا يخبثك المسرح والأدوار/ المكياج.. الأزياء.. الديكور/ هذا بعض السورس/ الميكور/ في المقهى الملعون/ والآتي من عهد الهكسوس/ جاسوساً خلف الجاسوس

حتى هذه اللحظات لم يكن هناك ما يسمى بين نجم والسلطة، بل تم تعيينه عقب خروجه من السجن عام ١٩٦٢ في منظمة

طول عمره وراشني بالبلد ويستاهل ما يجرا عليه، الكلام ده واكثر منه كان هو بيقولوهي محمد أخويا وأنا كنت طبعاً باصدقه، بعد السجني انعلمت وفهمت، يا ننت الإيه يا مصر، اتاركي حكاية طويلة مالهش أول من آخر.

كال ما أجمع وعي نجم السياسي في المرحلة الأولى. هذا التناقض الحاد بين طبقة الأثرياء وطبقة الفقراء والفساد الذي استشرى في النظام وقيادات القطاع العام الذين نهسوا ثرواتهم، وتنازلتهم الرسوم الكاركتيكية لرسامي روز اليوسف، وخصوصاً حجابي، وكان هذا الفساد أحد مؤشرات الهزيمة التي

جرت بعد ذلك بشهور، يقول نجم في قصيدته، «التحالف»، يعيش الثمانية/ في حي الزمالك/ وحى الرمالك/ مسالك مسالك/ تحاول تمكر تهوب هائلك/ تودر حياكلك/ بلاش الممالك/ لذلك/ إذا عزت توصف حياتهم/ تقول الحياة عندنا/ مش كذلك.

وهي مقطع آخر من القصيدة: يعيش الغلابية/ في طي النجوم/ نهارهم سحابة/ وليهم دموع/ سواعد هريئة/ لكن فيها حيلة/ تبدر تخضر جفاف الربوع/ ممكن شعل كايرو/ مايتعشب دايرة/ لا ياكل/ و حتى يقدر يجمع

كان نجم يتندر من الاتحاد الاشتراكي الذي يصمم تحالف قوى الشعب العامل من هلاحين وعمال وجنود ومثقفين ورأسمالية وطنية. وقد رأى أن هذا التحالف ينسجم تناقض حاد بين الطبقات، إلا أن الدين يزيد شرًا ثم يتكسب ثرواتهم بفعل الفساد والرشوة. والافطراء الذين يروحون في الجيوب والمهاجرة وقد عبر عن الطبقة الأولى بساكني حي الزمالك، والثانية بهؤلاء الذين يعيشون في طي النجوم. لكنه لم ينس المثقف، أحد أقسام التحالف

وسنلاحظ أن نجم يعود بالقصيدة إلى عام ١٩٥٩، في الوقت الذي يشير الكاتب الكبير صلاح عيسى في مقدمته للكتاب إلى أنها جرت عام ١٩٦٠، كما ستكرر هذه الالفاظ التي يتحدث بها نجم عن نفسه في التحقيقات، إذ ليس صحيحاً بالتاكيد أنه، حديث الناس من المحيط إلى الخليج أو في أي مدينة أو قرية في كوكب الأرض فيها ناس يتكلم عريش، وإن كان ذلك لا ينفي شاعريته وتأثيره في مصر وخارجها.

وإذا كان الأستاذ صلاح عيسى يروح لبدايات نجم في القصصية السياسية بقصيدة «يعيش أهل لندي»، التي كتبها كما يقول في ربيع ١٩٦٧، فإنه يؤكد في المقدمة التي كتبها لذكرات التي كتبت حصلت عنوان «الفاجمي» أنه، بالممكن له أي صفة، لا تسكن أو يشنون الحكم ولم يكتب في أيهما شعراً قبل ٥ يونيو ١٩٦٧، والحقيقة أن نجم أتبع «يعيش أهل لندي» بقصيدة سياسية أخرى عكست رأي وعي السياسي والاجتماعي، الذي كان لفترة السجن أكبر الأثر في تشكيله. إذ التقى في سجن مصر العمومي بعد من الكتاب الذي كانوا محبوسين على ذمة قضايا شيعية. بينهم الناقد سامي خضبة

والقاص الراحل عبدالحكيم قاسم، ومن خلالها سمع لفترة الأولى شعراً لرفاد حداد الذي كان معتقلاً هو الآخر في سجن كاث، يقول الفاجومي الذي كان محبباً بالقرب ويكل ما يأتي منه أو يصدر عنه متأثير أخيه الأكبر، محمد، «بدات اصمحي واشوف الأشراف والاشياء بعين ثانية، زمان قبل السجني لما فريت ديوان بيرم التونسي وسمعت الحاح سيد درويش وركيزا أحمد من كنتش مصيب، كنت ميهور شوقي وعبد الوهاب وبأى شيء فيه رجة أوروبا الكرمة، كان فيه حارة رمتا كيميك شرها اسمها جرة الجاهل (...) طول النهار اتعامل وانمليف عنه عشاق عمر بيرم والاحل بين درويش وركيزا أحمد باعتبارها حاجات بلدي، وأنا راجل افترني أنا عن جد، ثم إيه حكاية فتان الشعب اللي وروا وماغنا بها دي؟ وضع إيه الحافي ده؟ شعب جبان وخائف

» ما يقرى دائماً بالقرعة في سيرة أحمد فؤاد نجم الشخصية ومسيرته الشعرية، فالشاعر الذي أقض مصابيح السلطة طوال عهدي عبدالناصر والسادات، لم يكتب شعراً في قصيدة قبل نلوه الثانية والثلاثين، وكان اكتشافه للكتابة الشعرية قبل بدا في السجن، الذي دخله لأول مرة في عام ١٩٦٠ متهما في جريمة تزوير استمارات حكومية، يحصل بمقتضاها على صناعه يبيعها لحسانه، وقد حكم عليه بثلاث سنوات، إلا أنه خرج في مايو ١٩٦٢، لحسن السير والسلوك، وقتها كان نجم يعمل بوزارة المواصلات، التي عينته فيها حكومة الوفد بعد انحصاره من العمل بمحسرات الاحتلال ضم ٨٠ ألف عامل غادروها بعدما ألقى النحاس باشا معاهدة ١٩٣٦، يقول نجم في مذكراته، ثلاث سنين قصصهم في سجن أرميدان بتهمة التزوير عبروا خط سيري وقلبو حياتي وخلقوا في كائي جديد، كائي إيجابى يقى له اهتمامات تأثر بها وأثر فيها في حدود إمكانية، ثلاث سنين اكتشمت فيها الشاعر اللي اصبح بعد كده حديث الناس من المحيط إلى الخليج أو في أي مدينة أو قرية في كوكب الأرض فيها ناس يتكلموا عريش..

شاعر تكدير الأمن العام  
صلاح عيسى  
دار الشروق - ٢٠٠٧

أحمد فؤاد نجم  
الأعمال الكاملة  
دار الأحمدي للنشر - ١٩٩٨

الفاجمي  
سيرة ذاتية للشاعر  
دار الأحمدي للنشر

بروتوكولات حكماء ريش  
نجيب سرور  
دار الشروق - ٢٠٠٧

أمل دنقل  
الحل الأعل للثقافة  
دار الأحمدي للنشر - ٢٠٠٣

الأعمال الكاملة  
بيرم التونسي  
دار مصر للطباعة - ١٩٨٧



التصامم الأوراسوي، وطُبع ديوانه الشعري الأول في المجلس الأعلى للفنون والآداب بمقدمة للندكوتة سهير القليماوي. وقدمه الإداعي التقدير طاهر ابوزيد في إحدى حالات الإذاعة بوصفه موهبة شعرية ساطعة تستحق التشجيع. وكان ديوانه الأول، من الحياة والسجن هو المناسبة التي تعرف على خلالها على رفيق دريه الشيخ إمام عيسى. الشيخ الصرير الذي كان يسكن حجرة فقيرة في حوش قدم، فالمروية، ترافقه صديقه الفنان التشكيلي التتالي محمد علي. وقتها كان نجم قد، التقى، بينت الحال صاحبة البيت الذي كان يقم في إحدى غرفه بولاق للدكور. وبدأ بعد العدة للاستقرار وتكوين عش الزوجية والأخراط في السلك الاجتماعي. لكن لقاءه بمحمد علي والشيخ إمام قلب تخيلطه كله راسا على عقب. وقرر أن يقم معهم. وأقعد بفترة الاستقرار من دماغه. وبمفتاح غرفة بولاق للدكور من أقرب مائة. يقول نجم عن الليلة التي جمعتهم بالشيخ إمام، «الليلة أنا مش فاكتر تاريخيا. كل الذاكرة أنها كانت ليلة صعيدية من سنة ١٩٦٦. وكانت ليلة ولا كل الليالي. ليلة ما تحسبهاش من العمر رغم أنها كانت أهم وأخطر ليالي العصر على الأقل التاريخية!، وبالتالي للشيخ إمام، وبالسنسنة لعمار وشارل المتجبرف الأليط الأسطي محمد الصايغ الشهير لمحمد علي..» في تلك الأثناء، بدأت الظاهرة القصية إمام/ نجم سطوعها المدي. وتحوّل المنزل رقم ١٦ بحارة حوش قدم إلى كعبة يجمع إليها عشرات من المثقفين والأدباء والمناصب من مصر ومن كل بقعة عربية. وتحوّل غرفتهما الصغيرة إلى منضبة أطلق قصائد معاصمة للنظام بما يمثله من هساد واستبداد. تصبح بعد لحظات أغنيات يردداه المصريون جميعا طلبة وعمال ومتشغبين. وهذا بالصعيد ما حرك السلطة في اتحاد هذه الظاهرة القصية السياسية المؤرقة. إذ لم تهتم كثيرا بشأنها طالما بقي التاريخا في دائرة المثقفين والأفندية. لكنها أزعجت جدا حين تجاوز تاريخها وأمتد إلى العمال والعلاين والطبية. جرى ذلك كله بعد يونيو ١٩٦٧، حين شاعت أغنيتهما الشهيرة، صخرة حاد، وصارت على كل لسان. وقد مثلت هذا القصيدة مرثية غاصبة ضد النظام والفساد والاستبداد.

وكشمد بوصوح عن المقدمات التي قادت والشي كان حتما لا بد أن تقود - إلى الهزيمة - إذ انشغل الجميع بكيفية حلّ البقرة ونهب خيراتها. دون أن يهتم أحد بكيفية حمايتها والدفاع عنها ضد العارة... وف يوم معلوم، عملوها الزوم/ رقاو الترياس/ هريوا الحراس/ دخلوا الخواجات/ شغلوا اللينات/ والبقرة تنادى/ وتقول يا ولادى/ وولاد الشوم/ رايحين في النوم/ البقرة القهرت/ سالى القهر انصهرت/ ولعت في البير/ فألوا النواطير/ طيب ولعت ليه/ ولعت م الخوف/ والخوف يبيس ليه/ من عدم الشوف/ ولعت م الجوع ومن الراحة/ البقرة السمر النطاحة/ ناحت موابيل النواحة/ على حاحا/ وعلى بقرة حاحا. وقد كتبت هذه القصيدة بعد ثلاثة أيام من هزيمة ٥ يونيو ٦٧. أما حين تكشفت الأمور تماما، وصار خير الهزيمة أكثر ذوقا من أن يخفى. كتب نجم القصيدة التي وضعت مياشرة. وهذه الشيخ إمام. في مواجهة صارمة مع نظام عبدالناصر الذي كان يفكر في طريقة لاحتواء هذه الظاهرة. بعد أن تركها النظام بطلاق أغنياتها بحرية نوعا ما. للتصميم عن القصب المتكوم الذي كان أشبه مرجل تغطي في قلوب الناس التي شبت كلاما عن إسرائيل التي سيتم إلحاقها بس وراثها في البحر. وض جيش العرب المرموم القادر على سحقها في ساعات معدودة فإذا بالجيش العربي تدحر في لح الجسر.

لكن حين وصلت سخرية نجم إلى الجيش كان على النظام أن يتحرك. ويورد

إمام/ نجم التي عبرت الأجهزة السياسية والأمنية عن التحلل قرار بشأنها. طلب أن يستمع إلى ما يدعيه من أغنيات وأشعار. ثم سأل وزير الداخلية لشراوى جمعة، إيه المشكلة؟ فقال الوزير: المشكلة أن اعتالها يمكن يعمل دوشة بين المثقفين. فقال عبدالناصر: بلا متقنين بلا كلام هارغ. اعتقلهم. وفتق دهر شعراوى جمعة عن تدبير قضية تعاطى حبش للاثنين. لكنهما خرجا معها. فكان لابد لوزير الداخلية وللنظام أن يلجأ للخيار الصعب، فأعيد اعتقالهما... حافظا على الأمن العام. فصدر قرار اعتقال نجم في ١٥ مايو ١٩٦٩. وقرار آخر باعتقال الشيخ إمام في أول يونيو ١٩٦٩. وبقي معتقلين لمدة عامين. فيهما. توفى الرئيس عبدالناصر وتولى السادات الحكم. هذه الرواية ذاتها يرويها الأستاذ صلاح عيسى في تقديمه لمذكرات نجم بحداقيرها. لكنه يستبدل بشعراوى جمعة وزير الداخلية في الأولى، هاتق وزير الإعلام في الثانية

عبد الوفاة التي جرت بين الرئيس عبدالناصر وإي من الرجلين. لا بد أن تسربت إلى المؤلف، بواسطة أحدهما، أو من خلال طرف ثالث حصر الواقعة. وهي

الحالين فإن منشأ يشير إلى الزعاج عبدالناصر من أغنيات إمام ونجم. ورغبة في أن يصعب جدا للمسألة. أما

الطريق فكانت القصيدة الحمد لله... الحمد لله خطا/ تحت بطاطنا/ يا محلى رجعة فلطابنا/ من خط النار/ يا اهل مصر الحميمة/ بالحرامية/ الفول كثير والطعمية/ والبر عمار/ والعبينة معدن وإهى ماشية/ آخر اشيا/ مادام

## الرئيس عبد الناصر حين

وصله تقرير حول ظاهرة إمام/ نجم

التي عجزت الأجهزة السياسية والأمنية عن اتخاذ

قرار بشأنها، طلب أن يستمع إلى ما يدعيه

من أغنيات وأشعار

حنانه والحاشية/ مكروش وكثار/ ن تقول لى سينا وما سينا/ ما تدوشناش/ ماستميت اوتوبس ماشى/ شاحسين أنقار/ إيه يعنى لما يموت مليون/ أو كل النكور/ العصر أصلا مش مضمون/ والناس أعمار/ إيه يعنى فى العمة جرينا/ ولا فى سينا/ هى الهزيمة تنسنا/ إننا أحرار/ إيه يعنى شعب لا يله/ ضايع كله/ دا كفاية بس أما تقول له/ إننا الثوار/ الحمد لله ولا حول/ مصر الدولة/ عرفانة فى الكد عايلة/ والشعب احتار/ وكفاية أسيانا/ العدا/ عايشين سعدا/ بفضل داس نملأ المعدة/ وتقول أشعار/ أشعار تجمد وتماين/ حتى الحارين/ وإن شالله يخرجهما سلاين/ عبدالجبار، بهذه القصيدة عرف نجم الطريق إلى سجون عبدالناصر. كسجين سياسى هذه المرة. وتضمت ملفاته القضائية بعدة محسوسا في عهد السادات. كانت آخرها في أحداث ١٨ و١٩ يناير ١٩٧٧ التي خرجت الجماهير فيها شعبية أسماها السادات وإعلامه الرسمي التضامنة الحرامية.

هل تصلح ملفات التحقيق في ذاتها وثائق تاريخية؟

يجيب صلاح عيسى على السؤال بتأكيد أهمية هذا النوع من الوثائق كونها تتضمن مبررات منطقية بين سلطات الأنظمة وحيث الدفاع. يحاول فيها كل طرف أن يؤكد صحة موقفه وحين تنظر المحكمة في ذلك كله. فإنها تتماثل بين ما انتهى إليه كل طرف، ومدى قوة حججه والوسيلة ودقتها. لكنه يحذر من أن يسلط نفسه من أن كل طرف في سعيه لتغليب وجهه نظره، قد يتحايّل أو يكذب أو يستبعد قرائن أو يستخدم مدعى موقفه. وهو ما يعنى أن هذا النوع من الوثائق يبيى أن يؤخذ بحذر وحيطه

والملفات التي يستعرضها المؤلف في حالة أحمد فؤاد نجم، هي تحقيقات النيابة العامة التي جرت معه بسبب قصائده المناهضة للنظام، في أعوام ١٩٧٢ ١٩٧٣ ١٩٧٤ ١٩٧٥ ١٩٧٧.

إذ لم يكن قد مر على خروج نجم وإمام من المعتقل أسبوعا شاليع (٢١) أكتوبر (١٩٧١). حين انخرط بسرعة في





الزفة/ يا عريس الغملة يا خفة/ هات وشك/ خذ لك تفة/ شوش من صاحب البيت.

وحكاية عريس الغملة تذكرنا بقصيدة دفع بيرم التونسي منها غالياً، حيث تم نفيه إلى باريس، ويقيم فيها لمدة ١٨ سنة، بعيداً عن مصر التي عشقها وملكته عليه جوارحه، وهي القصيدة التي نال فيها بيرم التونسي من شرف العائلة المالكة، فشكك في نسب الملك فاروق إلى أبيه، وقذف في حق الملكية «نارياً»، واتهمها في عفتها..

يقول بيرم في قصيدته «الضرع السلطاني»:

البت ماضية من زمان تتمشطر  
والفظة زارع في البوان فرع اخضر  
تشوف حبيبيها في الجائكة الكاكي  
والسطة خيل والقمشجي اللاكي  
تسمع قولتها.. يا وراكي

والعافية هابله والجمع مشتمر  
والوزة من قبل الفرح مذبوحة  
والعطفة من قبل النظام مفتوحة  
والديك بيدين واللقام مسطوحة  
لقرا الحوادث في جريدة كتر  
وفي قصيدة أخرى عنوانها «مجرم

ودون»:  
ولما دعمتا بمصر الملوكة  
جاوبك الإنجليز يا فؤاد الصوك  
تمثل على العرش دور الملوكة  
وفين بقلاو مجرم نظيرك ودون  
وغلوك تخالط بنات البلاد  
على شرط قراق وقباب العباد  
وتنسى زمان وفقتك لا فؤاد  
على البلك تضحك شوية زتون

بذلنا ولمه بنهين نفوس  
ولفنا عسى الله يزول الكابوس  
ما شغنا إلا عرشك يا تيس التوبس  
لا مصر استقلت ولا يحزنون

نعود إذن إلى التحقيق في قضية «نيكسون بابا»، وردود نجم على أسئلة المحقق، التي تصمم على رؤيته لشهره ودوره في النضال ضد السلطة الماسدة المستبدة، وهذه مصر اجنابة:

«لا أكتب شعراً مناهضاً للسلطة إلا إذا كانت السلطة تناهض الشعب المصري. فقصائدي لا تحتوي على مهاجمة السلطة، وإنما قد تتضمن نقداً يمثل وجهة نظري، موجهاً للأسلح والضرر والاحرفات الموجودة بالأصل داخل جهاز الدولة، وهذا النقد يدعم السلطة ولا يقوضها».

ولأني كنت غير موافق

عن الاشتراكية، والاتجاه إلى المعسكر الغربي الرأسمالي بانحيازاته المعروفة، ولم يعجب ذلك نجم بطبيعة الحال، فلم يسكت، ولم يسكت النظام عليه، ليמוד إلى السجن من جديد في سبتمبر ٧٤.

سنة  
١٩٧٤

بصرف النظر عن ملايسات عديدة أحاطت بالقبس على أحمد فؤاد نجم في سبتمبر ١٩٧٤ يوردها المؤلف تفصيلاً في الكتاب، فإنه هذه القصيدة عرفت باسم قضية نيكسون بابا، نسبة إلى القصيدة التي كتبها نجم بمناسبة زيارة «لرئيس الأمريكي لهر في يونيو ١٩٧٤» وهي أول زيارة يقوم بها رئيس أمريكي لمصر، حيث استقبل بحفاوة بالغة، وبدر له استقبال شعبي أسطوري، شاركت فيه الجماهير التي سمعت الآلة الإعلامية الرسمية إلى إقناعها بأن ترحيبها برئيس أمريكا، سيعدو عليها بالرخاء الوفير، وستدفع المعونات الاقتصادية التي ستحيل حياة الناس إلى نعيم مؤكد، أما نجم فقد أراد أن يلقى بكسر في الكلوب، ويخيل الفرح إلى ماتم.

يقول نجم في قصيدته، نيكسون، شرهت يا نيكسون بابا/ يا شباع الوورتجيت/ عملوك قيمة وسيسا/ سلاطين الفول والزيت/ فرشوك أوسع سكة/ من راس التين على مكة/ وهناك تندف على عكا/ ويقولوا عليك حبيب/ ما هو موك ساير داي/ شيلاه يا صاحب البيت.

وفي مقالة آخر من القصيدة، عزموك شطراو تماي/ تأكل بامبون وهريسة/ قمت انت اكمنك مهيف/ صقلت إر إنا هريسة/ طبيت لحقوك

كان نجم يتندر على الاتحاد الاشتراكي الذي يضم تحالف قوى الشعب العامل، وقد رأى أن هذا التحالف ينسفه تناقض بين طبقتين؛ الأحرار الذين يزيد ثراؤهم، والفقراء الذين يريزون في البؤس والمهانة

فاروق/ أهو دولا ولادنا وكبادنا/ وقلوبنا عليهم مشقوقة/ يا سلام يا صلاة النبي أحسن/ على جيل العلم يا مرزوقة/ حلون وحياتك يا بلدنا/ يا أم الخيرات المسروقة/ إنا اللي رامينا الجبراية/ وروينا الأرض المروقة/ وحصنك بكره وحفني/ وعيون الخاين محزوقة/ ولم يكن نجم وحده من غير عما جرى في ليلة اعتماد الطلبة ميدان التحرير، والتي تم فيها بالقوة، وانتقد قادة الطلبة والمندسين، فيها إلى المعتقل بل إن شاعراً آخر عرف بمناهضة توجهات نظام السادات لتحقيق السلام مع إسرائيل، كتب واحدة من قصائده عن هذه الليلة، يقول صاحب «لا تصالح، الشاعر الراحل أم دنقل في قصيدته، أغنية الكعكة الحصرية»، دقت الساعة الخامسة/ ظهر الجند دائرة من دروع وخودات رويد/ ها هم الآن يقرتريون رويدا/ بجيئون من كل صوب/ والمخنون «في الكعكة الجبرية» يتقبضون، وينفرون/ كنبضة قلب يتعلون والتاجرة/ يستنفرون من البورد والطمة الفارسة/ يرفعون الأناشيء في أوجه الحرس المقترب/ يشكوك أديديم الفضة الجالسة/ تصفير سايجا يصعد الرصاص/ يفنون نحن فاندك يا مصر.

ويعد خروج نجم من المعتقل بأسبوع واحد اندلعت حرب أكتوبر ١٩٧٣. وكتب عدة قصائد لحن بعضها للإذاعة، ويعد أسابع قبيلة كان نظام السادات قد افصح عن توجهاته الجديدة، فحرب أكتوبر هي آخر الحروب، وأمرها تملك ٩٩، من أوراق اللعبة في منطقة الشرق الأوسط، وأنه مستعد للعباب إلى الكينيت لتحقيق السلام مع إسرائيل، وعلى المستوى الاقتصادي، أعلن السادات أنه إن الأوان لإعادة هيكلة الاقتصاد المصري، والمعدل

حركة الطلاب المناهضة للرئيس السادات، المطالبة باسترداد الأرض وتقليد وعوده بعام الصمم، وكأدت أفعاله تنتشر بين الطلبة بسرعة البرق، في مجالات الحائل، ومشتورات الغصب، ومشتافات المتظاهرين، وألقى القبض على زعماء الطلبة، ١٧ آخرين من المندسين بينهم، الدين حرسوهم على المتظاهر في ديسمبر ١٩٧٣، ويقيم نجم في المعتقل، حيث شعور كتب خلالها ثمانين قصيدة هي: صباح الخير على الوردة التي فتح في جناب مصر. أو أه، الضواير، الضواير، الضواير، شيد قصورك، كلمتين مصر، هات الهوى.

وجميع هذه القصائد باستثناء الغزلية الأخيرة، تعبر عن تساؤل نجم بالحين الجديد من الشباب، الذي تحدى السلطات والفرح وجحاش الزنارين العالية، وأطلق صيحته في مواجهة التحداد والتراجع عن عوض معركة الجسم واسترداد الكرامة، نشرها في صباح الخير، صباح الخير على ولاك/ صباح الياسمين، وإلا/ تعيش وبنفوا حساك/ ويسقوهم/ كاسات الدل/ صباح الخير على الشانوي/ وأهلاً بيكو في القلعة/ ويألني في الطريق جايين/ مادامت مصر ولادة/ وفيها المطلق والعادة/ تحفل شمسها طالعة/ برغم القلعة والزنازين.

ونشراً في «شيد قصورك»، إنا اتوجنا/ واكتفينا/ وعرفنا/ من سبب جراحا/ وعرفنا روحنا/ والتفتنا/ عمال وعلاطين/ وطليعة/ دقت ساعستنا/ وإبتدينا/ سلك طريق/ مالش راجع/ والنصر قريب من عيننا/ النصر اقرب/ يا إيتينا.

ونشراً في «على الريابية، صلاح الدين» يتنادى من مسامته/ على النايامين/ على دم الصحايا/ لا أنا منكم ولا أنتو ولا دي/ إنا رضىتم/ بغير النصر غاية/ ولا غير السلاح في الحرب/ يحكم ويحكم في المشاكل والقضايا

وفي كلمتين لمصر، فصرك السجون غيلانة/ أغنى من دود الميطان/ بعد مص الفصن لا أخضر/ ينحتوا عضم العيدين/ واللى خال الأرض خضرا/ واللى حلا الدار امان/ عاش بجوعه ملو جوه/ مات جوهه م العيلان.

وفي أو، التي يسخر في نصف أيتها من الرئيس السادات، ويحيي في نصفها الآخر نضال الشباب شمت الولدان الشلبية/ ليلة التحرير يا أسطى



حتى لو لم يكن بين المتظاهرين، وهو ما جرى في يناير ١٩٧٥ حين اقتيد هو وزوجته صافي ناز كاظم إلى السجن نهمه الاضمام إلى تنظيم كتاب الغد الشيوعي.

وفي التحقيق معه في هذه القضية سيرد ملمح أشدرا إليه في البداية، يتعلق بميالات نجم عن نفسه، التي يرى من ورائها إلى سحب المحقق إلى مناطق أخرى لا صلة لها بالتحقيق والتصويه عليه، فحين يسأله المحقق: ما قولك فيما هو منسوب إليك؟ يرد: أنا غير منتسب لجمعية كتاب الغد، لأن هذه الجمعية بتماديئ وتشنج على، والمتضمنون إلى هذه الجمعية بعض الشعراء محدودى الوهبة، ويحاربوا الشعراء ذوي المواهب، وأنا على وجه التحديد. لأنى اصنع بموهبة فذة في الشعر.

نفس هذا المعنى تقريبا يردد نجم حين ألقى القبض عليه على خلفية أحداث ١٩ و١٨ يناير ١٩٧٧، يسأله المحقق: ما قولك فيما هو منسوب إليك؟ يجيب من المعروف أننى شاعر هذا الوطن، وأن شعرى هو نبض هذا الشعب، وأننى معروف ليس على مستوى مصر فحسب، بل على مستوى العالم.

وبماحت أمى الدولة دايت على الرّج بى في كل القضايا التي تحاول تلفيقها لوطنيين لتعطية إلهاسها وشغنها في القيام بواجبها نحو حماتها من هذا الشعب من المستغلين واللمصوص والسماسرة والمهرمين وعلماء المخبرات المركزية الذين يتولون أخطر المواقع.

على زيارة نيكسون ولازلت غير موافق عليها، فقد ابتديت في القصديين وجهة نظري التي تعبر عن استيائي الشديد من الزفة التي قابل بها البعض نيكسون القاتل، بينما دم أولادنا في حرب أكتوبر الذي أسأله نيكسون لم يكن قد جف بعد.

اعتقاد أن السلطة وطنية رغم كل أخطائها التي منها اختفاء السلع الضرورية للشعب، ومهارة المواصلات التي تشكل مهانة في رأيي للشعب المصري. وحين يسأله المحقق: ما هو موقفك من نظام الحكم القائم ومن سياسة الدولة الخارجية والداخلية، يجيب: أنا مع الاشتراكية ومع الميثاق ومع بيان ٣٠ مارس، ومع الاندماج إلى تعميق الحريات وإرساء سيادة القانون لأن د من صالح طبقتي، ده من الناحية النظرية، أنا من ناحية التطبيق أنا شاف إن ده ما يمحطشني (...). راند ما يحدث في كل أجهزة الدولة من فساد وانحراف ورشوة وسرقات وتخريب (...).

وأما بالنسبة للسياسة الخارجية فأنا أرى أن لا تكون تأميم لأحد، وكل ما أرجوه أن توقف القيادة السياسية في تحرير الأرض المحتلة وفي الهشوش بالحدود حتى تستطيع إلحاق النصر بالنطور.

وحين ينبيه المحقق إلى أن الأسلوب الذي صيغت به أراؤه في موضوع الانفتاح أسلوب صارخ فيه تعريض بالسياسيين، يجيب: هذا أسلوبى وأنا استقيته من الشعب المصري المشهور بالسخيرية اللادعة والنكتة الساخنة، أما مسألة التعريض بالسياسيين التي تشتم من كلمة من كلامي هجاس غير صحيحة، والسياسيون ليسوا زجاجا عشان كل ما يوجد يتكلم كلمة يقولوا حاسوا على السياسيين، والمخروص أن ترتفع هذه الحصانة الغبية عن السياسيين إذا كنا ههنا ليريد بئنا لبلدنا ولتغلب على سلباتنا

وفي آخر التحقيق قال نجم: أريد أن أسجل أن القصد موضوع الاتهام ليس أكثر حدة مما يكتب على صفحات الجرائد، وأنه في المرات الكثيرة التي قبض على فيها وقدمت للتحقيق أو اعتقلت، لم يثبت أنى عمل لاي جهة اجنبية، ولا عمادى لبلدى، كل ما فى الأمر أنى فهم أن الشعر له دور نقدي، وأن، لفنان كالماوسى ويجد الأهداء به لا تحطيمه

صار نجم ريدوا ممتندا في كل سجون مصر، ومع كل المقامعة جماهيرية أو مظاهرة طلابية يتم اقتياده إلى السجن

أريد أن أتوجه بالنسأل إلى النيابة هل هي جادة بالفعل في توجيه هذه الاتهامات الثقافية إلى، وهل تجد النيابة العامة نفسها مرتاحة الضمير، وهي تأمر بانتهاك حرىتى ومسكنى في منتصف الليل، والقبض على وإيداعى السجنون أتنى لا تصلح لعيشة الكلال، وهل هناك مبرر قانونى لاستمرار حبسى بعد أن اتضح للنيابة تفاهة تحريات المباحث (...). إن ما يقومون به اليوم هو قهر لصر، وسوف لا يعمر التاريخ لكل من يشارك في هذه الهازل (...). وفي النهاية ثقا أن مصر قادمة، مصر الحرية النطيفة الشريفة المنحجرة، وسوف تسقط كل قلاع القهر، وسوف يبقى هذا الشعب، كما استطاع أن يقبض سبعة آلاف عام، بالرغم مما مر عليه من ظلم وقهر.

وعلى الرغم من بئرنة نجم في قضية أحداث ١٨ و١٩ يناير ١٩٧٧، فإنه حوكم أمام المحكمة العسكرية بسبب قصيدته «بيان هام، التي سخر فيها من الرئيس السادات، وحكم عليه بالسجن لمدة عام، ولكنه ظل هاربا لمدة ثلاث سنوات إلى ألقى القبض عليه في أحداث سبتمبر ١٩٨١ ضمن مئات من المثقفين والمفكرين والصلانين من كافة الاتجاهات، لميمض عقوبة الحبس لمدة عام، وكان الانتهاء الذي وجه إليه في هذه القضية هو إهانة رئيس الجمهورية بالقول والصياح، وتقليد صوت الرئيس بصورة فيها كثير من السخيرية، والتشكيك في أمانة الرئيس وزاهته.

يقول نجم في «بيان هام، هنا شغبان، محطة إذاعة حلالة زمان/ يسر الإذاعة/ وما يسركون/ نهدى القاسية/ وما نندعبيكوس/ تقدم اليكم ولا تقرفوش/ شحاتة الحصل، بدون الوثقوش/ شبنو مسامرة ملاد العممار

## صار نجم ريدونا ممتندا

في كل سجون مصر، ومع كل النقاضة

جماهيرية أو مظاهرة طلابية يتم اقتياده

إلى السجن حتى لو لم يكن

ييين المتظاهرين



معمر جراسى للعب القمار/ وخارب مزارع/ وتاجر خضار/ وعقبان امسلك/ امير الحويش/ ما تقدرش تسكر/ تقول ما اعرفوش/ ما تقدرش اينما تقول ما اسمعوش/ شحاتة الحصل/ حببت القلوب/ بزيل البقع/ والهيمو والكروب/ يانفس/ يا هيين/ يبيع حبوب/ ويفضل يهلفط/ ولا تهموش.

وبطبيعة الحال لم يكن شحاتة الحصل، هنا سوى الرئيس الراحل أنور السادات شخصيا.



قراءة التاريخ عبر اللغات القصائية مما برع فيه الكاتب الكبير صلاح عيسى، وهو حين يعمل، فإنه لا يتقدم لاجل فحسب ما أنطوت عليه التحقيقات، وإنما يقرأ من خلالها التاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعى للمجتمع المصري، فالذي يقرأ مثلا ما كتبه عن ربا وسكينة، في كتابه «رجال ربا وسكينة»، يتعرف على الحالة التي كان عليها المجتمع المصري في بدايات القرن الماضي وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى، وهي الحالة التي تحولت، ابتنى همام، إلى نموذج استورى للشر والقتل المجاني، فسرر وجهه ورجل من نوع الصعدي شديدة البرؤس ونحو من لقمة العيش، في مجتمع يبع بالموضى ولا يسمع أن يفرح حدا أدنى للمعيشة.

الامر ذاته يمكن اكتشافه فيما كتبه عيسى عن خط الصعيد، الذي تحول إلى استورة في الحياة الشعبية، وكان ما علق به من الأكاديب والأوهام، أكثر بكثير مما ارتبط به من حقائق ووقائع، لنكتفى من أنفا بإزاء مسح اجتماعية سياسية مكتوبة بلغة علمية مبسطة، لا تخلو من تشويق.

وهي حالة الشاعر أحمد فؤاد نجم، شخص بإزاء ملف سياسى بامتياز، هطاهرة إمام/ نجم بررت من هذا الميثاق، وقد نجح صاحب «صراسى، وهوامش المقريرى، والمتقوص وعسكر، أن يخلص أعقى في أسبائها والأجواء المحيطة بها، في اقتراب حميم من شئائى ملأ الدنيا وشغل الناس منذ نهاية الستينيات وحتى السنوات الأخيرة من سبعينيات القرن الماضي، وكان تقريبا عن قطعات الناس وطموحات البسطاء هي وطن أجمل وأعدل، ودفع الاثنان إمام/ نجم الشمس باكرا، ومقدما أيضا. ■

## إحجز مكانك .. من مكانك

الآن يمكنك حجز مقعدك على طائرات مصر للطيران  
وأنت في منزلك أو مكتبك وذلك من خلال موقعنا على الإنترنت [egyptair.com](http://egyptair.com)

مصر للطيران ... مع السنين بنتجدد



أول شركة طيران في الشرق الأوسط وأفريقيا وسابع شركة عالميا

[egyptair.com](http://egyptair.com)



2007 - 2008

التبسيط اللساني الصادرة بالعربية أصلاً من خلل واضطراب. وتحكم في تخلف الترجمة اللسانية في ثقافتنا العربية اعتبارات كثيرة نعلمها فيما يلي:

✦ تأخر البعثات اللسانية إلى الخارج، التي لم تعرف إلا منتصف القرن العشرين، حينما أوفدت جامعة القاهرة جامعة فؤاد الأول سابقاً عدداً من المبعدين إلى كل من إنجلترا، وألمانيا، وفرنسا، للتخصص في اللسانيات العامة general linguistics، أو اللسانيات المقارنة comparative linguistics. وما تبع ذلك من قيام حركة لسانية حديثة تأليفاً وترجمة.

✦ غياب شرط التفاعل الحضاري الذي يتيح على الإقبال على ترجمة الكتب اللسانية، فما زالت اللسانيات تعتبر من العلوم الكمالية عند شريحة عريضة من المثقفين، وهذا يلخص الوضع الحالي للدراس اللسانية في ثقافتنا، وهو وضع نعتمده نتيجة طبيعية للأساسات التلقائية التي اعتبرت اللسانيات بموجبها علماً غريباً لا يمكن أن يفيد الثقافة العربية في شيء.

✦ ارتباطاً بغياب شرط التفاعل الحضاري، فسجل عدم وجود سوق لسانية تدخل في صفة الزواج، إن هذه السوق غير موجودة لدينا للأسف، وهذا على عكس ما نجده في العالم المتقدم، فأى علم من العلوم كيما كان لا بد له من مؤسسات سواء على مستوى الإنتاج أو الاستهلاك، كما أن الثقافة العربية تتفقر بشكل ملحوظ إلى كل جوانب التكامل الذي يفرض تداخل الاختصاصات، حتى تكتمل الدورة ويتم بلوغ الأهداف المتوخاة، وما يؤسف له أن اللسانيات معرضة أكثر من غيرها لاهتراس الوضعية بسبب حاجتها الماسة إلى هذا التكامل. إن أي علم من العلوم سواء أكان رياضياً أم فيزيائياً أم لسانياً هو في حاجة ماسة إلى مؤسسات للإنتاج والترويج والاستهلاك، كما أن محالات البحث تفرص هذا التكامل والتداخل.

✦ إشكالية المصطلح اللساني، إن مصطلح العلوم مصطلحاتها، ومصطلحات العلوم تمارها القصور، فهي مجمع حقائقها المعرفية، وعنوان ما يتغير به كل واحد عما سواه وليس من مسلك يتوسل به الإنسان إلى منطق العلم غير الفاضلة الاصطلاحية، حتى كأنها تقوم من كل علم مقام جهاز من الدوال ليست مدلولاته إلا محاور العلم ذاته ومضامين قدره من يقين الحارف وحقائق الأقوال، لكن، وعلى الرغم من هذه الأهمية، فإن المصطلحات اللسانية العربية مارلت تشكل موضوعاً سجالياً في الثقافة العربية، وتفتقد إلى الصرامة الاصطلاحية اللازمة، وتفتق عائقاً أمام تطور اللسانيات عوضاً عن أن تكون مساعداً يقرئنا من هذا العلم الحديث.

✦ وجود مجموعة من المدعين، فأصبح الخلط قائماً بين خطابات/ ترجمات لسانية، وخطابات/ ترجمات محسوبة على اللسانيات لا تمت إليها بصلة. إن اللسانيات باعتبارها علماً من العلوم الإنسانية تقبل ما يمكن أن نسميه «الشعوذة اللسانية»، وهذا يجعل الكثير من الكتابات/ الترجمات التي تحسب على اللسانيات، لا تساعد الناس على استيعاب اللسانيات استيعاباً صحيحاً. ويزيد من تعميق هذا الإشكال العدد المائة وستة - نوفمبر ٢٠٠٧ م

■ الترجمة أداة من أدوات تحديث الثقافة العربية، ومدخل مهم لتجاوز ذهنية العتاقة والمستنسخات، وأداة للانخراط في التكتلات العلمية والمعرفية المعاصرة، التي تشكل مظهراً من مظاهر الوضعية المعرفية الحديثة.

لقد أرك العرب منذ أمد بعيد مدى أهمية الترجمة ودورها في الانفتاح على الآخر، والتعرف والتواصل مع ثقافته وحضارته، بحيث يذكر مؤرخو نشأة العلوم الإنسانية وتطورها أنها بدأت في القرن الأول الهجري، ثم تطورت بعد ذلك نتيجة لتوامل متعددة، لتصل مداما إبان العصر العباسي، وبخاصة عهد المأمون.

وفي الوقت الذي أصبحت فيه أهمية الترجمة العلمية تتماظم اليوم، وأكثر من أي وقت مضى، نتيجة للانفجار المعرفي الكبير، والتقدم التكنولوجي الهائل في جميع مجالات الحياة، تعرف حركة التعريب والترجمة في البلاد العربية نمواً كبيراً، وهذا على عكس ما يفرضه منطق العقل، الذي يحتم أن تولى الترجمة أولوية خاصة في العالم العربي، لكونه متخلفاً للمعرفة العلمية أكثر منه متنبهاً لها.

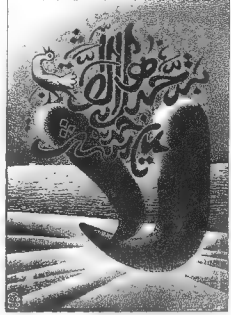
وللتدليل على تخلف الترجمة في ثقافتنا يكفي أن نشير هنا إلى أن بلدان الوطن العربي، البالغ لعدد سكانها ٢٥٠ مليون نسمة في العام ١٩٩٢، قد أصدرت ٦٧٥٥ مطبوعة تأليفاً وترجمة، في العام ١٩٩٢، منها ٤١٨ مطبوعة فقط في العلوم بينما دولة واحدة، كإسبانيا، مثلاً، البالغ تعداد سكانها ٣٩ مليون نسمة فقط، أصدرت في العام ذاته ٤١٨١٦ مطبوعة، منها ٢٥١٢ مطبوعة في العلوم. هذا يعني أن دول الوطن العربي مجتمعة، وتعداد سكانها ستة أضعاف تعداد سكان إسبانيا، تصدر فقط سدس ما تصدره إسبانيا وحدها، والتي تعتبر دولة متقدمة علمياً. كما أن عدد عناوين الكتب المترجمة، في كافة المطابع الوطن العربي، منذ ما بعد عهد الخليفة العباسي، المأمون، وحتى عقد التسعينيات من القرن العشرين المنصرم، لا يصل إلى ١٥ ألف عنوان. وهذا ما يساوي ما ترجمته دولة البرازيل وحدها، وهي من الدول النامية، في ٤ سنوات.

وإذا كان هذا هو وضع الترجمة عموماً في الثقافة العربية، فإن وضع الترجمة اللسانية بأي ترجمة الكتب المتخصصة في مجال اللسانيات، ليس أحسن حالاً، على الرغم من إدراك العرب لأهمية اللسانيات في القرن العشرين، وقررتها الحبارية على صياغة المعرفة النقدية الحديثة وخطرها في تشكيل الوعي المنهجي المتجدد في العلوم الإنسانية والاجتماعية وعلى الرغم، أيضاً، من كون الترجمة اللسانية من أهم الأبواب التي يمكن دل ينمى للباحثين العرب أن يساهموا في نشر اللسانيات العامة الحديثة وبروغنا نشرها سليماً بعيداً عما يكتشف، مع الأسف، الكثير من أعمال

معاصر العربية في المرأة الغربية أو دلالة الشكل في العربية في ضوء اللغات الأوروبية

ديفيد جيمس

ترجمة: حمزة بن قبال المزني



# دفاع غربي عن العربية!

ترجمة: حمزة بن قبال المزني

حافظ إسماعيلي علوي

عاب مؤسسة علمية يعهد لها الاهتمام بمراجعة ما يكتب وتوقيعه قبل نشره... غير أن هذه الصعوبات لا تعني مطلقاً أن الثقافة العربية ظلت أرضاً مواتاً، تنعدم فيها كل ترجمة جادة، فالإنصاف يقتضي ما نأشهر إلى أن ثمة إشرافاً عربية في مجال الترجمة، نجحت نجاحاً في تمثيل الترجمة ونشر المعرفة في الثقافة العربية، وتمكين القارئ العربي من الانخراط في ثقافة الساندي المعاصرة، ورحله سياقاتها لتأسيسية والمعرفية والاستدلالية، وفي هذا الإطار نقدم نموذجاً لهذه الترجمات الجادة في اللغة العربية، يتعلق الأمر بترجمة كتاب: «محاسن العربية في المرأة الغربية»، أو دالة الشكل في العربية في ضوء اللغات الأوروبية..



محاسن العربية في المرأة الغربية، أو دالة الشكل في العربية في ضوء اللغات الأوروبية، هو عنوان الكتاب الذي ألفه المستشرق الأمريكي المعاصر ديميد جيتس، عام ١٩٨٧، ونقله إلى اللغة العربية الدكتور حمزة بن خليل الزبيدي، ونشره مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية سنة ٢٠١٥. يقع الكتاب في ٦٦٣ صفحة من الحجم الكبير وتكتمل أهمية هذا الكتاب فيما يلي:

• كونه دراسة مصققة للدلالة في العربية مقارنة بما في اللغات الأوروبية القديمة والحديثة. فقد استقصى مؤلفه تأثيره في التعبير عن الدلالة، وناقش نقاشاً مستفيهاً تلك العلاقة في المعنى وشكل الكلمة وبينته وبين أشكال التعبيرات والتركيبات النحوية المختلفة. وقد تضمن الكتاب كثيراً من الآراء الجديدة في تحليل هذه العلاقة.

• لا يشجع الكتاب في اللسانيات المقارنة بالهنا الدقيق للكتابة، فهو كإطار نظري ينحصر تحت لواء اللسانيات التوليدية، كما يجمع مؤلفه بين مناهج لسانية متعددة، علم التاريخ اللغوي، وعلم الاجتماع اللغوي، اللسانيات الوصفية والمقارنة.

• يوهو الكتاب للفت للنظر في قاعدة من المعطيات الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية التي يمكن أن تكون منطلقات للباحث في دالة الأشكال والمعنى، ويمكن إعادة سياقاتها وتحليلها في نماذج لسانية معاصرة.

• يسد الكتاب الطريق على المزاعم المتعاصلة التي تنطلق من فرضية المعاصرة بين اللغات، وهي أطروحة أيديولوجية أكثر منها علمية. ويمكن القول، إن هذا الطرح حاضر في مرجعيتين ضابقتين: مرجعية ثقافية عربية تمثلها لسانيات التراث، ومرجععية استشرافية متعصبة للأفضلية للغات الأوروبية. في هذا الإطار يقدم الكتاب قيمة مضافة للقارئ العربي تتمثل في استحصار قراءة المستشرقين لعدد من الظواهر اللغوية وإرائهم من منظور المقارنة أو من منظور إعادة بناء تحاليل القدماء، أو أحياناً اقتراح اجتهادات خاصة في تحليل الظواهر اللغوية العربية. ولا شك أن استحصار هذه

المنظورات الاستشرافية في دراسة ظواهر الصرف والتركيب والدلالة تمكن القارئ من الإلمام بمنظورات قارئية متعددة غير متحصرة في المرجعية النحوية التراثية.

• يتميز الكتاب أيضاً بتدقيقه العلمي العميق عن العربية في مواجهة اللغز الذي ألمس المؤلف الذي يثار في بعض الكتابات المحيرة، ويتصل في الإشارات الكثيرة إلى ما يزعم أن ذلك أن فيه دالة على عيوب تصورات القوم العربي وقصور المعرفة العربية التي تتكلمها. وقد بين المؤلف بتفصيل عميق أن هذه المزاعم غير عادلة، بل سطحية على قدر علم مدى جهل المؤلف بطبيعة اللغات عموماً. كما أنها تدل على أن يتقنوهون بتلك المقولات يجهلون لغاتهم هم، حقيقة، لأن تلك العيوب المزعومة (إن كانت عيوباً بالمفهوم اللغوي المحدث) موجودة في اللغات الأوروبية نفسها التي ينظرون إليها على أنها النوع الأرقى من اللغات. وبين أن كثيراً من تلك الآراء ينطلق من مواقف مسبقة غير موضوعية من اللغة العربية لأسباب ثقافية وأيديولوجية في الغالب، كما نستبين في عرضنا التفصيلي لمحتويات الكتاب، وللقارئ على الكتاب أن يدرك ما علمنا هنا على مجموعة من المقاطع والمزاعم المستحزة ضد اللسانيات التي يرددتها بعض الباحثين العرب، والتي ترى أن البحث اللساني لا يوصلنا إلى الثقافة العربية واللغة العربية: لأنه، بحيث أوجدته ظروف اللغات الأوروبية التي تختلف في انتمائها بها وتكوينها وبيئاتها وشعوبها المتكلمة بها وتاريخها عن العربية وظروفها، اختلافاً كبيراً، يجعلها في موقف أفضل من أراد من الباحثين المعاصرين العرب أن يسلكوه، أو يتعاملوه مع العربية، فجد جاء كتاب حستس ليفسد هذه المزاعم من خلال محاولته لصفاء العربية، هيفته، كما يقول.

إن يجعل من دراسته، «مراة لسانية متعاطفة مع العربية» وسوف تستقصى هذه الدراسة الاستراتيجيات والبيئات التي تبدو كأنها تميز هذه اللغة. وسوف نحاول أن تجلي عنها المعوص دايردا المشابهات الأساسية لها في اللغات الأوروبية المعروفة وعرض هنا دو عقين. إن أكتشف للقارئ الحاصلات المتحققة في الفضاء المعرفي العربي، ولقصد بذلك الارتباط بين الوزن والمعنى الذي يمكن أن نطرحه من العربية هنا، خلاصاً مما أكتشف، فمن يكون ذلك ملزماً، لإجراءات التحليلية التي نستعملها (نحن بقصد متكلمى اللغات الأوروبية) هي لعائنا لنؤدى الأغراض الدلالية مسها.

نستطعم الكتاب في ثلاث مقدمات مقدمة المترجم (و مقدمة المؤلف لترجمة المترجم) ور مقدمة المؤلف، وتمهيد على عرض فصل واستهل المؤلف التمهيد بالإشارة إلى أن مصطلح «اللغة العربية»، وصف واسع جداً، وقد رسم حدود هذا المصطلح، وخص استعماله بتحديد دقيق في الدراسة التي يروم القيام بها، دون أن يعني ذلك الحديث عن التاريخ الخارجى للغة العربية أو أن يحدد مكانها في الأسرة اللغوية التي تنتمي إليها. لقد بينت العربية اللغوية التي نعرفها بداية قديمة عن القرائن التي بدأ نزلوه شفها في سنة ٢٠١٠. ومع أنه علم يجمع جمعا كاملا إلا أنه خلافة عنام (٢٤٤-٢٥٦) م إلا أن ظروف جمعه تجعلنا

نحلمنن اطمئنانا يكاد يكون كاملا إلى الدقة التي روي بها (ص ١٧).

ويشير المؤلف أيضاً إلى أن الشعر صيغ لفة مشتركة قريبة من اللغة التي أنزل بها القرار، وأزهر قبل البعثة بقرن أو يزيد. كما وفق على المشكلات التي أثارها تواتر هذه اللغة اللغوية عند الإسلام، والتي وصلت إلى حد التشكيك في صحة الشعر الجاهلي (ص ١٧-١٨).

يعرض المؤلف أيضاً، لظروف التي ساعدت على استمرار صلاح الوصف الذي أعطاه على الإنتاج الأدبي والرسمي عبر العصور حتى عصرنا الحاضر، ومن تلك الظروف مركزية القرآن لدين عظيم، وهو الكتاب الذي لم يترجم ولم يعدل، والمكانة السامية للشعر عند العرب.

ويشير المؤلف إلى الاختلافات العجمية والأسلوبية، بالإضافة إلى اختلافات ليست أساسية في النحو، لكنها اختلافات لا تزيد على تلك التي نجدها في لغات أخرى، وحتى وإن رفسنا في تجزئة هذه اللغة النموذجية، فإن ذلك لا يقتضي حدود وصفها بمصطلحات مثل «العربية المبكرة»، مما يعني أن مقاييس التحزرة تاريخي وليس سببياً. فالتميز بين العربية القديمة، ينبثق إلى أن يتوقع أن تطبق الأحكام التي، أطلقها على «العربية»، لزوماً على أي واحدة من اللغات، ذلك أن اللغات مع أي أعطينا لها اختلافات بعضه من بعض من اختلاف العربية اللغوية عن اللاتينية، تمثل لغات مختلفة كما نضل ما لخص من منظومة من السمات اللسانية الاجتماعية المختلفة جداً.. (ص ١٩).



وتتم هذه الملاحظة عن مدى سوسلاني صمق لدى الباحث، كونه يقارن بين العربية الكلاسيكية واللغات المقترعة عنها، واستناد الباحث لمقاييس سوسلانية وأدبية الباحث لمقاييس منها تصادي الأحكام والتعميمات الزائفة. وعلى عكس المسار التاريخي الاجتماعي واللغوي لعالم اللاتيني (الرومانش تحول اللغات الرومانشية لتصبح لغات نموذجية مكتوبة) لم ترق إلى أهمية في العالم المتكلم بالعربية إلى مكانة اللغة النموذجية المكتوبة حتى في المنطقة التي تستمد منها هذا المذهب، لهذا نعلم أن تلك المعطيات العربية التي الآن يستعملون اللغة القديمة المقلقة بالتاريخ في الأغراض الأدبية (الرومانش ص ٢٠).

الأمز لا يقتصر على صعوبة رسم حدود اللغة (العربية)، إذ تتمثل على الصعوبة أيضاً في رسم الحدود بين المستويات واللغات فيها، وهذا ما استلزم حذراً منهجياً في دراسته التي أهتم فيها بالأسلوب والتركي.

## صعوبة اللغة العربية

اسهله المؤلف بالحديث عن معسله رئيسة معادها صعوبة اللغة العربية. لقد وجد المؤلف أن العربية أكثر صعوبة من اللغات الهندية الأوروبية الحديثة التي درسها. لكنه

## دفع غربي عن العربية؟



يجادل الجيب يرون أن اللغة العربية صعبة على التعلم فالتأخر «أنا هنا فقد وجدت اللغة العربية أكثر صعوبة من اللغات الهندية الأوروبية الحديثة التي درست، لكنني انتهيت إلى أن الجانب النحوي المحض أي نظامها النحوي المجرد، لا يسهم في هذه الصعوبة إلا بقدر ضئيل» (ص ٢٤).

إن اللغة العربية، من حيث البنية، لغة معقدة ومصفولة بشكل غير معهود وتسهم في ذلك عوامل عديدة منها:

• اطراد الأفعال بشكل عام، مع وجود عدد قليل من القواعد الصوتية الصورية التي تعمل على الكلمة لتصل بها إلى شكلها المنطوق.

• أن معظم المحجمات تبني من ثلاثة أصوات صامتة تدخل في عدد قليل من أنماط الحركات (الأوزان)

اطراد التركيب

لا وجود في العربية إلا للمعكسر والمؤنث، فاستثناء عدد محدود من الحالات، يصعب التكثير والتأنيث لقاعدة دلالية واحدة.

وجود ثلاث حركات للإعراب فقط. (ص ٢٧)

والمشكلة الواحدة في اللغة العربية هي مشكلة بنوية تحديداً، وهي أنه لا يمكن التنبؤ بسجع الاسم، لوجود احتمالات نظرية كثيرة

ويصعب المؤلف صعوبة اللغة العربية بأسباب خارج اللغة نفسها نظاماً محمداً، وهي أسباب تاريخية ولغوية واجتماعية

توقف على أهمها بتعصّب ويبدأ أن الكتاب موجه بالأساس إلى القارئ الغربي، فإن المؤلف عادة ما يستدل على ما يقوله بعض مفارقات بين الوضع في اللغة العربية،

وعبرها من اللغات الأخرى. ومن أهم الحاصلات التي انتهى إليها أن الصعوبة التي تلحق بالعربية ترجع بالأساس إلى الافتراضات المسبقة التي تخفي وراء الأفكار

المبرع عنها، ولعدم وجود طرق تعليمية عامة معترف بها لتعليم العربية، كتبت المقدمات

التوقرة لأن تعليم مرضية وبالتالي يصعب المؤلف تحديد من يميز استحيات الصعوبة

المزعومة، والتي تفتقر بالخصائص السبقة في جهة، ويعدم وجود أبحاث منهجية لتعلم اللغة العربية تكون الجاهل التلمضي ظل

أسير لغة النحاة الواضحة. كما يقدم المؤلف على هذا المستوى بعض الاقتراحات الحديثة

مالاتهام

ويحاول ديميد، جسّس دحض الكثير من المفولات المسبوبة التي تنطلق من الزعم بأن هناك صعوبة بنوية في اللغة العربية بما يجعلها صعبة على التعلم ولهم والوجه والتعصّب على الأغراض العلمية المعاصرة. وهي مقولات سادت في السبائك الثقافية العربي (العربي) آدم طويل، من غير أن يتصدى

تستعمل البرية العربية في شكل صيغ محصورة ذات دلالات متميزة من غير أن تكون للأصوات المكونة لها صلة بتلك الدلالات، ومن ذلك، مثلاً، دلالة بكلمة «اختوشن»، وقد صار فيها طول صرعى على استكثار ما تدل عليه، عادة كلمة خشن.

ثم إن الاشتقاق القائم في العربية على اعتماد الجذور والأوزان وأحرف الزيادة الوصلة للجنس، يسمح لهذه اللغة بإضاءة حقول دلالية ارتباطية بين المشتقات مع احتواء قيم دلالية تزيد من قيمة الأصل المشترك بينها. ويتكشف هذا الصعل عن العملية التوليدية للنظام الاشتقاقي والمكسب العربي، وقد تمكن المؤلف من رصد ميكانزمات التوليد المعجمي بإطرادات دلالية محددة

## التراكيم

استعرض المؤلف في هذا الفصل قضية ضخامة المعجم العربي. ثم حاول تصحيح الأثر الذي يمكن أن تركه هذه

الضخامة على الدلالة المعجمية وبينت الجمل. كما أشار إلى اختلاف الباحثين في تقديرهم لهذا الغنى. ومن هؤلاء

شحنة ١٩٩٩ ويستون وهاملتون جب ومايورو وموسيه

ويرجع سبب الغنى المعجمي للغة العربية لبعض العوامل الاجتماعية

والتاريخية ومنها الصناعة الشعرية، التي تعتمد الإعراب في البحث عن الانحراف في اللغة العديدة واعتمادها المبالغ فيه

أحياناً على الكلمات المأدرة من أجل الوفاء بمتطلبات الوزن. وقد دخلت هذه الكلمات

الخادرة مجال الشعر منذ الصدر الأول للإسلام وتجلت صمورها في المنظومات

والتعليقية ولتقتب المعهية التي ازدهرت في أواخر العصور الوسطى

في إطار بعض يعرض المؤلف لا كتبه بالاشير في الموضوع وتبني العوامل

التاريخية في نظر المؤلف، من أهم المؤثرات في مفردات العربية وهو ما أدى إلى غزارة

التي تتركها فيه لغات أخرى الخاصة بالدالة على الأماكن والأزمنة. وقد عرض المؤلف

لوضع مشابه في العربية والإنجليزية والألمانية والإسبانية.

ويخلص جستس إلى أن محاولة البحث عن علاقة لغوية بين متكلميها من السهل أن يوقعنا في الخطأ. وقد اعتمد المؤلف في أمزاج هذه العلاقة على الافتراض

السويكي على وجه الخصوص.

وفي الفصل السابع حظيت قصيدة

النماد في اللغة العربية باهتمام كبير من

العلماء المسلمين القدماء حتى الدارسين

الغربيين المعاصرين، كما اختلفت وجهات

نظرمهم بشأن هذه الظاهرة. قد عرض

المؤلف لوجهات النظر تلك، وقدم مجموعة

من الأمثلة لتطوره الدروس، وخلص إلى

أن هذا النوع من الكلمات لم يعد مستعملاً

لأسباب شرحها بتعصّب ثم حاول بعد ذلك أطراح أكبر عدد ممكن من الأمثلة المزعومة

للتصاد.

وقد عرض المؤلف أيضاً لأنواع من التصاد في اللغة العربية، ومنها: التصاد المعجمي، والتركيبي، التصادي السطحي، والتناقضي (تشكيك المزج). ومن بعض

المقتضيات عن الشكل في المعجم، كما أوج تحت كل صنف مجموعة من القضايا التي

وقد عليها والتحليل والمناقشة المنهجية والعلمية.

وفي الفصل الثامن يناقش المؤلف في هذا الفصل صيغة فملة، التي تؤدي معنى الطريقة التي يتخذ بها العمل في

اللغة العربية. وقد أورد المصطلحات الإنجليزية المرافعة لهذا المصطلح استناداً إلى ترجمة رايت وهنري فليش. ثم ناقش

تلك العروحات نقاشاً مستفيضاً من خلال أمثلة أخدها من كتب صهي

ومن ألف ليلة وليلة...

ويبدو واضحاً أن أسماء النوع على وزن فملة لم تعد تستعمل بشكل معطر أو فوي

في العربية النموذجية المعاصرة. (ص ٣٥٦) وللإطلاع على غزارة أسماء النوع التي

رويت في العربية تعجب ثلاثة مواضع اختارها غوثوليا من معجم إدوارد لين. كما

ناقش الكيفية التي تتعامل بها الإنجليزية واللغات الغربية منها على وجه الخصوص،

الدلالية نفسها مع (ص ٣٥٩). ودحض الافتراض السويكي في حالة أسماء النوع

في العربية استناداً إلى مجموعة من الأسباب

أما التاسع، يناقش المؤلف في هذا الفصل وضع ولهم رايت ويكسندوف

للتراكيب النحوية العربية. كما يشير إلى ما تضمنه كتاب كاترينو من الأمثلة

العربية النموذجية المعاصرة. (ص ٣٨٠، ٣٨٢).

التعليقات والشروحات

مكنك تعليقات المترجم وشروحاته من توصيح كثير من الأفكار كما حاول في كثير

الأمجاء أن يستدرك على الكاتب بعض من فاته أثناء معالجة بعض الظواهر كما

يبيد المترجم لمعالجة دقيقة في

الحواشي والتعليقات، رحمة لا يقتصر

التعليق عنده على الدلالة على نصوص

لسانية مؤاربة لتلصق في الخصايب

المطروحة. وإنما يتجاوز هذا المستوى (إلى

اقتراح معجمات جديدة من اللغة العربية

ويضم اللغات الأخرى (الإنجليزية

الأمجاء) لتصيير قضايا الخن.

الإجابة المصطلحية.

أما الترمج الكتاب كشافات مهمة،

كشافة لكشافة وللأعلام، وكشافة للألف

المصطلحات الواردة في الكتاب بالألف

الإنجليزية ومقابلاتها العربية، والصفحات

التي وردت فيها. ويتركز بشكل خاص على

الأمجاء المصطلحي بالنظر إلى الجنب

العدد المائة وستة. نوفمبر ٢٠٠٧ م

# كتاب الزاوية



## الديمقراطية ورواد النهضة

### مى زيادة

لقد لمست موجة الديمقراطية شواطئ الشرق الأدنى وأول من هتف بها في مصر لطفي بك السيد يوم كان بعضهم يطلقون عليه مزاحاً لقب «الفيلسوف الديمقراطي». ولم تقف المسألة عند حد المزاح بل هو لاقى من اعتناق الأفكار الحديثة مصائب واحتمل سخافات منها أنه يوم كان مرشحاً لعضوية الجمعية التشريعية سنة ١٩١٤ حاربه أحد مزاحميه بما لو فهمه القوم لكان للطفى بك لا لخصمه حجة. قال الخصم: «يبقى نائب عنا إزاي؟ دا راجل ديمقراطي». فأرعبت الناخبين هذه الكلمة الأعجمية وأولوا معناها بأسوا ما يتوهمون. بيد أن التغير بأوصاف الكون ولم تمض خمسة أعوام حتى صار لصر الفتاة حزب يدعى «الحزب الديمقراطي المصري» تنسب إليه شئة من أرقى الشبان المتعلمين في أوروبا، العائدين من مدارسها العالية بمعتبر الشهادات ومحترمي الألقاب.

إن الإسلام كان أبداً ديمقراطي المبادئ ديمقراطي الأساليب. وهل من ديمقراطية أتم من أن نرى الملوك يتخذون لهم من الجوارى زوجات شرعيات ويرفهنهن إلى مراتب الملكات؟ أو هل من ديمقراطية أوفى من أن يخرج الطبقة الدنيا قوم يرتفعون بكفائهم الشخصية ورجاحة عقولهم فيحملون أعظم الألقاب ويقلدون أجل المناصب؟ ولكن على مقربة من هذا التسامح والإنصاف تقوم أرستقراطية مروجية: لأن موقف الأجير المصري إزاء صاحب الأرض يكاد يكون - فضلاً عن موقف العامل المصري إزاء المول - موقف الرقيق إزاء الشريف في نظام الإقطاع وكانت الحال على ذلك في سوريا وفلسطين حتى الحرب العظمى.

المشكلات المرتبطة بالمصطلح هي مشكلات خارجية لا علاقة لها بالمصطلح نفسه، وأن الكثير منها لا يقتصر على الوضع في اللغة العربية بل هو شائع في اللغات الأخرى ولم يمنع من الإبداع العلمي فيها.

ويظهر من ترجمة الكتاب، الذي يمكن أن نعتبره نموذجاً تطبيقياً لأفكار المزيّن السابقة، أن المترجم لم يجد صعوبات تذكر في استعمال اللغة العربية في التعبير عن الأفكار والمفاهيم اللسانية وصوغ المصطلحات المناسبة لها. ساعده على ذلك خبرته وترسبه، واختراجه في الترجمة منذ سنوات. لقد نجح المترجم بهارة فائقة، وحكمة متميزة، واقتدار كبير. في سلك المصطلحات المناسبة، وسبك الحمل العربية بشكل مؤد، على الرغم من صعوبة الجهاز الاصطلاحي للكتاب الذي ينتمي إلى مستويات لسانية مختلفة (صعوبة وصرفية وتركيبية ودلالية...)، وبعد شجرة تاريخ طويل من التنظير اللساني العربي.

وصفوه القول إن ترجمة كتاب «محاسن العربية في المرأة الغربية ودلالة الشكل في العربية في ضوء اللغات الأوروبية» تعتبرها إضافة نوعية في الثقافة العربية، ونموذجاً للترجمة الجيدة والتمتعة والقيمة في الوقت نفسه، لخلوها من كثير من مظاهر الترهل اللغوي الذي تطغى به كثير من الترجمات اللسانية الغربية، صريح أن الترجمة جاءت متأخرة نسبياً، بالنظر إلى أهمية الكتاب، وإلى طبيعة الزمن اللساني. فقد نشر الكتاب سنة ١٩٨٧، ولم تظهر ترجمته إلا في سنة ٢٠٠٥، غير أن هذا لا نعتبره إشكالاً. لأن الكتاب من أمهات المصادر الغربية، ولأن القضايا التي يعالجها مازالت قضايا راهنة، وستبقى كذلك لسنوات طويلة أخرى، كما أن تأخر الترجمة تحكمت فيه اعتبارات موضوعية بالأساس كشف المترجم عن بعضها في المقدمة ومنها

١- صعوبة موضوعه، ذلك أن موضوع «الدلالة» يعد من أقد المواضيع التي تتناولها اللسانيات، ٢- ثم أن المؤلف معمر غراما شديداً بالكمالات الغربية والمهيجة وتلك التي تعد من الألفاظ والتحويلات إلى كثير من الظواهر والأحداث والشخوص الثقافية في اللغات الأوروبية، فقد وجد المترجم صعوبة بالغة في تتبع تلك الظواهر ولم تسعفه المعاجم في التخلّب على تلك المشكلات في كثير من الأحيان.

٣- رفض الناشر الأصلي للكتاب إعطاء حقوق النشر باللغة العربية إلا لنشر معروف...

وعلى الرغم من هذا التأخر الجبر، وهذه الصعوبات فقد كان سعى المترجم حثيثاً لإخراج الكتاب إلى حيز الوجود. وتمكين القارئ العربي من الاطلاع على واحد من أهم الكتب اللسانية في العصر الحديث. ■

الترجمة، وبالنظر أيضاً إلى الصعوبات الكثيرة التي يثيرها، والتي يترتب عليها أحاج الترجمة أو فشلها



تقد أسندنا أنفاً إلى أن المصطلح اللساني يبقى من المصطلحات الكبرى التي تقف حاجز عثرة أمام اللسانيات العربية، غير أن المزيّن نظرة أخرى بخصوص هذه الإشكالية، فهو يعتبر صوغ المصطلح جزءاً لا يتجزأ من العمل العلمي. إن صوغ المصطلحات عمل في صميم البحث العلمي، فهو جزء لا يتجزأ منه غير متصل عنه. إن المصطلحات تخلق نتيجة للحاجة إليها أثناء البحث وليست عملاً مستقلاً، فصوغ المصطلحات عملية إبداعية يقوم بها المتخصص أثناء قيامه ببحثه حين تلجئه الضرورة إلى ذلك، وتقوم هذه العملية على ثلاثة أركان أساسية هي:

١- المعرفة العلمية بالشيء والمادة تسميته  
٢- القدرة اللغوية وتحوي المعرفة بقوانين اللغة ومعجمها وطرق التعبير عنها  
٣- سعة التخيل التي تجعل المتخصص قادراً في وقت وجيز على الربط بين الركنين الأولين.

فلا بد من توفر هذه الأركان الثلاثة لكي يتمكن المتخصص من صوغ مصطلحات علمية ملائمة، فصرخة الشيء المراد تسميته وحدها ليست كافية للعثور على تسمية موفقة<sup>١</sup>، ويمكن سر الإخفاق في صوغ المصطلحات العلمية. في نظر المزيّن، في الاعتقاد بأن هناك مناسبة بين الاسم والمسمى، لذلك فإن كثيراً من المشتغلين بهذا الاهتمام يوجبون أن يكون المصطلح دالاً على ما يطلق عليه من حيث الشكل أو الوظيفة أو غير ذلك ويرجع المزيّن مسند الخلل في الترجمات اللسانية العربية إلى أن كثيراً من المترجمين ليسوا من المتخصصين في اللغة العربية فافتقرهم متخصص أساساً في اللغة الإنجليزية أو الفرنسية، ومن هنا فإن الشكل يتحمل في حد مقرر بعض هؤلاء المترجمين بالأساليب العربية وهو ما ينشأ عنه استعراق تلك الترجمات وعجمتها وإدراكاً من مترجمين متخصصي في اللغة العربية، فإنه في أغلب الأحيان يفتقر إلى ترس كلف باللغة المصدر فيبدأ إلى القواميس لتدليل الصعوبات التي تواجهه أثناء عملية الترجمة، غير أن القواميس، في نظر المزيّن، لا يمكن أن توفر معرفة وتعميماً للمصطلحات: لأن المصطلحات العلمية هي بالأساس وليدة لصفة الإبداع في اللغة.

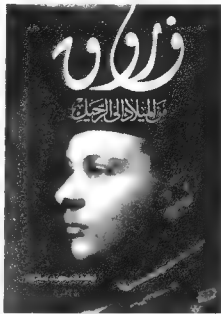
إن مشكل الترجمة ليس مشكل مصطلحات، في نظر المزيّن، بل مشكل التعبير الدقيق عن مضمون تلك المصطلحات، وعلى هذا الأساس فإن

«وجهات نظر، بحكم طبيعتها تحاول هنا العودة بالجميع إلى «الكتب، كمصدر أساسي للمعرفة. وذلك من خلال عرض صفحات لواحد من كتابين (أحدهما تقترب صفحاته من الألف ويعد ربما المرجع الأساسي في موضوعه) لاستعادة تاريخ كرسى سنوات ليست بالقليلة لدراسة تاريخ الملك السابق.

الحسرة

الجدل الذي أثاره مسلسل تليزيوني حول آخر من حكم مصر من الملوك «فاروق الأول، غاب عنه حقيقة أن «الملك، كان موضوعاً لكتب ومراجع عديدة. سواء المؤرخين حاولوا - بحكم المهنة - تحري ما يوجبه «التاريخ، من دقة، أو لسياسيين حاولوا - لأسباب مفهومة - إلقاء الضوء على جانب واحد من القصة.

# فاروق كان!



## لطيفة محمد سائل

وخصص له قصر أنطونيادس بالإسكندرية.

إن، فأمر عادي أن يولى فاروق شطره تجاه إيطاليا. ويرغم أن هذا الاتجاه كان متوقفاً في مصر، فإنه حدثت بعض التكهات عن المكان الذي سيقصده، حتى لقد ورد بالصحافة أنه سيبحر إلى الولايات المتحدة، وربما يكون التمكيز في هذا بسبب العلاقة الطيبة التي ربطته بها، وما شوه من تدخل سفيرها من أجل تأسينه واحترامه. ويبين الضاليم بالأعمال البريطانية أن هناك ثلاثة تلال يمكن أن يتجه إلى أحدها فاروق، فبحوار إيطاليا ذكر إسبانيا والبرتغال.

واستمرت الرحلة البحرية إلى نابولي ثلاثة أيام، وكانت مكونات المحروسة تنطق بالعاطف المصري الذي أحبه فاروق، وكثيراً ما كان يركز رؤيته على لوحة استصار رمسيس الثاني، ذلك الملك الذي رفع شأن مصر، فهل كان يبيت عن أي وجه

ذكريات كورنثس الإسكندرية. ونابولي هي المدينة والميناء الجميل الذي أبحرت إليه المحروسة، نقل أباه صبيًا، وجده الخديو إسماعيل ممفيا في يونيو ١٨٧٩، بعد أن نجح التدخل الأنجلو فرنسي في عزله وإيطاليا مصمة عامة طبعها ثقافتها على أبيه، وبالتالي فإنه عندما تفتحت عيناه، وجدوا الإيطاليين داخل القصر، فارتبط بهم، لدرجة أنه تحدث الإنجليز من أجلهم، وقد وضع ذلك صفة خاصة في أثناء الحرب العالمية الثانية وانعطافه تجاه المحور. والإيطاليين متفهم مثل شعوب البحر المتوسط، ودودون ومشاعرهم العاطفية جياشة، بالإضافة إلى أساليبهم التي يحدبون بها الآخرين. وعليه فقد تأثر فاروق بهم وأحبهم، وطبيعية الحال كان للإيطاليات الحظوة لديه. فصلا عن أنه منذ ست سنوات، استقبل الملك فيكتور عمانوفيل عام ١٩١٦، الذي كان زميلاً لأبيه بالكلية الحربية في تورينو. ورحب فاروق به وزوجته،

الحاكم، ويقرر مصيره، وفقا لما أقدم عليه من تصرفات أضرت بمصر والمصريين، ودائماً تكون سنوات النفي تجسيدا لعذاب نفسي. يدخل تحتها الألم والحسرة، وأحيانا الندم في حالة الشعور بالذنب إزاء أفعال معينة. ولكن بالنسبة لفاروق فقد اختلف الأمر إلى حد كبير. فبرغم نهاية حكمه الحزينة، فإنه استمر على منوال نمط حياة الآخر. تلك التي كان يعيش في كنفها على أرض مصر.

### أولاً: الرحييل

عندما تحركت المحروسة، استفسر ريانها عن الجهة التي يوجه إليها دفته، فجاء أمر فاروق إلى إيطاليا، وبالذات نابولي، فلم تكن تختلف كثيراً عن الإسكندرية التي كانت لها المكانة لديه. كان أباه فترة النفي. كلما يمر على طريق ساحلي، ويتأثر تماماً، حيث يستعيد

تعد عقوبة النفي من العقوبات القاسية. إذ إن صدور الحكم بترك أرض الوطن الذي هو أغلى ما يمتلكه الإنسان الذي ينتمى إليه من الأمور الصعبة على النفس، وعبر تاريخ مصر تعرض كثير من تلك العقوبة، ونالطع فقد اختلعت أبعاد كل قضية. وفي حالة الملك فاروق، فإنه لأول مرة يأتي نفي الحاكم على أيدي المصريين المحكومين وليس العكس، ولذلك دلالة الواضحة، والتي حملت بين طياتها، أنه أصبح هناك من يحاسب

فاروق من الميلاد إلى الرحييل د لطيفة محمد سائل  
طبعة دار الشروق ٢٠٠٥ ٨٥٠ صفحة

فاروق الأول وعرش مصر  
بروخ وأعد... وأقول حريص  
(١٩٢٠ - ١٩٦٥)  
د. لطيفة محمد سائل  
دار الشروق ٢٠٠٧. ٢٦٠ صفحة





٦٦

اللعات والموسيقى، كما عقد الشَّبة على تعليم ابنه في الكلية التي كان أبوه يرغب في إلحاقه بها وخرم من الحصول على شهادتها. وهي كلية إيتون ببريطانيا ذات المستوى العالي الشهير، ومن الملاحظ أن المتتبع لطريقته في تربيته لهذا الابن، يجدها تكراراً لنفس أسلوب أبيه معه. وما لبث أن قرر نقل أسرته المصرية إلى سويسرا، لاقتناعه بأنها الأكثر أمناً حيث كان يخشى عليهم من المؤامرة، ولازراع مستوى التعليم فيها، وأخيراً ليتفرغ تماماً لحياته الخاصة، ووكل إلى فورية المسنولية عن اختياره المصري قادية وأخيها أحمد فؤاد، وقد سمح لأخيه بزيارته، وأعطى الإذن لفريدة لتبقى بنتاتها. وفي تلك الأثناء تمكن من أن يحصل لأولاده على جنسية إمارة موناكو وكان بين الحين والآخر يسافر إلى سويسرا، يلتقي أسرته، وفي بعض الأوقات يصطحبهم معه إلى الكبرى فيرل إلى حفلات الطرب الملكي. أملاً في رواجها من أحد رواد تلك المجتمعات الراقية

وانجرف فاروق مع زواجه وهكاهاته ومجموعاته، ووحاسة الجميلات من الجنس الناعم، ظهرت من بينهن شاة، لديها جميع الصفات التي يفضيها ويحبها، حتى في الصوت، فضلاً عن امتلاكها لشاعر الحان الذي كثيراً ما اقتنعه، وهي إيرما باكنشي مينوتولو Irma Capece Minutolo. وبعد أن كانت في بادئ الأمر مغنية الأوبرا تهدف إلى أن يسقط عليها عن طريقه، سرعان ما ارتبطت به، وأصبح معها في حياتها. بعد أن غمرها بالأحاسيس التي جعلتها ملكة قلب متوجة، وهي الأخرى، تمكن من أن تصنع يدها على قنات صومه، وتشرع بأنه مازال ملكاً في كل عصره، ورغم اكتشافه أنها لم تكن من عائلة أرستقراطية كما افترضه في البداية، وإلما ابنة سائق تاكسي، وتعيش في إحدى حواري نابولي، فقد استمر على علاقته بها، ولم يكن ذلك يمنع من وجود بعض الخلافات العابرة بينهما، وبقياً معاً حتى آخر عمره، وأحبته لدرجة أنها حضرت إلى مصر لكي تروى مقبرته.

ومع جميع ما قدمته إيرما له، ووفقاً لطبيعته، فإنه لم يكتف بها، ودائماً يريد أن يؤكد نفسه وللآخرين أن كل واحدة منهم تختلف

استلمت مثل هذه التوقعات، فبعد أن استولون على ما يرون من هدايا وخلفه يتركه. ووفقاً لشخصيته غير المستقرة، والمصابة بالملل دائماً، فهو ينتقل بين الواحدة والأخرى دور اندى النساء، وكان من خصائصه التباهي بأن الفسوة لبعته، وأنهن يجدن فيه الصفات المحببة لهن، وقد جاء ذلك نتيجة العجز الذي عانى منه.

وسادت علاقة فاروق بناريمان إلى درجة كبيرة، واستخدم معها أقصى أنواع القوة، وسخر منها. إذ شعر بدخله أنها قدم شؤم عليه، يرغم إنجائها الوريت، ونالت منها أصيلة هائم نصيبها من شانتها، حيث حمل لها الضرر الكثير من الكرامة. وظلَّت الملكة السابقة الطلاق، نظراً لتلك المعاملة القاسية، ولذلك المناخ السيئ الذي انغمس فيه زوجها، والذي أصبحت لا تحمله، لأن الأمر اختلف عما قبل، إذ كانت من الممكن أن تفتص عيناها، وتتعاين من تصرفاته لو ظل على عرشه، في مقابل أنها الملكة المتوجة، بالإضافة إلى أن الوضع الذي أركزت عليه بصفتها أم الملك أحمد فؤاد الثاني، قد انتهى بسقوط الملكية ونهاية أسرة محمد علي، وإعلان الجمهورية في مصر يوم ١٨ يونية عام ١٩٥٢.



وأصبح الانفصال بينهما أمراً محتوماً، ولعبت حدة فاروق الدور المحدد له، ونجحت في التصريق بين الزوجين، بعد أن قابلت ابنها في سويسرا التي ساربت إليها للعلاج ثم عادت معها إلى روما. وعليه تعقدت الأمور، وانتهى الأمر بعودة ناريمان إلى مصر. وهنا استخدمها رجال الثورة ورقة رابحة في إضفاء المزيد من الإسماء على الملك المخوف ورهبت ناريمان دعوى طلاق على فاروق أمام محكمة مصر الجديدة الشريعة، وتم إعلانها في روما وفي البداية طلبت نفقة كبيرة، وكان لها الحق في حضانة ابنتها، ووكل فاروق محاميه في القضية، وانتهت بصور حكم الطلاق البائن، دون نفقة أو حضانة، وبلغ به فاروق رسماً في ٢ فبراير ١٩٥٤. وبعدة من كثيرًا، وأولى القسرة طامرا، أصدرت أهما، وكان تركيزه واضحا على التعليم، فحرص على أن تتلقى مثله التروس في

ضيق على إيطاليا، ويجب عليه احترامها. ولكنه دكر أن هناك مصوبات تواجه العرش، وأنه يأمل للحكومة المصرية أن تثبت مكانتها في ظل الظروف الدولية القاتلة، وأخيراً عرج على مشاعره تجاه مصر وشعبها، مصراحاً بأن لديه حرية العودة إلى مصر، وبالطبع لم يكن هذا التصريح يتم من الواقع، وإنما للإحياء بأنه لم يخرج من مصر مطروداً.

## ثالثاً. الحياة الجديدة

ورصدت كاميرات الصحافة الأجنبية خطواته، ومع يقينه بالأسباب التي أدت به إلى نهاية هذا المظلم، وأنه أصبح عليه أن يتخذ مما حدث عبرة وعظة، ويمثل الصورة العكسية علها تشفع له. فقد استمر على ما أصابه من استهتار ولا مهالة وفساد، إذ غداً من الصعب على الحياة أن تفسد شخصيته، بالإضافة إلى أنه قد أضفى طليقاً، حقيقة أنه كان كذلك في أثناء ملكه، ولكنه بعد إجباره على تركه، زادت علاقته، حيث انتابته الأحاسيس، بأن الاستمرار في هذا الطريق هو الذي يسوغها ما فقد. ولم يكتف فاروق كثيراً في كبرى، واستقر المقام به في فيلا فخمة وكبيرة، ضمت أربعين شرفة، وتقع بإحدى ضواحي روما، وكان له حرسه الخاص المسلح، وأيضاً كلاب لحراسته، وواصل نظامه البومى، فهو يستيقظ متأخراً، ويلتهم طعامه، ويقرا الصحف، ويجرى مكالماته التليفونية، ثم يستمد لتخرج ليرتاد أماكن النوادي الليلية، ولم تشاركه هواياته التي حضرت داخله بمختلف أنواعها، ومن أهمها القمار، وهو لعبته المفضلة، ومارسها مع مختلف المستويات، ودخل حيزها ناعمو الصحف، وجاروسونات البارات، وأصبح يلعبون وقتها لقواعد، وليس عن طريق ما كان يحدث في مصر من الاستيلاء على أموال اللاعبين معه، والذين دفعوا عن طريق خاطري في سبيل تحقيق مصالحهم.

ووجه فاروق اهتمامه إلى النساء، اللاتي أيضاً اختلفت أنواعهن وأعمارهن، ومهنهن، إذ وجد في الاختلاف متعة، لكنه مع ذلك كانت له بعض المضائل، التي يمتنع بالتمسك بغيره المزدوج. وبدا الجديد الذي طرأ عليه، حين كoon علاقات مع نساء دون المستوى، وكم

للمقارنة معه، أم كان يتمنى أن يكون مثله؟ وبخاصة أنه في بداية حكمه ملاه الصخر بأنه يجلس على عرش فرعون مصر، هذا الانتماء جعله يمشي آثارها، ويفكر في مشروع متحف جديد لحضارتها، ومراراً عينيهِ سناريو حياته، وسيطرت عليه مسألة أن ما حدث له مؤامرة وإعما الشيوعيين، وكان مما ساءه أن المأكَل والمشرب كان متواضعاً جداً ومحدوداً للغاية، إذ كان لا يقتصر على الخبز، غير الطاج، والجن، والسؤال: هل كان ذلك مقصوداً حيث من المشهور عن فاروق حبه للطعام، أم أن ظروف السفر وسرعته كبلت لسؤلون عن التحضير للرحلة؟ وعلى أي حال، فقد فرض الواقع نفسه، وحاول فاروق طوال الرحلة أن يخفف من المناخ الكتيب بطريقته الموهوبة المسلية، وفي تلك الأثناء كانت مصر قد أبلغت السفير المصري في روما بقدم الملك أحمد فؤاد الثاني

## ثانياً. الوصول

عقب وصول فاروق إلى نابولي في ٢٩ يولية، وقد تصادف أنه ذكرى يوم توليه سلطانه الدستورية، استقبله السفير المصري في إيطاليا، ومعه بعض من أعضاء السفارة، ومعه نابولي، وقليل من الصحفيين، وتولى يخط فخر البحار، تصادف وجوده في مياه البحر المتوسط، عائد إلى الإسكندرية من مسابقة بإيطاليا. نقل أمتعته فاروق وأسرتهم من الحرس، ودفعه من كانوا على متنها، وعادت من حيث أتت، مع ما لبث أن اتصل بأحد معارفه في الإيطاليين، شغل فيما سبق منصب قنصل إيطاليا في مصر، فقدم له المساعدات، ومنحته إيطاليا حق اللجوء السياسي، في مقابل أن يرحبها بإحسان تصفه في أي نشاط سياسي، وبمجرد أن وصلت فيلما فاروق بكبرى، ذلك المكان الذي اختاره، وبعد أهم مصيف نابولي، عقد مؤتمرًا صحفيًا، وتحدث فيه باللغات الإيطالية والعربية والإنجليزية، معلناً أنه سيبدأ أول إجازة صيفية في حياته، ورغم كونه لم يعد ملكاً، فإنه أصبح مسئولاً عن ابنه الملك أحمد فؤاد الثاني، عندما سئل عن أمواله، التي ضمها جيلبه إلى ثروة من مصر، وإن لديه ما يجعله يعيش حياة كريمة، ولم يتعرض للسياسة مبدية أنه



وهاجم فيها القائلين على الحكم في مصر. وأدرك قادة الثورة أن عنيته على مصر، وقلبه يهجو لها، ووفها لخطتهم في تأمين الثورة، وبعد شمادية أشهر من قيامها، ساهم تحركات الملك السابق، وموقف الحكومة الإيطالية السلبى من ذلك

وكان لأيد من الرد، ومن ثم أدلى محمود فوزى وزير الخارجية بتصريح، أذيع لندوسى الصحف، ووكالات الأنباء، بين فيه أن التقاليد الدبلوماسية لا تسمح بأن يقوم لاجئ سياسى بنشاط سياسى، وأن مصر راعت هذا الأمر، عندما لجأت إليها الأسرة الملكية الإيطالية، وأن الخديو اسماعيل حينما استقر به المقام في إيطاليا، لم يقدم على أى نشاط سياسى. هذا الأمر الأخير يفتقد الدقة، حيث إن الخديو قام بمحاولات للمعونة

منه الأموال، ولم يكن بجواره من ينهيه، إذ إنه تخلى عن أمين فهمى سكرتيره الخاص، نتيجة لحدوث اختلافات بينهما، وقد كانت تربطه به علاقة طيبة فترة طويلة منذ وجوده فى القصر، وعندما التحق بالسفارة المصرية فى روما، وجل مكانه شاب فرنسى لم تكن له مواصفات باقية.

## رابعا: حلم العودة

لم يفقد فاروق الأمل فى العودة إلى عرش مصر مرة أخرى، ورواده حلم التحقيق، وذلك عندما يختلف المسافر. وفقا لروايته، وقد وضع هذا من خلال ذكرياته التى نشرتها صحيفة إيمباريوزور فى الفترة من أكتوبر ١٩٥٢ إلى إبريل ١٩٥٣.

والصحفيين، واتهمهم فيها بالنسب والصدق فى حقه، ولم يقتصر الأمر على هؤلاء، وإنما تعداه إلى الشركات التى اتخذت منه النموذج الكاركىكتيرى لترويج سلعها. ولكن ليس معنى هذا أن أمواله نضبت، إذ كان يمتلك الكثير. ولما كان هناك نوع من الصداقة تربطه مع أمير موناكو، آزاد شراء كازينو القمار بها. ولكن المليونير أوتانيس لم يكنه من تحقيق ذلك وقام بشرائه. ومن المعروف أن ممتلكاته فى مصر، وضمت فى البداية تحت الحراسة، وفى ٢٧ سبتمبر ١٩٥٣، قرر مجلس قيادة الثورة إلغاء الحراسة، ومصادرة هذه الممتلكات، وحاول فاروق لإقامة دعوى أمام محكمة العدل الدولية لإلغاء القرار، ولكنه فشل. ومما يذكر أنه وقع فى براثن البهوض الذى تقرب منه، وأحتال عليه، واستنزف

عن الأخرى، ولم يسبب ذلك إزعاجا لإيرما. وقد بلغ من استهتاره أنه سمح لها بالتردد عليه فى الفيلا التى يعيش فيها مع أسرته قبل أن تنتقل إلى سويسرا، وكان فى هذا تحد لشاعر المرأة، وهى من سن المراهقة. ومما يذكر أنه ترك المسكن المصخم بعد أن أصبح بمفرده وانتقل إلى شقة من دورين فى روما. وتعددت رحلاته الخارجية، التى كان يصطحب فيها إيرما أحيانا، وحظيت بباريس بالنصيب الأوفر منها، إذ اختلط بكبار الشخصيات هناك وارتفع مؤشر تبديره إلى أعلى درجة، لكنه عاد وترجع إلى الانخفاض خصوصا بعد وفاة الملك عبد العزيز بن سعود، الذى لم يبيع له عليه بالمساعدات المالية، أيضا فقد كان فاروق يتكبد الخسائر نتيجة لتلك القضايا التى رفعها على الكتاب

## هذه الكتب

للملك المخلوع، وهى الشهادة التى أدلى بها المرحوم حسن باشا يوسف وكيل الديوان الملكى خلال الفترة بين عامى ١٩٤٢ و ١٩٥٢ لكاتب هذه السطور شخصيا. ومن سوء حظ الملك المخلوع أن شخصيته السيكوباتية قد غلبت عليه خلال النصف الثانى من عهده، مما تشكلت معه اللقطة الأخيرة من صورته، وكانت سلبية بكل المقاييس.

٢. فضلا عن كل ذلك، فإن الظروف التى عانت منها مصر فى أعقاب الحرب المالية الثانية (١٩٤٥ - ١٩٥٢)، والتى كابدت منها بلدان كثيرة فى العالم كانت فى حاجة إلى قيادة واعية تتشلبها معها، وهو ما لم يكن فاروق مؤهلا له! وعندما سامعنا فى بيئة تحرير هذا الكتاب عن صحة هذه الصورة كان الإجماع أنها تقدم جانبها من الحقيقة، وأن رسالتها لا تنساق مع ما هو شائع، ولا تصبح هذه السلسلة أقرب إلى رجع المصدى، وإنما تتركز المهمة فى تحرى جوانب هذه الحقيقة كافة.

كان من الطبعي أن نساعد عملية التحرى تلك للأستاذة الدكتورة لطيفة محمد سالم أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر، ومن أكثر المؤرخين إلماما ببعية الملك المخلوع بكم لها من أعمال موسوعية تخص عصره،

ويعد غنت فى الدراسة، ومكابدته نعلم حجمها، خرجت الأستاذة المؤلفة بنتيجة مفادها أنه كان هناك فاروقان وليس فاروقا واحدا... الأول حكم مصر خلال الفترة بين عامى ١٩٢٧ و ١٩٤٤، وكان واعدا بكل المقاييس، وربما كان من أكثر حكام أسرة محمد على قبولاً بل وشعبية عند المصريين.

غير أن انقلابا قد حدث فى شخصية الرجل بعد إقالة الوفاء فى أكتوبر عام ١٩٤٤، وبينما كانت الحرب المالية الثانية تطفئ أنفاسها الأخيرة، وأصبح لديسيا فاروق آخر، وقد تجعبت المؤلفة، ليس فحسب فى تقديم صورة هذا الآخر، وإنما قبل ذلك فى أن تقدم الأسباب المقتعة التى أدت إلى هذا التحول، الأمر الذى نأمل أن يشاركنا فيه القراء.

وعلى الله قصد السبيل..

يوانا لبيب رزق

دون وجل من سوء حكم، يمكن القول إن فاروقا، ملك مصر بين عامى ١٩٢٧ و ١٩٥٢، كان الحاكم الأسوأ خطا من أبناء أسرة محمد على، من حيث الصورة التى استقرت له فى الوجدان الوطنى العام.

ولأول وهلة يبدو أن سبب ذلك ما آل إليه عهد هذا الرجل من خلع عن العرش، ولكنه لم يكن الوحيد من أبناء الأسرة العلوية الذى انتزع عترة من على كرسى الحكم، فقد سبقه إلى ذلك اثنان من هؤلاء، جده الخديو إسماعيل (١٨٧٩) وابن عمه الخديو عباس حلمى الثانى (١٩١٤). غير أن الأمر مختلف، فقد تم خلع الحاكم الأول بعد مؤامرة اشتركت فيها حكومتا باريس ولندن، وانتهت بأن أصدر السلطان العثمانى فرمان الخلع، مما كان محل سخط المصريين، ثم إنه قد خلفه ابنه الخديو توفيق، الذى لم يكن حريصا على الإساءة لسمعة أبيه، وكان الخلع أكثر درامية مع عباس حلمى الثانى الذى استبعد عن العرش سار من وزارة الخارجية البريطانية، الأمر الذى جعل المصريين لا يقرون مثل هذا الحل، ولا يمترون شرعيته. وهما فريق كبير منهم إلى عودة عباس على أسسة الرماح التركية والألمانية، حتى إنه انتشرت بينهم خلال الحرب العظمى (١٩١٤ - ١٩١٨) الأرزوجة التى طلوا يردودنها «الله حى خال حى»!

وترى أن تلك الظروف قد أثبتت لكل من الخديويين المخلوعين، إسماعيل وحبيده، مكانة خاصة فى الوجدان الوطنى المصرى، والذى ظل يهجو عليهم. اختلص الأمر مع فاروق الذى تم خلع من جانب المصريين، وبانتهاء عهده انتهى عصر الأسرة العلوية برمته، ولم يكن هناك على سدة الحكم من يدافع عنه بحسبان أنه هو الأحدث نفسه حفظ لمكانة الأسرة كما حدث فى المرتين السابقتين، بل تحول الأمر إلى وصم الرجل وعهده بكل فتنة.

وبدا ذلك من أثر من حقبة إيداع عهد الرجل بكل الأدوات التى كان النظم الجديد يملكها، من مصمم وإداعة وما إلى ذلك من وسائل الإعلام، حتى شاع توصيف عصره «بالعهد البائد» ٢. إن ما توصلت إليه الدراسة التى بين أيدينا من وصم الملك المخلوع «بانتقام الشخصية» كان صحيحا، لأنه الأحدث الذى شهد على كثره من أكثر المقربين



## نصيب الأمل عن الملك المخولع في العودة إلى مصر، واسترجاع التاج الملكي، معتقدا بإمكانية عودة الملكة مسرة أخرى



إلى أريكة الخديوية بأن الثورة العربية، وذلك عكس مفهده فاروق، الذي يصدر نشرة صحفية يومية من خمسين نسخة، بها أخبار مشوهة، مستقاة من راديو إسرائيل، وأنه بناء على ذلك، تطلب مصر وقف مثل هذا النشاط.

وجاء إلغاء النظام الملكي، وإعلان الجمهورية، ليكون لطمعة قوية لفاروق. وقد وقع هذا الحدث أثناء المفاوضات بين مصر وبريطانيا، التي كانت توافقه إلى تقسيم قيادة الثورة، ليسهل لها الاتفاق. ولما أيقنت صموده، ذلك، تراجعت لها مساندة الأمير محمد عبد المنعم الوصي على العرش ليجلس عليه، مما دفع إلى إعلان الجمهورية.

وعقب توقيع اتفاقية الجلاء في ١٩ أكتوبر ١٩٤٨، والسياسة التي انتهجها عبد الناصر، وخصوصا ما يتعلق بالقومية العربية، والتي أفلقت لندن، تلك الكراهية التي لا حدود لها وحملها إيدن رئيس الوزراء البريطاني له. فرض التفكير نفسه في الطريقة المثلى لإقصاء عبد الناصر عن الحكم، واختيار البديل، وعندما وضع اسم فاروق، لم يجد المسؤولون البريطانيون بديلا من يستبدونه كغاية، وذلك بعد أن حرق جميع أوراقه.

ولم يقبب الأمل عن الملك المخولع في العودة إلى مصر، واسترجاع التاج الملكي، معتقدا بإمكانية عودة الملكة مرة أخرى. وجرت اتصالاته مع أعداء الثورة في الخارج، وإيثار البعض منه الأموال لتحقيق غرضه، وباتت مجهوداته المستمرة، وكان من بين أدوات عمله التي استخدمها طوال فترة نفيه، العلم المصري بلونه الأحمر الذي احتل مكانة لديه. إذ يحمل له آخر ذكرى لوداعه، فقد رفعه على إحدى نوافذ بيته، ووضعه على سيارته والتي اختار أن تكون ذات اللون الأخضر الذي أخره، إذ كان يفضلها ويرتاج إليه.

وكان لشور رموز النظام الملكي أصنام المحاكم التي أنشأتها الثورة، والأحكام التي صدرت ضدتها، من رفض على فاروق، فهاذاه هجومًا على رجائها وانتقاص الأوضاع القائمة في مصر، وهذا وضع طبيعى، ويستلزم أن يصدر عنه.

ويوقع على إعلان الثلاثي على مصر عام ١٩٥١، استلزامًا فاروق بقبضة وسادة. ووثق بأن ملكه على وشك أن يعود، وعقد مؤتمرًا صحفيًا، وصرح بأن نهاية محنة

مصر من الرعب والبؤس قريبة. بعد أن أصبحت دولة بوليسية، والتعب أسير داخلها. وتكلم عن الاعتقالات، وأن عبد الناصر دكتاتور طاغية. مثله كالبحرية التي لديها القدرة على تغيير لونها، فهو يستطيع أن يهادي الشيوعية، ويؤيد الروس في الوقت نفسه، وأشاد بعهد الملكية، مبينا كيف أن الطعام والعمل كانا متوازيين للجميع.

وفي الحين ذاته، بحث بثلاث رسائل إلى الرئيس الأمريكي ورئيس وزراء إنجلترا وفرنسا، يشرح فيها التطورات المحزنة التي تمر مصر بها، والمسيرة الخطيرة التي تتعرض لها تحت حكم الصغار، ويطلب منهم بطلق كل السبل لتدبير حل سلس لها يعانيه الشعب المصري، لأنه من غير المحقول أن يتحمل

بالإحباط، الذي أقعده عن أن يفكر مرة أخرى في عودته ملكًا على مصر. والنفس فاروق في حياته الخاصة المعتادة إلى أن واجهته مشكلة إبنته الصغرى هادية في بداية عام ١٩٦٥ التي أحببت شابا مسيحيًا روسيًا، يعمل جيوولوجيًا، التقته في مدرسة اللغات الأجنبية ببيسوسيرا، وكانت والدته ممرسة لها. وأرادت أن تتزوج منه، وهو ما لا تجيزه الشريعة الإسلامية. وفشل فاروق في المحاولة دون إتمام هذا الزواج، الذي لم يكن راضيا عنه، ليس فقط من ناحية الدين، ولكن أيضا بسبب عدم الكفاية الاجتماعية، وأصررت الابنة، وتزادت أمام عينيه مأساة أخته قسحبة. ولم كان قد تعود على الصدمات، فإنه سلم بالأمر الواقع، ولم يرض إلا الغليل حتى لفظ



انفاسه الأخيرة في ١٧ مارس ١٩٦٥ دون أن يحقق الحلم الذي راوده كثيرا.

### خاصة بالفن

قبض فاروق بداية ليلته الأخيرة مع إيمرا، ثم اصطحب صديقته مصففة الشعر آنما ماريا Anna Maria إلى أشهر مطعم فرنسي في روما وهو إيل دي فرانس، وتناولوا العشاء، وكعادته التهم كمية كبيرة من الطعام الذي جمع بين فواكه البحر المختلفة، واللحوم الطنوعة، والشويات المتعددة، والخبز الحلويات الشهيبة، وبعدما أتمل الاستجمار، ولكنه فجأة شعر بصقي في التنفس، والقي على أريكة، وفي الحال نقلته الإسعاف إلى المستشفى، وهي غرفة الإنعاش، أمدته الأطباء بالأوكسجين، وحاولوا تدليك قلبه الذي سرعان ما توقفت دقته الأخيرة.

كان عمر فاروق وقتئذ خمسة وأربعين عاما، وقد زاد وزنه إلى درجة كبيرة أثناء النفي، وهو منذ عام ١٩٤٨ يتلقى العلاج،

حيث لم يكن قلبه سليما نتيجة لتناوله كميات وأنواع من الطعام الدسم، وغيرهم تحذير طبيبه من ذلك، فإن عناده طغى عليه، وبالتالي أصبح شيئا طبيعيا أن يتعرض لتصلب الشرايين مع ارتفاع في ضغط الدم، بمعنى أن الموت الداهية، كانت له أسبابه الصحية. ولكن حديث ملابسها قادت إلى أن هناك مؤامرة دبرت لتنتهي حياته حتى يواد عمله، ولا تكون له أية قائمة، ومن ثم يسقط القلق الذي ساور المسؤولين في مصر من وجوده وتحركاته، وذلك رغم أن الهدوء لازمه في الفترة الأخيرة.

وبعد ثلاث سنوات من موت فاروق، قدم رئيس المخابرات العامة المصرية صلاح نصر للمحاكمة، وتكراره ردد بعض الأقوال بشأن نهاية حياة الملك السابق، وعندما نشر كتاب، شاهدته في انحرافات صلاح نصر، لا اعتماد خورشيد، وكانت مقربة لهذا المسؤل، سجلت كيف حضر في شيلتها مخمورا، وقال لها إنه في انتظار مكالمة تليفونية مهمة من الخارج، ويعلم جاءت مكالماتن تحمالا خبر موت فاروق، الأولى من شخص إيطالي، والثانية من مساعد صلاح نصر، وهو إبراهيم بغدادي، أحد الضباط الأحرار. تفيد بأن المهمة نفثت بنجاح، ونقل رئيس المخابرات الخبر لعبد الحكيم عامر، ثم قدمه هدية إلى عبد الناصر. وثبتت العملية بالتأني مع المخابرات الإيطالية، ووضع له نوع من سم الأكويتين في الجمبري، وهو لا يظهر في التشريح، ووفقا لما ذكر، فإن الحنة لم تُشرح، بالرغم مما هو وارد عن إمكانية اغتياله. وقد عاش مرتبًا من أن يبحث له ذلك أو الأولاد، كما أن كانت تراهقه في عشائه الأخير، لم يظهر لها أثر وقت الوفاة، لا تركت المكان على وجه السرعة، ولم يعرف السبب، وفي ذلك الحين، تردد أن تكون كانت ممركة للمخابرات المصرية للتجسس على كل من فاروق وإسرائيل.

ووفقا لتلخيص البحث التاريخي، فإنه من الصعب إثبات حدوث مثل هذا، والمكررات وما يتبعها من ذكريات لايد أن تخضع لقواعد النقد، وتطابق ذلك على المعلومات السابقة، يصبح لابد من وجود قرآن، وهي غائبة، وبخاصة أن ما تقوم به أجهزة المخابرات المختصة بأنظمة معينة، تحظى الأثر المخيف على عملها أيضا. فمن المسلم به أن ينفي إبراهيم بغدادي ما ذكرته صاحبة الكتاب، ومن المعروف أن صلاح نصر



المتحدة. المصرية. ووصلت إلى القاهرة مع منتصف الليل، واستقبله فوزية وفايقة وزوجاهما إسماعيل شيرين وفؤاد صادق فقط. وفي حراسة مشددة من رجال صلاح نصر، تم الدفن في قبر إبراهيم باشا، وليس في مسجد الرفاعي تيمنا لوصيته، ودون أية مراسم، واستمررت الإجراءات دفنات معدودة، ووارى جسد فاروق ثرى مصر. وفي عهد أنور السادات، أمر بنقل رفاتة إلى مسجد الرفاعي. وتعددت الرؤى في هذا الشأن؛ هل ليحقق لفاروق وصيته، أو لتلك العلاقة التي بدأت تنسج خيوطها مع أحمد فؤاد الثاني ملك مصر السابق والأخير، أو ليعطى أمام المصريين بروح طامع كبير العائلة؟ وإيا كان الأمر منها، فإنه بهذا الإجراء، استطوت صفحة فاروق الذي كان ملكاً. ❧

جرت المساعي من أجل تحقيق ذلك، وفي الوقت ذاته أبدى الملك فيصل بن عبد العزيز رغبته في أن يستقبل جثمان فاروق ليبدفن في الأراضي المقدسة، مما سهل الأمر لتنجح محاولات إسماعيل شيرين والتي انتهت بموافقة عبد الناصر على أن يتم الدفن بمصر. بعد أن شعر على من الإحراج في حالة الرفض، ولكنه وضع شرط السرية التامة في التنفيذ. فهل هذا يرجع إلى أنه أراد إقصاء أي مشاعر تجاه ملك مصر السابق، رغم علمه أنه ابتعد عن أذهان المصريين؟ أو تحسبا لأي خطر نتيجة وجود بعض الغلافل حينئذ في مصر؟ ربما أحدهما أو الاثنان معا.

وبعد عشرة أيام من تأريخ الوفاة، جاء المشيد الأخير، إذ نقل جثمان فاروق على طائرة تابعة لشركة الطيران العربية

موت طبيعي، أم اغتيال درامي؟ والواقع أن هناك نماذج أخرى في التاريخ، تحمل الاستفسار نفسه، ولم يحل لغزها بعد.

## سادساً. الدواعي الأخير

كانت إيروا أول من تلقى خبر موت فاروق، عجزت عليه ويكثه كثيرا، واتصلت بأولاده في سويسرا، فحضرُوا على الفور. وكذلك حضرت فريدة وأختاه فوزية وهمايزة. وكفن فاروق، وغُطي بالجلم المصري الأخضر الذي لازمه طوال فترة نفيه، وأقيمت صلاة الجنازة عليه، ووضع في قبر مؤقت، وتلقى ابنه العزاء.

وبناء على وصية فاروق بأن يدفن في مصر بمسجد الرفاعي مقر مقابر أسرته،

كثيرا ما أوهم عبد الناصر بأن المؤامرات تحالكت ضده، وهو دائما يتوصل إلى مخططاتها. وينفذ أحكامه عليهم. وذلك حتى يؤمن نفسه بالاستمرار في منصبه. هذا ويجب أن نضع في الحسبان أن مفهوم عبد الناصر بشأن تحريك القوى الأجنبية ضده هو حقيقي، إذ تسقط الوثائق البريطانية. خصوصا قبل عام ١٩٥٦. بضرورة التخلص منه. ومن هنا كان يخشى من إمكانية الإطاحة به بأية طريقة، وبالتالي الخد النظام البوليسي موقعه لدى نظامه، سواء داخل مصر أم خارجها. ولكن ليس معنى ذلك تفسير أن ملك مصر السابق اعتيل سناء على أمر منه لصالح نصر، حيث لا يوجد ما يثبت ذلك.

وهكذا تحول موت فاروق إلى كفن، ومازالت علامات الاستهزاء قائمة، هو هل



## من الحب إلى المنفى

والواقع أن من تحلق حول فاروق، وبخاصة الحاشية، أولئك الأشخاص غير المسؤولين. حرصوا على أن يجعلوه شخصا غير الذي كان. ونجحوا في البحث عما بداخله من سلبيات، ووضعوا أيديهم عليها، وأضافوا إليها، وأطلقوا لها العنان. بعد أن مهدوا له طريقها، وفرضوه بالإجراءات المختلفة الأشكال والألوان. وكذلك الرسميون ورجال السياسة بمن فيهم القيادة الوعديّة. في مرحلة ما قبل الانهيار. الذين تناهوا في العمل على إرضائه. ولكل منهم كانت سياسته التي يريد تحقيقها، والنتيجة المنطقية أنه أمسى فاروقا آخر اختلف عن فاروق الأول.

وانتقل فاروق إلى حياة جديدة في المنفى، ولكنه سار على الدرب نفسه، ولم يبد أي ندم على ما اقترفه في حق نفسه، وحق شعبه، ذلك الذي لم يأسف عليه، حيث لم يبرح عن ذهنه سنوات الأخيرة في الحكم، تلك التي عاشت مصر تزج تحتها وتتن من تدهور أوضاعها. ومن أجل هذا كان التأنيب لما حدث في ٢٢ يولية ١٩٥٢، والذي سرعا ما أصبح ثورة كاملة وشاملة، سعد بها المصريون وباركوها.

حاولت هذه الدراسة وضع النقاط على الحروف في تناولها لشخصية الملك فاروق، بحيث أصبحت واضحة المعالم، وجاء تقييمها بناء على الفصوص في أعماقها، وربطها بالظروف التي أحاطت بها.

والسؤال الذي ظل برأسه أمام السطور. هل كان فاروق فاسداً منذ بدايته أو أن البيئة التي احتضنته جعلته فاسداً قبل نهائيه؟ وتم التوصل إلى أن فاروقا قضى ما يقرب من منتصف عمره حكمه يحمل البروز الواعد للمصريين. حقيقة أنه أثناء تلك الفترة، وهو شاب يافع، كانت له السياسة التي هندسها الثاني على ماهر - أحمد حسنين. ورسمًا خلوطها الأوتوقراطية، واستطاع الوفد أن يتحداها، ونال جزاءه. ولكي شععية فاروق آنذاك، احتوت المصريين الذين غمره بالحب شكل لاهت للنظر، وليست مبالغة إذا قيل أن أحداً من الحكام لم يحص على من قبل.

أما التصف الآخر من عمر حكمه فقد تحول مؤشرا إلى التقيص. وبالتالي انعكس ذلك على الناس. وبعد أن كانت بيوتهم تحنل فيها صورة فاروق الصادرة على حوائطها، عدت نداء بالانحدام.

# زعامات ”أمام العرش“



■ نأدى حورس:

محمد على باشا

فدخل رجل ملء مستقيم الجنين  
قويه وتقدم حتى مثل أمام العرش.

ودعاء أوزوريس للكلام فقال:

ولما ترعرت التطلعت في سلك الجندي،  
ودهيت إلى مصر ضمن حملة لقتال

الفرنسيين. ولما جلا الفرنسيون عن  
مصر جعلت أدرس الأحوال وأفكر في

المستقبل. تكشف لي ضعف العثمانيين  
ووحشية المماليك، وانتهيت إلى قوة ثالثة

لا يحسب حسابها أحد هي قوة أهالي  
البلاد وزعمائهم، فقررت أن أوقف علاقتي

بهم لأعلمهم يصلحون أساساً أقيم عليه  
دولة جديدة تستفيد من الماضي أسجاده

العابرة. ونجحت في ذلك أيام نجاح،  
حتى خلع الأهالي الوالي التركي

وبأيوهني حاكماً محله. واعترف الباب  
العالي بالأسر الواقع فاستتب لي الأمر.

وشرعت في العمل فلم ألك عنه حتى  
نهاية عمري. تخلصت من المماليك وهم

الشر المقيم. وتلقيت من الباب العالي  
أمراً بمحاربة الوهابيين في الجزيرة

العربية فانصرفت عليهم، وكونت جيشاً  
من المصريين. وهتحت السودان. وقتل

التي إسماعيل في الحرب فانتصمت له  
بقتل عشرين الفا من العدو. وأنشأت

للجيش مدارس ومصانع كما أنشأت  
أسطولاً مستعياً في ذلك كله بالخبراء

الفرنسيين. ولم أغفل الإصلاح فأدخلت  
وزارات جديدة كالقطن والنيلة والأفيون

وغرست الأشجار والحدائق. كما أنشأت  
مدارس للطب وبنييت المستشفيات.

وأرسلت البعثات من أبناء البلاد لفرنسا  
لند الحصار الحديثة. ونظمت الإدارة

والأمن. ومن أثارى الكبرى القناطر  
الحيرية. كما أنشأت أول مطبعة في

الشرق وهي مطبعة بولاق. وطلب مني  
الباب العالي أن أحارب عنه في الثورة

من رواية:

أمام العرش

حوار بين الحكام

نجيب محفوظ

القاهرة - دار الشروق - ٢٠٠٦

العدد المائة وستة - نوفمبر ٢٠٠٧ م

والشام محقت التصارات عظيمة حتى  
حل العرب في قلب الباب العالي نفسه  
هأراد أن يوقفني عند حدى ولكن حارسته  
وغرقت بلاده وكنت أستولى على عاصمته

لولا تدخل الدول الأجنبية التي خافت  
أن تتجدد دولة الإسلام على يدى. وتآلبت

على الدول. واضطرتني للخضوع للباب  
العالي نظير أن يجعل مصر وراثية في

بيتى. واضطرت لتصعيد الجيش وكثير  
من المدارس والمصانع. وساءت حال البلاد.

ولم أحتمل النهاية ففقدت بعلى ثم  
حياتى..

قال خوفو

كانها أسرة فرعونية جديدة زعم  
أصلها الأجنبي.

وقال تحتمس الثالث:

لقد أعنت إمبراطوريتى. وإلى أشهد  
لثألك بالبراعة. ولكلك فقدتها في أثناء

حياتك فى قصر إمبراطوريات عمرا  
في التاريخ. وإلى أصعب كيف قتلنت

عشرين ألفاً انتقاماً لأبلك كألك لم  
تسمع عن سياستى الحكيمه في الأمم

المعزوة؟

فقال محمد على:

لم أسمع عنها ولم يهتم أحد بأثارك  
فيل أن يهتم بها علماء الحملة الفرنسية

ويحلون العاز لعتها. غير أننى كنت  
استلهم حكمتى الخاصة من المعاملة

الباثرة للبشر..

فقال تحتمس الثالث:

إلى أشهد لك بالعظمة. وعلى ضوء  
ذلك أفهم غرورك. وكان يودى أن أقسامح

معك لولا النهاية السريعة الأسيفة التي  
آلت إليها إمبراطوريتك. وهذا يعنى أن

إدراكك رغم ذلك كان ناقصاً. لم تدرك  
أبعاد الموقف الدولي جيداً فتحدثته وأنت

لا تدركى عرضت نفسك لقوة لا قبل لك  
بها.





من أجل ذلك أهلك حق الجلوس بين  
الخالدین من أجدادك حتى تشتهي  
الحاكمة. ثم تمضي بسلام إلى  
محكمة بتزكيتا وصداقاً أمامنا.  
واتخذ سعد زغلول مجلسه بين  
الخالدین فی قاعة العدل المقدسة.



وهتف حورس

مصطفى النحاس،

دخل رجل قوى الجسم والوجه مائل  
للطول، تقدم في سيره حتى مثل أمام  
العرش.

ودعا أوروريس لكلام فقال.

ولدت في سمند في أسرة من أبناء  
التشعب الفقراء، وبفضل اجتهداتي انضمت  
بالمدرسة الخديوية، وعند تأليف الوفد  
برئاسة سعد زغلول اختارني عضوا فيه،  
ونفيت معهُ إلى سيشل عام ١٩٢١، واشتركت  
في وازرته الشعبية الثورية، وعقب وفاته  
انتخبت رئيسا للوفد، وحصلت عبء الحجاب  
في سبيل الاستقلال والحيوة الديمقراطية

ربيع عام من الزمان، وقد توليت الوزارة سبع  
مرات وأقلت منها ست مرات لخلافات مع  
الإنجليز أو الملك، وفي ١٩٢٦ وتحت ضغط  
التشديد بحرب عالمية قبلت الانفصال مع  
الأحزاب وعقدنا معاهدة مع الإنجليز  
اعترفت باستقلال مصر، ووعت بالجداء  
بعد عشرين عاما، وقامت الحرب العالمية  
في فترة كعاد استبدادي ملكي، واتهم الملك  
بالانصاف بأعداء الإنجليز فنشبت أزمة  
سياسية خطيرة وفكر الإنجليز في خلع  
الملك، وتقدمت لإنقاذ البلاد والعرش والفت  
وزرة في ظروف غريبة، ولما انتهت الحرب  
بالانصاف بالإنجليز شرمت في المطالبة  
بالجداء الوفري ولكن الملك اقاقتي، ورجع  
الملك إلى استبداده وسارت الأمور من سيئ  
إلى أسوأ حتى اضطر إلى الموافقة على  
استفتاء بالوضع عام ١٩٥٠، فرجعت إلى  
الملك، وهاضمت الإنجليز من أجل الجلاء،  
ولما لم أجد منهم استجابة التفت للمعاهدة  
والعلت الجلاء فتأمر على أعدائي في  
الداخل والخارج واستطاع الملك أن يتخلص  
منى، وقامت ثورة يوليو واضطرت إلى  
اعتزال السياسة حتى وافاني الأجل.

فقال أوروريس:

يهي أضرابون أن يعرفوا بعض  
الإجارات التي قسمتها في أثناء توليكهم  
الوزارة؟  
فقال مصطفى النحاس:

فقال أوروريس:

فقال مصطفى النحاس:

فقال أوروريس:

فقال مصطفى النحاس:

فقال أوروريس:

فقال مصطفى النحاس:

فقال أوروريس:

فقال سعد زغلول:

كانت حال البلاد تدمو للحياس،  
وعترف بانتي ذهبت لقيام الثورة كما  
دعش الزعيم العميق لي وهو محمد فريد  
ولكني لم أقصر في تهينة الحو لها  
بالخطابة لدى كل مناسبة والإجتماع  
بالناس في بيتي وفي دعوة الناس في  
الريف والبلد لتأييدي في موقفى مما عيا  
الشعور القومي والثورة قامت احتجاجا  
على نفير فكان شخصي في الواقع هو  
مشعلها المباش.

فقال أبونم:

معينا والزعيم القادر هو من يستطيع أن  
يكون القدوة له السلوك، وقد كان الموقف  
فيه أعلى هذه القدوة المطلوبة فعمل  
يستطيع شعب أعزل أن يقدمه حيال قوة  
قاهرة ولما تحدى سعد الدعو واضطره إلى  
والى من ثورة تحميه أو تدافع عنه  
الشعب مثله وقامت الثورة، وما يشهد  
لسمد بالعلظة أنه أقبل على التضحية  
بما يملك من ثورة تحميه أو تدافع عنه  
فكانت تضحيته كاملة، شجاعة نبيلة لا  
أما لها في أي نوع من النجاة، ولو كان  
يأمل في ثورة تشعل ذلك درجة من  
ضخامة نصيحته..

فقال أوروريس:

وقيل أيضا أن تعصيت لزعامتكم هو  
ما اضطرر العقلاء من معارونيك على  
الانشقاق عليك، فما قولك في ذلك؟  
فقال سعد زغلول:  
«المسألة اثنتي الدسجت في الثورة  
وامنت بها ووجدت فيها ضالتي التي كنت  
أبحث عنها طوال حياتي، أما العقلاء فقد  
كرهوا الثورة وها هم الآن يقتنعوا بالحلل  
الرائضة: كانوا ذوي ما وجرة وحكمة ولكن  
ولميتهم لم تكن خاصة كما كان إيمانهم  
بالشعب معدوما..»

فقال أوروريس:

وقال بصح أعوانك إنه كان يجب أن  
تبقى على رأس الثورة ولا تقبل رئاسة  
الوزارة؟  
فقال سعد زغلول:  
«كانت وورتي امتدادا للثورة على  
الستوى الرسمي..»  
فقال أنوم:  
«كنت أفضل أن تأخذ برأي أولئك  
الأغوا..»  
وهنا قالت إيزيس:  
«تبارك الألفية هذا الابن العظيم  
البربر الذي يهرن على أن شعب مصر قوة  
لا تقهر ولا تموت..»  
وقال أوروريس:  
«لكن أول مصري يتولى الحكم منذ  
المهد الفرعوني، وتوليته بإرادة الشعب،

الصموة أو ثورة سعد زغلول فكانت ثورة  
شعب مصر كله فقراء وأغنياء على  
الاحتلال الأجنبي.

فقال أبونم:

اعتقد أن الأغنياء لا يحبون الثورة.  
فقال سعد زغلول:  
«حرصت من أول الأمر على الاتحاد  
كقوة لا غنى عنها أمام العدو، ولكن ثبت  
لي أن الأغنياء يكرهون الثورة أكثر مما  
يكرهون الاحتلال..»  
فقال أبونم:

كان يجب أن تتخلص منهم.

فقال سعد زغلول:  
«قد انشقا على راسمين لأنفسهم  
طريقا إلى الاستقلال يناسب وقيتهم.  
وقال الملك مينا:  
«قد وجدت المصريين كما وجدت أنا  
ملكيتهم فاست في ذلك صديقتي  
وحليفتي..»

وسأل اصحتب وزير الملك زورس:  
رغم ما ثبت لك من زعامة بعد الثورة  
فإنك قبلت العمل في ظل الاحتلال قبل  
الثورة ولم تنصم للحزب الوطنى، ما  
تفسير ذلك؟

فقال سعد زغلول  
«كان الحزب الوطنى يدعو إلى مبادئ  
خيالية، من ذلك أنه لا مخالفة لأبعد  
الجداء مما يعنى بقاء الاحتلال إلى الأبد،  
ومنه مقاطعة الوظائف العامة لهيمنة  
الإنجليز عليها، لا يكفى في نظرى أن  
تطالب الناس بسلوك معين ولكن يجب أن  
يكون هذا السلوك ممكنا دون تهاون أو  
جحاف، وأن يصلح للتطبيق العام، وقد  
استطاع مصطفى كامل مقاطعة الوظائف  
لما كان يمهده الخديو وغيره به من مال،  
واستطاع محمد فريد ذلك لثرائه الواسع،  
ولكن ماذا يصنع أتباع الحزب؟ إن اتهموا  
مثل زعامتهم هكوا وإن خالفوها  
مصطرين خلفوا أتهمهم، فكيف يصعدوا  
إلى ذلك الجدا التعملى الذي يرض عن  
التطبيق ويورث الشهور بالإدب..» ثم كيم  
ترك الوظائف العامة للأجانب؟ وقد قبلت  
الهيئة الرسمية لأحراس من خلاها من  
استطعته من مقاومة ومن أداء عمامات  
لوطنى كان في أم الحاجة إليها وقد  
اعترف بذلك خمومي قبل انصقالى..»  
فقال أوروريس مخاطبا الجميع:  
«أعمال هذا الزعيم مودة في الكتاب  
أن يريد أن يطلع عليها ولكننا في هذه  
الحكمة لا نناقش إلا الأعمال الفاصلة.  
ثم خاطب سعد قائلا  
«زعم صموصك أن الثورة قامت وأنت  
في الخفى وأنت لم تفعل شيئا لإنعائها  
بل كنت دهشت لقيامها كحدث غير  
متوقع، فما قولك في ذلك؟

لم يكن بوسعك أن تفعل خيرا ما  
فعلت وأن يمش فصل لكلماتك، فادب إلى  
محكماتك مصحوبا بدعواتنا الفلبية.



ونادى حورس:

سعد زغلول،

فدخل رجل طويل القامة، مهيب  
الطعمة، قوى القسما، جذاب الملامح،  
وقدم في سيره حتى مثل أمام العرش.

ودعا أوروريس لكلام فقال.

ولدت في أيبانة، درست في الأزهر،  
تلمذت على يد جمال الدين الأفغانى،  
عملت محروا بالوفال المصرية تحت رئاسة  
واستاذية محمد عبده، انضمت إلى  
العرايين في ثورتهم، وفي أول عهد  
الاحتلال البريطاني اعتقلت كعضو في  
جمعية الاتحاد، وضلت من وظيفتى،  
وصلحت في المحاماة بالقضاء، اخترت ويرا  
للمعارف ثم وزيرا للعدل، وعقب انتهاء  
الحرب العظمى الأولى وإعلان الهدنة  
توليت زعامة الحركة الوطنية، وأقمتها على  
أساس اثنين من الوحدة الوطنية بين  
المسلمين والمسيحيين، ونابيت بحق مصر  
في الحرية والاستقلال، فقيمت في  
السلطات البريطانية ونفقتى إلى جزيرة  
مالطة، وما إن داح الحبر حتى قامت الثورة  
الشعبية احتجاجا على نفهى ومطالبة  
بالاستقلال، مما اضطر إنجلترا إلى  
الإجراح عنى، وسافرت مع أعضاء الوفد إلى  
باريس لعرض قضيتنا على مؤتمر الصلح  
فاغلقت أبوابه في وجهنا، ودخلنا في  
مفاوضات مع الإنجليز دون نتيجة، وحدث  
انقسام في الوفد، ورجعت إلى مصر، ثم  
نفيت مرة أخرى إلى جنر سيشل في  
الحيد الهندى ولم يفرج عنى إلا سنة  
١٩٢٢، وتوليت زعامة سنة ١٩٢٤ بعد

انتخابات شعبية، ودخلت في المفاوضات  
التي سرعان ما فشلت، واضطرت إلى  
الاستقالة عقب اغتيال أحد كبار الإنجليز،  
ثم التفت للأحزاب أمام دكتاتورية الملك،  
وتوليت رئاسة مجلس النواب، تاركا رئاسة  
الوزارة للديمقورين، ودارت المفاوضات من  
جديد ولكنى غارتى قبل أن أعرف  
نتائجها.

وتكلم أبونم فقال:  
«قد فعت أنا بأول ثورة شعبية في  
نهاية الدولة القديمة وفعت أنت بأثورة  
الشعبية الثانية بعد الألف السنن فأتت  
أزعم وخلفيتى وحبيبتى..»  
فقال الملك خوفو:  
«شمة بين أوروريس يجب أن يذكر  
وهو أن أنوم كانت ثورة العامة



على اختلاف أديانهم ولا يك رعيما مصريا أبدا، إن جاز أن يكون زعيما عربيا أو إسلاميا، بيد أننى رغم ذلك لم أضمر لك الرضى، واعتبرت تجنبك على نزوة شباب يمكن التسامح معها نظير ما قدمت من خدمات جليلة، لقد قامت الثورة العربية فانضلت نصلا كرميا وأجيطت إبحاطا ألينا، ولقامت ثورة ١٩١٩ فحققت في المآثر ما شهد به التاريخ ولكن تكرار اعدائها حتى اجتاحتها حريق القاهرة، ثم جاءت ثورتك فخلصت من الأعداء وآمنت رسالة الثورتين السابقتين، وبالرغم من أنها بدأت كإقلاص عسكري إلا أن الشعب باركها ومنحها تأييده، وكان يوسعنا أن تجعل من الشعب قاعدتها وأن تقيم حكما ديمقراطيا رشيدا، ولكن انشقاق الضلع في الطريق الاستبدادي هو المسئول عن جميع ما حل بحكمك من سلبيات وتباكات، فقال جمال عبد الناصر:

كان يلزمنا فترة انتقال لتحقيق الأسس الثورية..

فقال مصطفى النحاس:

حجة دكتاتورية وأهية طائلة سمعناها من أعداء الأمة، كانت علي يدك قاعدة وفدية شبيهة بالانتداب، فبذلك جردنا وعجزت عن إقامة بديل عنها فطلت البلاد تعاني الفراغ، ومددت يدي إلى المشيدين في الأمة فوقع في تناقض مؤسف بين عمل إصلاحى يعتبر في روحه امتدادا لروح الفراغ أسلوب حكم يشتمل امتدادا لحكم الملك والأقليات، حتى قضى أسلوب الحكم على جميع النوايا الطيبة؟ فقال جمال عبد الناصر:

فقال مصطفى النحاس:

وأغلبت الحرية وحقوق الإنسان، ولا أنكر أنك كنت أمنا للقراء ولكنت ذلك وبلا على أهل الرأى والمؤمنين وهم طليعة أبناء الأمة، أنهلت عليهم اعتقلا وسجنا وشنقا وقتلا حتى أدلت كراتهم وأهنت إنسانيتهم، وحققت إجاباتهم وخربت بناء شخصياتهم والله وحده يعلم متى يعاد شئنا، ولكنك الدين جعلت منهم ثورة ١٩١٩ أول المبادئ والإبداء في شتى المناشط السياسية والاقتصادية والثقافية، بل أفسد الاستبداد عليك أجمال فوارثك، انظر كيف هدد التعليم، وضع القطاع العام، وكيف قادك التحدي للقوى العالية إلى الهزائم الخجلة والفساد المدمر- ولم تجد من الرأى الآخر ولم تتسلل بتجديدهم بيد على، ومادا كانت النتيجة..، دوى وجلبلة وأساطير فارغة تقوم على تل من الخراب..

مصر الخالد شطبيته بجرة قلبم، واضطربت العديد من أبناء مصر إلى الهجرة التي لم يمارسوها إلا في فترات قهر عابرة؟

فقال جمال عبد الناصر:

ليس الذنب ذنبى إذا توهم بعض المصريين أنى الوحدة القومية تعنى الضياع لهم، وليس الذنب ذنبى إذا تحققت أعمال مجيدة على يدى بعد أن عجز السائقون عن تحقيقها، فالحق أن تاريخ مصر الحقيقي بدأ مع ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

وسرت هممة بين الجالسين مضت تشد حتى هتف أورويس:

النظام والهدوء أيها السادة أفسحوا صبركم إلى أول نيل.

فقال أنوم:

اسمح لى أن أحييك بوصفى أول ثائر من فقراء مصر، وإنى لأشهد لك بأن الفقراء لم ينعوا بالامان والأمل في عهد بعد عهدى، كما نعويا في عهدكم، ولا ما أخذ لى عليك إلا إصرارك على أن تكون ثورتك هتفا على حين كاد يبعد أن تجري الدماء فيها أنهارا؟

فقال الخالد خوهو مستحيا:

ما يقول هذا المحتاج؟

فقال أورويس بحدة،

تذكر أنك لست على عرشك، اعتبر.

فقال خوهو بخوشة

معدرة.

وقال الملك حتمس الثالث:

ليس الرغى من شتاتك العسكرية فقد أثبت قدرة فائقة في كثير من المجالات العسكرية، بل إنك لم تكن قادرا إذ شأى حال من الأحوال؟

فقال جمال عبد الناصر:

تعد على النصر على جيش متموق في التسليح وفريد بأقوى دولة على سطح الأرض؟

فقال أنوم ويرير الملك روس:

كان أويك أن تتجنب الحرب وأن تكع عن استنزاف الدول الكبرى.

فقال جمال عبد الناصر:

كان ذلك يتناقض مع أهدافى وقد خضعت أكثر من مرة.

فقال الحكيم بركات حتب:

إن عذر أقيع من الذنب.

وقال سعد زغلول:

لقد حاول أن تسحو اسمى من الوجود كما حاولت اسم مصر، قلت على إننى اعتليت الموجة الثورية عام ١٩١٩، فدعنى احتلك عن معنى الزعامات، الزعامات مة رامة وغريبة شبيهة، لا تتلق بإنسان مصادفة ولا كضربة حظ أعمى، والزعيم المصرى هو الذى يبايعه المصريون

وتخرجت في الكلية الحربية عام ١٩٣٨، واشتركت في حرب فلسطين، وحوصرت مع من حوصر في المألوجا، وقد هالتنى أعماق الوطن، فخطر لى أن أبقل الحركة إلى الداخل حيث يكمن أعداء البلاد الحقيقيون، وأشأت فى حذر وسرية تنظيم الضباط الاحرار، ووصدت الأحداث انتظارا للحظة المناسبة، ولانخفاض على النظام الحاكم، وقد حققت هدفى في ٢٣ يوليو ١٩٥٢، ثم تتابعت انتجارات الثورة مثل إلغاء النظام الملكى، واستكمال استقلال البلاد بالجاه التام، والقضاء على الإقطاع بإصدار قانون الإصلاح الزراعى، وتصمير الاقتصاد، والتخطيط لإصلاح شامل في الزراعة والصناعة يستهدف خير الشعب وتنويع الفروع الطبقي، ويتينا المد العالى وإنشاء القطاع العام متجهين نحو الاشتراكية، وكونا جيشا حديثا قويا، وشرنا الدعوة للوحدة العربية، وسأندنا كل ثورة عربية أو إفريقية، وأمنا قناة السويس فكانا مثارة وقوة للعالم الثالث كله فى نصالهم ضد الاستعمار الخارجى والاستغلال الداخلى، وحطى الشعب الكلال في عهدى بجرة وقوة لم يعرفها من قبل، أول مرة يثق طريقه لى الجالس التشريعية والجامعات ويشترى بأن الأرض أرضه ووطنه وطنه، وقد ترسبت بي قوى الاستعمار حتى انزلت بي هزيمة منكرة في ٥ يونيو ١٩٦٧ فنزلت العمل العظيم من جنوده وقصفت على بما يشبه الموت قبل مواهبة الاجل بثلاثة أعوام، وقد عشت مصريا عربيا مخلصا ومت مصريا عربيا شهيدا.

وتكلم الملك رمسيس الثانى فقال:

دعنى أعرب لك عن طمعي حمى وعاصى، وما جنى لك إلا اعتماد حمى لدائى فما أكثر أويهم الشبه التالى تجمع بيننا، لانا نيش عظمة تملأ الوطن وتناحور حدوده، وكلاما جعل من هزيمته نصرا هالقا كل نصروكلانا لم يقنع بما عاناه الجيدة الخالدة فأشار على أعمال الآخرين مع سيقوه، وقد ساندنى الحم نأن أوليت عرش مصر فى سيدة الأم، اما أنت فحكمتها وى أمة صميرة وسط عمالقة، وقد وهبنتى الوجهة طولا فى مصر وقوة فى الروح والجد وضمت عليك إلا باقيل هاجلك الأجل قبل الأوان

وتكلم الملك مينا فقال:

ولكن اهتمامك بالوحدة العربية فاق اهتمامك بالوحدة المصرية فحتى اسم

بالرغم من أن الشعب لم يحكم إلا ثمانية أعوام نظير تسعة عشر عاما استبد فيها الملك وأحزاب الأقلية بالسلطة، وبالرغم مما تعرضت له من اضطهاد وعسف ومحاولات متكررة لإغتيال حياتى فقد وهنتى الله إلى تحقيق خدمات غير قليلة، منها على سبيل المثال: إلغاء الامتيازات الأجنبية، إلغاء صندوق الدين، تأسيس جامعة الدول العربية، استقلال القضاء، استقلال الحامسة، قانون التوظف، منع الأجانب من تملك الأراضي الزراعية، التعمير على إصابات العمل والتأمين الإجبارى ضدها، الاعتراف بنقابات العمال فرص استعمال اللغة العربية فى الشركات الأجنبية، الصمان الاجتماعى، ديوان الحامسة، مجانية التعليم الابتدائى والثاموى والمتوسط، ديوان الحامسة.

وقال أنوم:

مرحبا بالثائر الشيمى الثالث فى حياة شعبنا، لقد استمد قوتك من إيمانك بشعبه وآله، وتسميت جوتك من إيمانك الطويل والنازعة، وقد عاش فقيرا ومات فقيرا

وقال الملك الحثالثون:

تقبل حبى أبى الزعيم، ذلك مثلى تضاميا لى الإنسان سائله الواحد، والإخلاص للمبادئ الطاهرة، ومثلنى أيضا فى حب البسطاء من الشعب والأخلاق، يوم هم خارج من التالى أو الكبرياء، ومثلنى تعرضت لعداوة الطاغية، ومثلنى السلطة وأسرى الانانية حيا وميتا ومثلنى أخيرا فأبى حيليت به من نشوة النصر وما ابتليت به من الجود والتهزيم، ولكن أنشر بالتمسك فى النهاية لنا..

وهنا قالت إيريس:

هذا إن أصيل من أبائى البررة فقال أورويس:

إنى أملك كل الجلوب مع الخالدين حتى نهاية المحاكمة، مع تصمى لى محكمتك متشفعا بأكرم تركية



وهتف حورس:

جمال عبد الناصر:

فدخل رجل طويل القامة واضح اللامع، عظم الشخصية، وعصى فى سيره حتى وقف أمام العرش.

ودعا أورويس لى الكلام فقال:

أنسى لى قرية نيل مع أعمال أسبوط، ونشأت فى أسرة فقيرة من أبناء الشعب فكانت مرارة العيش وشغفه.





فقال جمال عبد الناصر:  
لقد نلتك وطني من حال إلى حال  
كما نلتك وسائر الأمم الخفية على  
أمرها، وسوف تعالج السليبات حتى تزول  
وينشأ الزمن ويبنى ما ينفع الناس،  
وعند ذلك يقرر الناس بمعضمتي  
الحقيقية..

فقال مصطفى النحاس،  
ليتك تواضعت في طموحك، ليترك  
عصمتك على إصلاح وطنك وفتح نوافذ  
التقدم له في شتى مجالات الحضارة. إن  
تسمية القرية المصرية أهم من تبنى ثورات  
العالم، إن تشجيع البحث العلمي أهم من  
حملة اليوم، ومكافحة الأمية أهم من  
مكافحة الإمبريالية العالمية، والسماء لنقد  
صيعت على الوطن لفرصة لم تتح له من  
قبل فأول مرة يحكم ابن وطني من أبناء  
البلاد دون منازع من ملك أو مستعمر.  
ولكنه بدلا من مداواة ابن وطنه المريض  
دفع به إلى مباداة البطولة العماوية وهو  
ينوء بأمرضه فكانت النتيجة أن خسر  
الطولة وخسر نفسه..

وهنا قالت إيزيس،  
إن فرحين بروجع العرش إلى أحد  
أبنائها لا تقدر، إن أعماله الجلييلة  
تحتاج إلى جميع جدران المعابد  
لتسجلها، أما الأخطاء فلا أدرى كيف  
أذاع عنها..

فقال أبووزي،  
لولا كانت محكمته هي صاحبة  
الكلمة الأخيرة في الحكم عليك  
لاقتضانا العدل تأملا وعناء طويلين،  
فقبلين من قدموا لبلادهم مثملا قدمت  
من خدمات، فقبلين من أنزلوا بها ثمتما  
نزلت من إساءات، ولكن بالنسبة لأنك أول  
من يجلس على عرشها من أمتائها، وأول  
من يصرح لأجدابن برعايته فإننا نسبح  
لك بالجلوس بين الخالدين لحين انتهاء  
الحاكمية، وستسند بعد ذلك إلى  
محكمة موبدا بتركية مناسية.



ونادي حورس:  
محمد أنور السادات.  
فدخل رجل متوسط الغامة رشيق  
القد عميق السمرة، مضى في سيره حتى  
مثل أمام العرش.  
ودعاه أبووزي للكلام فقال،  
ولدت في قرية ميت أبو الكوم،  
وبشأن في أسرة فقيرة، ووجدت عناء لا  
يسهان به كي أستمع في المدرسة، وقد  
تشعبت بروج الوطنية منذ صغري،

وشاركت في المظاهرات الوفدية، ثم  
أمكنني الالتحاق بالكلية الحربية التي  
فتحت أبوابها لأمثالي من أبناء الشعب  
بعد معاهدة ١٩٣٦، ومنذ تخرجي هانني  
وصنع الجيش تحت سلطة البعثة  
العسكرية الإنجليزية، وخاومتني أفكار  
للدعوة لثورة مسلحة ضد الإنجليزي  
فأنشأت أول تنظيم سرى في الجيش عام  
١٩٣٩، وقد اتصلت بالأخوان المسلمين  
وأعجبت بنشاطهم، كما حاولت إثارة  
الحرب الاتصال بالألمان، وعقدت العزم  
على اغتيال المتعاونين مع الإنجليزي من  
المصريين، وقد قبض على نتيجة لذلك،  
وحوكت، ولكني نلت البراءة، بل ورجعت  
إلى خدمة الجيش، وفي ذلك الوقت  
اتصل بي جمال عبد الناصر وضممني إلى  
تنظيمه، وقامت الثورة في يوليو ١٩٥٢،  
وتعاقبت الأحداث حتى وافى الأجل  
جمال عبد الناصر خلفته في منصبه  
في طرف بالغ الدقة، وكنت على علم  
بالسليبات التي نخرت في عظام عهد  
عبد الناصر فتوصلت لإحداث ثورة  
جديدة تنقذ البلاد من الموت الذي تهدد  
فيه، فصبى على مراكز القوى، واتجهت  
على نهج نحو الألمان وسواة القانون  
والديمقراطية، وفي ٦ أكتوبر ١٩٧٣،  
هاجأت الدول المحتل، بل فاجأت العالم  
بهجوم لم يتوقعه أحد، وحققت انتصارا  
أنقذ الروح العربية من القشوط كما  
انقشلت الشرف من الهوان، ثم تسلمت  
بمعازاة أخرى بالقصاص بلد الأعداء  
داعيا إلى تصفية الموقف بالكلمة لا  
بالسلاح، وامتسح وسعي الطويل إلى  
معاهدة كامب دافيد، وكادت بالانفصاح  
لإنقاذ الاقتصاد الوطني، وتقدمت في  
الديمقراطية خطوات جديدة، ولكن  
اعترضتني عقبات غيبت من حساباتي،  
فقد انخرطت المعارضة، وهب التيارات  
الدينية يهدد بالبنف، فوهجت من  
الجميع موقفا حارما لا مفر منه، ولكن  
الأمر انتهت باعتيالي في ذكرى اليوم  
الذي حققت فيه لوطني عزة النصر  
وتكلم الملك خلائقون فقال،  
أحيك كداعية من دعاة السلام، ولا  
أدش لك اتهام خصومك لك بالخيانة فقد  
تلقيت منهم نص التهمة لذات الميبي،  
فقال تحمسن الثالث:  
يذكرني انتصارك بالانتصار رمسيس  
الثاني الذي كلال بمعاهدة سلام والزواج  
من ابنة ملك الحيثيين!  
فقال رمسيس الثاني  
الحاكم مسئول ألا عن حياة شعبه،  
ومن هذا المنطلق يقوم على الحرب أو  
يبتح إلى السلام.

فقال أنور السادات  
وقد أمنت بصدق معكم الاستمرار  
في الحرب.  
ما أشبهك بي أيها الرئيس في حب  
الرفاهية لشعبك ولتصلك، كالأنا عشق  
الأبهة والتعظيم والعظمة والقصور، غير أن  
زمني سمح لي بأن أنهل من النعيم بلا  
كبر، أما زمانك فأذاك الحلو والمر، دعني  
أعرب لك عن حبي وعظمي.  
وقال الملك حور محمد:  
توليت الحكم في ظروف تشبه في  
بعض مناحيها الظروف التي تحدثني أول  
حكمي عقب وفاة الملك المحور أي  
وأعترف بأنك قمت بأعمال جليلة،  
ووجهت ضربات صادقة، ولكنك تهاونت  
في معاقبة الفساد والمفسدين حتى  
أشكوا أن يحيلوا انتصارك إلى هزائم  
عرب لك عن حبي وعظمي.  
شملت تشجيع العاملين عن الضرب  
على أيدي الحوريين،  
فقال أنور السادات:  
لا قيام لدولة إلا على الانضباط  
والأخلاق.  
هنا جمال عبد الناصر،  
كيف هان عليك أن تقف من ذكراري  
ذلك الموقف العاد؟  
فقال أنور السادات:  
أبحث ذلك الموقف مصطرا إذ قامت  
سياستي في جوهرها على تصحيح  
الآخاذه التي ورثتها عن عديدي.  
ولكنني عهدتكم راضيا ومنجمعا  
وصديقا؟  
من الظلم أن يحاسب إنسان على  
موقف اتخذته في زمن رعب أسود خاف فيه  
الأب ابنه والأخ أخاه.  
وما النصر الذي أحرزته إلا لثمة  
استعدادك الطويل له!  
فقال أنور السادات:  
ما كان كهنزيم منك أن يحقق  
انتصارا، ولكني أرجعت لشعب حريته  
وكرامته ثم قدته إلى نصر أكيد.  
ثم تتأملت عن كل شيء، في سبيل  
مبين فطعتن وحدة العرب طمعة قاتلة  
وقصبت على مصر بالانزلال والغربة..  
فقال أنور السادات:  
لقد ورثت عنك وطننا يترشح على  
هاوية الفناء، ولم يد لي العرب يد عون  
صادقة، ووضعي لي أنهم لا يرميوني لا  
موتنا كما لا يرميوني في قوتنا كي نظل  
راكعين تحت رحمتهم، فلم أترده في اتحاد  
فراي..  
واستبدلت بعلاق طالما ساندنا  
علاقا طالما ناصينا العداء.

- اتجهت إلى العملاق الذي بيده  
الحل، وصنفت الحوادث طنونا!  
والدلت في الانفتاح حتى أغرقت  
البلاد في موجة غلاء وفساد، وبقدر ما  
كان عهدي آمنا للأغنياء والصلوص،  
فقال أنور السادات:  
لقد عملت لخبر مصر فولب  
الانتهازيون من وراء طوري!  
وتكلم مصطفى النحاس فقال،  
حاولت اغتيال وكنت تنجح لولا  
العناية الإلهية، ثم هددت حيالك نتيجة  
للاغتيال، ترى ألا زلت تؤمن به؟  
فقال أنور السادات:  
نحتاج لأضعاف عصركا كي نتعلم  
الحكمة.  
فقال مصطفى النحاس،  
- رسمت صن مصوتك إلى  
الديمقراطية فهدشت ثم تبين لي أنك  
تريد حكما ديمقراطيا تمارس على رأسه  
سلطانك الدكتاتورية!  
أردت ديمقراطية ترعى للقرية أحمقا  
ولأربوة السادات،  
هذه ديمقراطية قبيلة  
فقال سعد زغلول،  
حق، ولكن الديمقراطية  
الحقيقية تؤخذ ولا تسنح فلا تعال في  
لوم..  
وقال مصطفى النحاس:  
واشتدت الصائفة بالناس، وحدث ما  
يحدث عادة في مثل تلك الظروف من  
أعراض الفتن والتطرف، فتبركت الأمور  
تستفحل كأنك لا تبالي، ثم انفجرت بغضب  
فاقبت بالجميع في السجون فأضمت  
المسلمين والمسيحيين والشعترين  
والمعتدلين، وانتهى الأمر بمأساة المنصه..  
فقال أنور السادات،  
وجدت أنه لا مفر من ضربة حاسمة  
التي اقنوضت لوتوك أن تجر البلاد إلى  
حرب أهلية.  
فقال سعد زغلول،  
عندما يقصبت الحاكم حقوق شعبه  
يخلق منه خصما، وعند ذلك تهدر قوة  
البلاد الأساسية في مراع داخل بدل من  
أن توجه للعمل الصالح  
وهنا قالت إيزيس،  
معضل هذا الأمر زلت الروح إلى  
الوطني، واستردت مصر استقلالها الكامل  
كما كان قبل الغزو المصري، وقد أخطأ  
كما أخطأ سواء وأصاب أفضل مما أصاب  
كثيرين.  
فقال أبووزي:  
أرحب بك، أيها الخالد من أبناء مصر،  
وسوف نقص بعد ذلك إلى محمكتك  
الأخرى موبدا بتركية مشرفة منا. ■

## كتب إسبانية

السياسيات إلى حرب التراق، وكيفية تطور هذه العلاقة بين التسلسل في أحياء وانتفاص في أحياء أخرى، ومستقبل هذه العلاقة وأهم القضايا المثارة على الأجندة الأطلنطية.

### IDENTITY Y OPCION: DOS FORMAS DE ENTENDER LA POLITICA (الهوية والاختيار، أسلوبان لفهم

السياسة)

أجبار هيرنانديز، سوسانا وتشوليا روريجو، أليسا

دار النشر: أليسا، ٢٦٨ صفحة



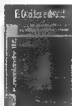
يطرح الكتاب إشكالية الهوية كمحدد للسلوك السياسي بشكل جاسم في جانب جماعات من الأفراد في مواجهة الطيف الانتخابي الذي يمثل المحدث القوي للسلوك السياسي، كمنهج وأسلوبين لفهم الطاهرة السياسية الناتجة عن السلوك السياسي للأفراد. الأفراد يتصرفون جماعياً عندما يتشكّل الأمر بوضع طبيعي دفعا عن مصلحة هذه الطيقة، أو دين عندما يتعلق الأمر بمصالح جماعة دينية، أو طائفية منهية عندما يهدد الأمر مصالحها. هذا الأسلوب لفهم السلوك السياسي لعند من الأفراد سواء كان هذا السلوك سلمياً أو عنيفاً، شريعياً أو غير شرعي يكون شارحاً وكاشفاً في كثير من الأحيان للظاهرة السياسية، ولكن الأمر لا يخلو من التعصبات والحيارات المردية التي تؤثر على السلوك السياسي للفرد خاصة سلوكه الانتخابي في ظل النظم الانتخابية المتعددة في العديد من الدول الليبرالية. فالتعصبات الشخصية التي قد تكون خليطاً من الانتماء لجماعة دينية وطبقية وطائفة معينين تستطيع أن تحسم وتقرر الطاهرة السياسية بشكل أفضل. من هنا يتعرّض هذا الكتاب إلى الهوية الجماعية في الماضي كانت أكثر تأثيراً على السلوك السياسي للأفراد أكثر من الآن. حيث زاد الاتجاه نحو الصردية والتعصبات الشخصية، ولكن هذا لا يضر إيمان الهوية الجماعية أكثر منه يصر إلى ضرورة الأخذ بين التعصبات لسلوك السياسي المواطن في أحد الأنظمة السياسية.

### EL OCCIDENTE DIVIDIDO: LAS RELACIONES BILATERALES ENTRE ESTADOS UNIDOS Y EUROPA

(القرب المنقسم، العلاقات الثنائية بين الولايات المتحدة وأوروبا)

مارتا أوتشمان

جامعة أوتريوفا متروبوليتا المكسيك، ٢٤٨ صفحة



منذ انتهاء الحرب الباردة بسقوط الاتحاد السوفيتي وانهار حائط برلين، شرع النظام الدولي في اتخاذ شكل جديد لم يطرا على العالم من قبل سوى في فترة قديمة وهو اتخاذ شكل الأحادية القطبية التي تسيطر عليه الولايات المتحدة الأمريكية التي تقرر مفهومها للسلام فيما يسمى بـ Pax Americana. وإن لم يكن هذا الشكل شديد الوضوح في بداية التسعينيات مع إعلان الرئيس الأمريكي، جورج بوش، الأب، قيام النظام الدولي الجديد، حيث أكد الكثير من المحللين أننا نمرحلة من السيوالة والفضوض المعقدة، وتردت الولايات المتحدة في الاضملاص بدورها كقطب أوجد مهيم على النظام الدولي حتى أحداث الحادي عشر من سبتمبر التي أرست مبادئ جديدة لنظام الأمن العالمي الجديد لم يشهد التاريخ نظيراً لها من قبل، وأهمها مبدأ الحرب الاستباقية كوسيلة للدفاع الشرعي عن الأمن في ظل بيئة سياسية وقانونية بين العديد من قضاء القانون الدولي.

يري البعض أن الحرب كنزة واحدة ولأبد من التماثل مع من هذا التناقض. وقد أصبح خطاً هذه الريبة في أثناء الحرب على العراق فقد بدأ العرب منقسماً على نفسه بين الولايات المتحدة وحلفائها الأوروبيين المجدين للأجندة الأطلنطية على نظيرها الأوروبية وعلى رأسهم بريطانيا، في مواجهة المحور الغربي - الأتالي الرافض لتحرير، وبدا الأمر كأنه شكل شكل من أشكال مقاومة الهيمنة الأمريكية كقطب أوجد في النظام الدولي وإشعار العالم بأن هناك فقياً آخر يتولى من مرحلة أخرى إنه الدول الأوروبية الهداف لتحويل أوروبا من دول قومية إلى وحدة اقتصادية وعسكرية وسياسية واحدة تعيد أوروبا مجدداً مقفولاً.

من هنا يتطرق هذا الكتاب لقواعد العلاقة بين نظري الأطلنطية منذ

مروراً بالأدب والفن ووضع المرأة حتى أداب الطعام، دون تجاهل الجوانب الأكثر إثارة للجدل في الإسلام.

### CONVERSACIONES CON PLATON

(محاورات مع أفلاطون)

دونالد مور

دار النشر: بابولوس إيبيريا، ١٥٧ صفحة



يقدم الكاتب دونالد مور وهو من المتخصصين المعاصرين في الأفلاطون وعلمسته وأفكاره منها وأسلوباً جديداً في قراءة تراث الأفلاطون ومحاوراته وسيطرته الدائرية من خلال الاعتماد على محاورات مختبئة بين أشخاص من أزمنة مختلفة سواء قديمة أو حديثة مع خبراء معاصرين. ولد الأفلاطون في أثينا عام ٤٢٨ قبل الميلاد ونشأ في عائلة أرستقراطية. مر في حياته بمراحل مختلفة وطرق برؤيته وفي محاوراته العديد من الأفكار ذات الأهمية القصوى اليوم مثل علاقة السياسة بالعالمية، وتقسيم البشر إلى معادن من حيث نشأتهم، وشكل وتقسيم المدينة الفاضلة، حكم الفلاسفة، برامج تأهيل الحكام الملائمة، وكذلك السيوعية كضرورة لتأسيس المدينة الفاضلة.

هذا الكتاب يتيح لنا فرصة السمر إلى اليونان القديمة وتناول التراث الفلسفي اليوناني لهذا الفيلسوف من جانب المتخصص في أفكاره دونالد مور وكتاب كستيباب، Zen and the Art of Motorcycle Maintenance، روبرت بيرسج، Robert Pirsig.

يبدأ الكتاب بعرض مقدمة بسيطة عن حياة الفيلسوف، اليوناني أفلاطون ثم يدخل روبرت بيرسج في محاوره معتدلة وتجريدية مع أفلاطون تناولت العديد من الموضوعات بداية من أسطورة الكابريزا مروراً بوضع المرأة والحرة والحب عن الحقيقة والحد واليقينانية. يعتبر هذا المنهج أسلوباً جديداً للتعامل مع التراث سواء من خلال عملية الرصد التاريخي لأحداث تاريخية وإعادة قراءة النص الفلسفي من جديد في ظل إطار اجتماعي وثقافي وسياسي وحضاري مختلف عن تلك الأطر التي أنتج في ظلها الأفلاطون هذا النص.

### CONVIVIR CON EL ISLAM (التعايش مع الإسلام)

راهانيل جومبير ريزير

دار النشر: أليسا، ٢٦٦ صفحة



راهانيل جومبير هو كاتب له اهتمامات تاريخية وفلسفية من منظور تاريخي، له مؤلفات أخرى مثل مقدمة لكتابه إيفريزيا، موجز تاريخي للثقافة الأوروبية. في هذا الكتاب يتناول راهانيل واحدة من أهم القضايا المثارة على الساحة الأوروبية وكذلك في العلاقات بين الشرق والغرب سواء على المستوى السياسي أو على المستوى الشعبي. هالكاتب يتطرق من هرضية أن الوجود الإسلامي في البلاد غير الإسلامية في قلب القارة الأوروبية لا يمكن تجاهله سواء كان هذا التواجد ظاهرة لشهود العيان من خلال الآثار الإسلامية في شبه الجزيرة الإيبيرية، صقلية، فرنسا، تركيا، ودول البلطيق التي كانت جزءاً لا يتجزأ من الإمبراطورية العثمانية، أو هذا التواجد المتمثل في أقلييات تعيش في قلب المجتمعات الأوروبية مثل طائفة المسيحية كموطنين يحملون خسية هذه البلاد. لكن منذ ما حدث في الحادي عشر من سبتمبر وهناك العديد من علامات الاستهزاء التي تثار حول سلوك المسلمين في هذه البلاد، وزاد التوتر داخل هذه المجتمعات منذ تعجيرات مدريد وكذلك تعجيرات لندن، وأصبح المجتمع في حالة ريبية من هذه الأقليات وهذا ما يدفع المجتمع دفعا نحو تعصبات الجماعة الوطنية، لأسبابا عندما يكون الأمر متعلقاً بخصوصية أقلييات تصمد خصوصياتها مع قوانين هذه الدول. من هنا يطرح الكاتب ضرورة العمل على إيجاد مساحة من التوافق التي تسمح بالعيش المشترك، لأسبابا أن هذه الأقليات أصبحت جزءاً لا يتجزأ من نسيج الجماعة فإسلام في أوروبا حقيقة يصعب تجاهلها.

من هنا يلجأ الكاتب لتقديم الإسلام بشكل مختلف لغير الصورة التي انطبع بها الإسلام في الفترة الأخيرة نتيجة لتعصبات وإشاعر بعض المسلمين كوسيلة لتعايش النظم على التعارف الإنسان بدلاً من الركوز إلى التجاهل أو المواجهة العنيفة. يقدم الكاتب الجانب المعاصر في الإسلام في التنازع ويعرض جوانب متعددة متنوعة للثقافة الإسلامية بداية من الحب في الإسلام

الحداثة. وكذلك الثورة الفرنسية التي يعتبرها الكثيرون نقطة تاريخية فاصلة في تاريخ العالم كله.

## HISTORIA DE LAS RELIGIONES

(تاريخ الأديان)

فيلارمو جوراباس

مكان النشر: برشلونة، ٤٤٨ صفحة



يقدم الكتاب في هذا الكتاب باسعار تاريخية للأديان التي مرت على البشرية منذ العصور القديمة إلى اليوم، ويقوم في ذات الوقت بطرح إشكاليات فكرية حول التنوع الذي حدث للبشرية في اعتناق الأديان، وهو يلجأ في ذلك لتصنيفات زمنية وجغرافية، محاولاً تقديم تفسير لهذه التصنيفات التاريخية للحقب الزمني.

يبدأ الكاتب بتناول الديانات الوثنية القديمة سواء في بلاد ما بين النهرين ومصر وشمال أفريقيا التي طورت في الأمريكتين في الفترة التي سبقت اكتشاف كريستوفر كولومبوس أميركا الشمالية، وإقام السكان الأصليين لهذه القارة باعتمادها، مروراً بأهل اليونان والرومان القديمة.

ثم تنتقل الدراسة لتتناول مجموعة جديدة من الأديان المعاصرة التوحيدية والتي ترتبط بالصلح الأبدى للبشرية اليهودية، المسيحية والإسلام، إلى جانب ديانة الزرادشتية (الديانة الفارسية القديمة المنسوبة إلى زرادشت الذي طهر حوالى منتصف الألفية قبل الميلاد، والمأثوية وهي بدعة مسيحية ثانية أسسها، ما بين ذلك، في القرن الثالث الميلادي ويقدم على الصراع بين الخير والشر.

ويتناول في الفصل اللاحق الأديان الخاصة بالارتباط من اليهودية والخلود والمشرقة في الهند، ومعتقدات الشرق الأقصى، الهندوسية، البوذية، الشنتوية، وأخيراً يتختم الكتاب هذا الكتاب بالتطورات الحديثة التي حدثت لهذه المجتمعات لتدبر دورها في حياتهم، وعلاقتهم بالإنسان، وتطور حركات دينية جديدة لتحذو خطى حواس وتدعوا لنفسها الصديق في مواجهة الآخرين

معمية إلا أن هذا الكتاب يتناول قضية صاعدة على العديد من المجتمعات في الغرب والشرق في تساؤل صريح حول حدود الخصوصية التي تمتصتها بها المجتمعات المحلية في مواجهة المجتمع ككل. فأينما بها حركة أبناء الانفصالية ورفضها في الحكم الذاتي، والحكومة الفيدرالية الأمريكية تواجه مشاكل عدة في مواجهة مجتمعات الأميرش التي ترفض الحياة القائمة على التكنولوجيا الحديثة.

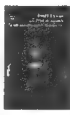
ويبين النظرية والتطبيق وخصوصية كل مجتمع في التعامل مع هذه القضية تواجه الليبرالية تحديات عديدة تعقدتها في كثير من الأحيان البريق الذي يعطيها كحل على الجميع المجتمعات.

## HISTORIA DE EUROPA: DESDE LAS INVASIONES AL S. XVI

(تاريخ أوروبا: منذ غزوات القرن السادس عشر)

هري ريرن

مكان النشر: المكسيك، ٤٧٧ صفحة



يتناول الكاتب في هذا الكتاب فترة العصور الوسطى في المجتمع الأوروبي التي تسمى عصور الظلام، ويضع الكاتب إطاراً زمنياً يتناول خلاله حالة المجتمع الأوروبي منذ ظهوره، فهو يستعرض للمجتمع الأوروبي منذ غزوات البربر لأوروبا في القرن السادس عشر تحديداً عام ١٥٥٠ ميلادياً وانتهاء بالوصول إلى الثورة الفرنسية.

عموماً يوجد اتجاه جارف لدى المؤرخين لاستخدام مناهج جديدة لعرض الأحداث التاريخية بشكل يتسمد بعض الشيء عن تاريخ الملوك والأمراء والتاريخ السياسي والعسكري الذي سيطر لفترة طويلة على مناهج التاريخ، ويتطرق إلى تاريخ المجتمعات والبسطاء والتاريخ الاجتماعي لهذه المجتمعات البشرية، وكانت هناك العديد من المحاولات لتحقيق ذلك ولدت إلى الكتب عن العديد من المعالقات التاريخية ومقائل مرعبة تحدث عنها تاريخ الملوك والأمراء، كما كان كاشاً في كثير من الأحيان عن غموض كتاب القارئ لتاريخ السياسي والعسكري للبلاد.

يحاول الكتاب تبلياً لمنهج الكشف في الجذور الاجتماعية لتطور فكرة الرأسمالية والتطورات التي سبغت المجتمع الأوروبي مع وصولاً للحظة

الاسيانية للمشاركة في حرب لصالح المصالح الأمريكية على غير رغبة الشعب الأسياني.

في الواقع إن هذا الخطاب السياسي ضد الأمركة ليس حديث العهد ولكنه قديم للغاية قدم العلاقات الاسيانية الأمريكية، لاسيما إن بداية من التمرد الأمريكي في نطاقها، إلى القليل كقوة إقليمية حديثة في نهاية القرن التاسع عشر على حساب اسبانيا التي كانت تترنح في مواجهة القوى الاستعمارية الأوروبية سواء في كوبا أو الفلبين، وتشتبك هذه المساع الأمريكية مع الشاعر في أمريكا الجنوبية، ويعد الأمر برمتة لأسباب وجدوا تاريخية ساهمت في ترسيخ صورة سلبية ذات ملامح محددة لدى الشعب الأسياني على مدار عقود طويلة في الأمركة والولائيات المتحدة الأمريكية تبدأ بحرب ١٨٩٨ بين الطرفين.

من هنا يرصد الكتاب هذه الجذور التاريخية، ومابعه هذه العملية السلبية، وخصائصها وتطورها، ويوصمه لتاريخ تكوين هذه الصورة.

## EL LIBERALISMO EXALTADO

(الليبرالية المجددة)

مارتا زويس جابيس

دار النشر: فوندامنتوس



تواجه الليبرالية الليبرالية العديد من التحديات في عصور الحركة وعلى مستوى النظرية في الفترة الأخيرة لاسيما في ظل المواجهة الدائمة بين المجتمع في مواجهة الفرد. خاصة أن الليبرالية تؤكد على الفردانية، وفي حين تعتبر الدولة القومية هي الوحدة السياسية الأساسية في الغرب، فإن تكوين هذه الوحدة السياسية كإسناد للجماعة الوطنية عادة ما يعطد بالخصوصية التي توجد لدى المجتمعات والمجتمعات المحلية، خاصة إذا كنا بصدد مجتمع متنوع وشرامي الأطراف مثل المجتمع الأسياني.

والكاتب يتناول التجزئة الداخلية للاتحاد الفيدرالي في المجتمع الماخذ تاريخياً بين المجتمعات الاسيانية شمالاً وجنوباً في الفترة ما بين ١٨٣٣ و ١٨٣٣ وكيفية التعامل مع هذه المجتمعات الاجتماعية، وعلى الرغم من أن هذا الكتاب يعتمد على الجانب التاريخي بشكل مكثف في تجربة تاريخية

## LA MANO INVISIBLE: EL GOBIERNO DEL MUNDO

(اليد الخفية، حكومة العالم)

جورجي استانبيا

دار النشر: يونكو لاكتورا، ٢٤٠ صفحة



يستعرض الكتاب لأشهر الثورة التكنولوجية الكبرى في العالم والمولة على معنى القوة والسيطرة على العالم، فقد تميزت هذه العاصي للقوة مع الماضي، في الماضي كنا نستطيع أن نتكلم مع القوة العسكرية والعز والأيام إلا أن فاقوة الاقتصادية تحديداً أصبح لها شأن كبير في إدارة العلاقات على المستوى العالمي بين الدول وحتى الأفراد، كذلك أصبح لقوة معان كثيرة تتعلق بما أسماه جوزيف داي بالقوة الخفية أو القوة الناعمة والمتعلق بالسيطرة على قلوب وعقول الأفراد، والسيطرة على تعصباتهم الشخصية وما يقدم النظام الاقتصادي العالمي والوعود هذه هي اليد الخفية التي يتحدث عنها الكاتب عن هذا الكتاب، ربما تحتل بعض هذه القوى من تلك التي تحدث عنها داي سميت ولكنها تطرح معنى جديداً للقوة وممارستها والسيطرة على العالم، في محاولة لإجابة على التساؤل الكبير الذي يطرح أكثر من مقل على إلى الإجابة عليه، من يحكم هذا العالم؟

## EL ANTIAMERICANISMO ESPAÑOL

(ضد الأمركة الاسيانية)

اليساندرو سيرجيس

دار النشر: سينتيسيس، ٣٠٤ صفحات



في السنوات الأخيرة كثر الحديث داخل أسبانيا عن رفض الهيمسة الأمريكية والسياسة الليبرالية في المظاهر والأمركة بكل ما تعضد من المظاهر للحياة لاسيما بعد التسلسلات الأمريكية الليبرالية بعد الحادي عشر من سبتمبر والحرب، على أفغانستان وإلا ذلك الحرب على العراق وبمعية ورئيس الوزراء الأسباني، خوسيه ماريا أسنار، للرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش، والمحافظين الجدد في هذه الحرب، وإرسال القوات

تَهْتَمُ وجهات نظر، بتعريف قرائها بجديدي المكتبة العربية والعالمية، وتشكر الناشرين والكتّاب والمؤلفين الذين يساعدونها في ذلك، وتدعو قراءها لإرسال مراجعاتهم النقدية لما يرونه من إصدارات. ٥٥

## الدين والسياسة

يوسف القرضاوى

القاهرة دار الشروق، ٢٠٠٧، ٢٤٢ صفحة



موضوع الدين والسياسة والعلاقة بينهما في المجتمعات الإسلامية أحد أهم المسائل القديمة الحديثة في أممنا، وهي تتناقل في كل عصر بصور وأشكال مختلفة، وأحياناً بطرق أكثر تخلفاً ورفقاً من السابق، وقد تشبّثت الأهمّيات بين الطرفين على الجانبين بالتكفير والخروج من الملة.

والكتاب يضم خمسة أبواب، يخصص الأول منها لتحديد المفاهيم، مستمعاً مفهوم كلمة السياسة في التراث الإسلامي وعند العقهاء والعلاصمة والكتّاب الغربيين. كما يعرض لفهوم كلمة الدين لغة واصطلاحاً، ويناقش في الباب الثاني العلاقة بين الدين والسياسة عند الإسلاميين والعلمانيين، وفي الثالث ينتج فكرة الدولة في الإسلام ومرجعيتها وأصلها من تعاليم الشورى والميثاقية، ويبحث الإنسان، ويرد في الباب الرابع على بعض دعاوى العلمانية، ويخصص الأخير للعلاقة بين الأقليات الإسلامية والمجتمعات التي تعيش فيها في العرب. والخلاصة التي يقدمها المؤلف هي أنه لا انفصال للسياسة عن الدين ولا للدين عن السياسة، ومن الجبر للسياسة أن يدخل فيها الدين ويوجهها إلى الحق ويتنقّصها إلى الخير ويعصمها من الأضرار والظلم، كما أنه في الخبران تدخل السياسة في الدين لتخضع قوة هادئة لصر، إلى طريق العدل والشورى والتفكير، وتفتحها على قسرة الحق.

ويؤكد على أن هذا هو ما مضى عليه تاريخنا طيلة ثلاثة عشر قرناً، حتى دخل الاستعمار الغربي بلاد المسلمين وتحكم في مصائرهم، ووجه التعليم والتثقيف والإعلام كيف يشاء من هذه الزاوية يدافع المؤلف من حق الإسلاميين أن يكون لهم حزب سياسي، وهو يرى أن هذا الحزب سيكون له برنامجاً الذي يحدد فيه رؤيته ورسالته وأهدافه وأسسها لتحقيقها، وأنه سيعمل في ظل الدستور والقانون ولا كائن مرجعيته مستمدة من الشريعة الإسلامية، ويشير إلى أن الإمام علي بن أبي طالب سمح للخوارج المغاربة لنكحهم أن يكون لهم حزب سياسي، ولا يرفض الدكتور القرضاوى أن يكون للأقليات تدوّرهم

حزبهم السياسي، ويشدد على أن دولة الإسلام هي دولة مدنية مرجعيتها الإسلام، وليست دولة يحكمها «رجال دين»، كما كان الحال في أوروبا العصور الوسطى، وقيام الدولة الإسلامية على عقيدة الحاكمية لله لا يعني أنها دولة دينية، فهذه الدولة تتواءم بالضرورة على جوهر فكرة الديمقراطية وإن اختلفت تطبيقاتها عما هو معمول به في الغرب، أما الأقليات فقد نطمت العقيدة حقوقهم وحترمتهم الأمان على أوطانهم وأعزّاهم، فصاروا مواطنين مثلهم مثل المسلمين من أبناء الوطن، لهم ما لهم وعليهم ما عليهم

## سلافة النديم

عبدلتم إبراهيم الجعفي

القاهرة المؤلف، ٢٠٠٧، ٣٦٧ صفحة



تراث عبدالله النديم القديم الفكرى متعدد الحواس، فمنه التراث الصمعي، وخطه ومؤلفاته التي كتبها في فترة احتفائه من عبور الإنعزال الدين كانوا يتعمق أثره سبب كتاباته التي أشعلت روح الثورة على زمن عباسي، وقد جمع شقيقه عبدالفتاح نديم هذه الآثار في خمسة منتهيات، الرسائل الأدبية، منتهيات التنكيت والتبكيك وقد استعان في جمعها من مقالات الأعداد الأولى من مجلة التنكيت والتبكيك، منتهيات الأستاذ، منتهيات علمية، منتهيات متفرقة، وبشكل عام فإن ما كتبه النديم كان انعكاساً لتطبيقات التي شغلته وانتعل بها عصره، وكثير منها يدور حول الإصلاح السياسي، وتربية أحوال أبناء البلد اجتماعياً واقتصادياً وتعليمياً، وكان منهج النديم في العموم هو عدم الاندفاع في تقليد الأوروبيين والأتاين بالحصانة الغربية، وإنما ما لاحت في الأمكنات الثقافية وإلهام البلد وتراثهم الديني والتاريخي، وتمثل مقالته «عصر تفرج، نموذجاً دالاً على هذه العري الحورية» وفيها يتحدث عن شاة من أنماه العلاخين سماء زيبعت، أرسلته الحكومة المصرية لاستكمال تعليمه في أوروبا، وبعد أن أتم دراسته هناك عاد إلى بلاده متبرعا معاداة قومه وأحلافه، ولم يكتف بذلك، بل أخذ يدم أهله وبلاده ونسب لعنة العربية

وقد وصف النديم هذا الشاب بأنه لم يتهدب صغيراً ولم يعرف حقوق وطنه ولا حق لفته، ولا قدر شرف أمته، كما نمته بالنديم الجاهل في حق الوطن.



## النوبة القديمة في صور

محمد رياض كور عبد الرسول القاهرة: دار عين للدراسات والبحوث ٢٠٠٧، ١٠٠ صفحة



المادة الأساسية في هذا الكتاب هي الصور، وقد التقطها الزمان عبر ثلاث دراسات ميدانية قام بها إلى النوبة القديمة استهدفت محط التراث الأصيل لبلاد النوبة قبل أن يندثر تحت بحيرة الدماء العالي.

وعملت الدراسة الأولى قريت سياة والعلاني لمدة أسبوعين في يناير ١٩٦٢، وكان الاهتمام بموجها في الأساس إلى الكنوز والتحف، وهما من القليات النوبة الأساسية الكبرى، وجرى الدراسة الثانية في ستمير من نفس العام واستمرت شهراً، قام خلاله الباحثان بدراسات جغرافية وأثرولوجية، من دهميت في شمال بلاد الكنوز، إلى قرشة وسياة ثم المالكي والسجاري في الطيفات، وأخيراً المروثونية في بلاد الفرجية في جنوب النوبة المصرية.

وكانت الدراسة الثالثة في منطقة كروكو والمالكي والمخلائية وجرى طوال شهر يناير ١٩٦٣ والكتاب يضم خمسة أقسام: يستعرض القسم الأول المظاهر الطبيعية في النوبة القديمة، ويتناول القسم الثاني: التوسيع في تكوينه القبلي والعشائري، ويخصص القسم الثالث للسكن النوبي معمارياً وهو يتميز سمات بيئية خاصة، ويواصل القسم الرابع أشكال النشاط الاقتصادي في النوبة القديمة، ويعرض القسم الخامس بعض المظاهر الاجتماعية من احتفالات واعتقادات بكرامات الأولياء وغيرها مما يؤمن به أهل النوبة، أما الجزء الأساسي للكتاب فهو هذا الكم من الصور المصاحبة لكل قسم والذي يتخلل بنص الحياة في بلاد الشعب كما عرفت عند المراجعة.

ما بعد الاحتراق محمد قنديل بباير المغرب أفريقيا الشرق، ٢٠٠٦، ٦٠٠ صفحة



لعلها من المرات القلائل التي يكتب فيها مبدع مقدمة لعمله، فقد اعتدنا أن يقوم بهذا الدور ناقد أو باحث أكاديمي، يقرأ العمل قراءة فاحصة، ثم يقدم رؤيته لمواطن الضعف والتميز فيه، وقد تنصبت دراسة من هذا النوع إغالة على الأعمال السابقة للمؤلف وموقعه بين محبيه، لكن المؤلف هنا اختار أن يخبرنا بنفسه عن نفسه، فيقدم لنا قصصه ودوافعه لكتائته، وطريقته في السرد وفي انتقاء أبطالها، وهل هم محض خيال أم لهم ظل من الواقع، وهو يبدأ بالشكوى من الأدب المغربي في عمومه، رغم تميزه، لم يحط به بالاهتمام الكافي من القاد والباحثين، ويستعمل الأضواء عليه من وسائل الإعلام، ثم ينهنا إلى أنه بالعلم فكر في أن يسند مهمة كتابة المقدمة إلى بعض من الأقاء، الذين يكتبون بوضوح وموضوعية، لكن ذلك لم يحدث، لأسباب لم يعلنها، فقرر هو أن يكتبها بنفسه ويمكن أن تكون بواجهه لكتابة مقدمة على هذا النحو تعرضي من هذه المفكرة التي يوردها في المقدمة، «وهناك الأدباء المغاربة من تنبه بمعضلة إلى أن معاصريهم سيمهلون ذكره لا محاولة، فيادر إلى التفرغ بحبائه، وتسجيل وتوصيح كل ما له علاقة بأعماله الأدبية في شأيا مؤلفاته».

وهو تعبّر أن ما كتبه مجرد «معالم»، وهو طريق مجموعة القصصية، إلى أن يكون خصماً وسكماً في الوقت ذاته، لكنه يرى أن الكاتب يتحمل مسؤولية كبرى في التعريف به وبجوانبه، وتوصيح الظروف التي أدت إلى ظهور أعماله الأدبية وجمعها وترتيبها ووضع إطارها التاريخي، عن الضمن من ألا يتجاوز الحدود كما يحد نفسه أو يبعد أصملاً، وفي إطار تعريفه أو تقديمه لقصصه، ينهنا إلى أن قصصه هي «لحظة من لحظات التامل تقترت في مصالحيته وشغافيتها من لحظات المجاعة والقداسة، وهي لا تنتم إلى خط فكر واحد، وأن فيها التخييل وفيها ما التقطته من الآخرين أثناء أحاديث معهم، كما ينهنا كذلك إلى أنه ليس البطل الحقيقي لهذه القصص، وأنه حاول أن يكون صانعاً نفسه في التعبير عن تحارب أبطالها.

**تضم المجموعة ثمان قصص، ومؤلفها يحمل إسمًا لغة العربية، وصدرت له من قبل مجموعة قصصية (ويأتي بعدها آخرون) وقصة طويلة (الجنث والراحلة) ورواية (السلف الصالح)**

## شقيق الحوت بين الوطن والمثقف

بهروت رياض الرئيس للشرق ٢٠٠٧، ٥٨٨ صفحة



ينتمي المؤلف أن يكون الكتاب سيرة ذاتية يقول في المقدمة: «هذا ليس سيرة ذاتية وليس سيرتي بأحداث على الرغم من أنني صاحبها وروى أحداثها» هي سيرة فلسطين وشعبها ما بين ثلاثينيات القرن لعشرين وبدايات الالفية الثالثة للتملاء، وهي الصورة الزمنية التي شاعت لدى القارئ أن تكون فسحة عمرى، وأن أمضيها بسبب فلسطين وعوازمها، وهكذا تسبح العرصة للقارئ أن يأخذ حقائق الواقع الفلسطينية، مباشرة من عايشها بتفاصيلها، ومن عناوين تلك الواقع، ولحظات بداية التنازع من يافا إلى الخس، ومن «الحوادث» إلى «جبهة التحرير» لتتوالى التنازلات التي يحتفظ فيها الشخصى بالعلم، حيث يعاها القارئ الكثير من الحقائق التي تكشف لمرءة الأولى وتصبغ خريطة الكتاب. من قيام منظمة التحرير الفلسطينية إلى اليلول ١٩٧٠ إلى عبدالناصر كما عرفه شقيق الحوت، والترحال من الال إلى لبنان ومن الشاهكاسى إلى الامم المتحدة وهروب الالوة الأعداء، إلى اجتياح لبنان ثم انتماسة الحارة إلى مفاوضات السلام إلى الاستقالة احتجاجا على «أوسلو»

## الحق والعتبات

محمد الشركى  
مسرد افرغيبيا الشرق، ٢٠٠٧، ١٣١ صفحة



مجموعة من المقالات التي كتبها

المؤلف في روايته الأسبوعية بحرية العلم الحرة، لتتوالى الشأن الثقافي واتشان الصكرى العام، ويتنل تواصل بين الكاتب وقرائه على مستويات عديدة، ولأن المؤلف شاعر وروائى (صدرت له رواية «العشاء السفلى» عام ١٩٧٧، وروايتان شعريهما «سوار وهما» عام ٢٠٠١) فإن كثيرا من مقالاته تبدو كما لو كانت نصوصا أدبية من حيث اللغة والبثاء، ويبدو هذا الملح خصوصا في مقالاته متعمدة الأصوات، تلك المسطرة ما من قلة الخرائط، فقرأ فيها صوت عبدالوهاب المؤبد: بأية كلمات أطلق، وفى أى دغل أسير، فى السلام كما فى الخطر، مدتها بالحب لاقتنى آثارها، وفى المقطع الثانى من البرابى عربى، وقرأ صوت جبران خليل جبران كما جاء فى كتابه، «النبى»، «إننى على أتم الأهمية لنفسى، فقد وصل الجدول إلى البحر، وأتبع لئلا العظيمة أن تضم أنما صمدتها ذاتية»

لكننا فى مواقع أخرى فقرأ عن أحداث ثقافية (كتب ومراجعات وندى، وسياسية (عن الشأن العراقى والفلسطينى والعربى (عن عمومى)، وفى مقالات أخرى فقرأ عن أمالى وشخصى، مثل الذى يتكلم عن قوسى، جلال، مدينة فاس العتيقة، عن رايانها وديانها وقهوتها - كما يعرض عروب بارخارها الكلى فى إعداد القهوة، لال القهوة أمر مهم، وصاحبه رواية بعيدة العور فى ليل الكائن وساعة، ما من شك فى أن الهجرة النوميديا التي تنقلت عبرها شجرة القهوة المشاركة فى كل نجوم الارض شوقه بدرى عوريسى يهبط إلى الدم مع كل رشفة، كما ستجد دراسات مختصرة عن التشكيك ميلا كوديرى، والمهرى محمد العلولى البليطى، والكاتب المرفى كذلك عبدالقادر الشاوى، وأيضاً عن محمد القاسمى، وعن الأمريكى جون شتاينبيك، والشاعر سركو نولس وبكائى من أجل رامو، ومقالة أخرى عن ريكلة، ووجه كثيرة ومن وماكى تصادفنا فى هذه المقالات المتنوعة

## ما أشهى طعم الحرية

سمير القصدة  
بيروت ٢٠٠٧، ١٠٩ صفحات



يأتي هذا الديوان ضمن سلسلة أعمال إبداعية لكتّاب جدد، شعراء وقصاصين وروائيين. نورت الخريف (المرصع) (رياض الروس) التي أحقت بتبشير الكش السياسية والفكرية والأعمال الإبداعية

لكبار المبدعين، أن تلخصها لمبدعين يشتهرون بلمرعة الأولى، وقد استست لهذا العرض فرع اسمه «الكوكب»

والمؤلف شاعر أرضى شاب ويضم ديوانه نحو خمس وعشرين قصيدة، من أجواء الديوان نقرأ فى قصيدة «على الصبح»

على الصبح أن يستمر يوما/ فلا يستيقظ/ على القلب أن يستريح قليلا/ ويترك أحقادى على الطريق/ على الجوع أن يستحي ذات يوم/ ليحيط من ميس أسائه لقمه/ ليطلع أداته دنيا الحقوقي على الشعر أن يرتفع عن معطيات الحياة/ ويرمى الشياك إلى جرفة الشمس/ قبل أن يلقى العمر أن يتعلم فى عذوة/ ثم حط النهاية/ هل صار حقا على المرء أن يتلاشى/ ولا يبق بعد طعم الرحيق؟

## نصف إيران

روحرادا  
ترجمة: مروان سعد الدين  
بيروت الدار العربية للعلوم، ٢٠٠٦، ٢٠٦ صفحة



يوما بعد آخر، تتصاعد احتمالات الصدام بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية، ومع تزايد الشك الأمريكى فى العراق، بات هذا الصدام أشك أكثر عن أى وقت مضى، حتى أن خبراء كثيرين يعتقدون أن الحرب العالمية الثالثة، ستبدأ شرارتها عبر هذا التصعيد المستمر بين الملانى والمعالطين الجدد، وعلى الرغم من الاتفاق على أن الخطاب العدائى للرئيس الإيرانى أحمدى نجاد يحمل من البلاغة والنشج الإعلاسى، أكثر مما يتطوى على قدره الحقيقية على المواجهه، فإن كلمة نصف إيران فى الصراع لا يمكن إنغائها، ويشكل ارتفاع أسعار النفط عاملا مهما فى سياسة التمدد القوي الحديدة التي تنتهجها إيران، وهى أحد أكبر مصدري النفط فى العالم، وهو ما يمكن ملاحظته من تغير لوقوف إيران بدءاً من العام ٢٠٠٣، فقبل هذا التاريخ، كانت إيران مستعملة للفتاوى من الوكالة الدولية للطاقة الذرية، ومع بداية عام ٢٠٠٤ ارتفعت أسعار النفط بصورة مذهلة، بلغت الصنف تقريبا، وهو ما جعل عملية فرض عقوبات اقتصادية على إيران أمرا مستحيلا، وهو ما دفع لنجاد إلى القول أن بلاده لن ترضخ للتحكم والصفوف، بل ويعد بأنه فى حالة اعتداء الولايات المتحدة الأمريكية على بلاده، فإن إيران

ستكون جاهزة لصرب عند كبير من الأهداف الأمريكية فى عديد من دول العالم، وهكذا وجت أمريكا نفسها محاصرة تصعوت دولية شديدة تصعبها من عول إيران ومحاصرتها اقتصاديا، هذه هى المسألة الأساسية التي يناقشها الكتاب فى أربعة فصول، وإذا كانت هناك نتيجة ما للنقاش الذى يطرحه المؤلف برهده القصوف، فهى أن أمريكا بانتهاجها سياسة عدائية لإيران، تساهم فى تقويض قوتها الذاتية، وتكتب نهجها كقوة علمى وحيدة.



## مصر فى عهدى عباس وسعيد

زين العابدين شمس الدين نجم  
لخاخرة، دار الشرق، ٢٠٠٧، ٢٢٠ صفحة



لم تشهد العشرة الممتدة من نهاية عصر محمد على (١٨٤٨) إلى بداية عصر إسماعيل غايب من قبل المؤرخين، برغم أنها شهدت حكم وإيران هما عباس باشا حفيد محمد على وابنه سعيد باشا، وامتد حكمهما خمسة عشر عاما، وعلى الرغم من تشابه الوائيس فى هذا الإهمال من قبل المؤرخين، فقد كانتا مستحتمين شام الاختلاف، إذ كان عباس باشا انغزاليا يكره المصريين ولا يرى أى أمل فى تطويرهم وتحديث حياتهم، وشهد عهده ردة عن كثير مما جرى فى زمن جده، فيما كان سعيد أكثر انفتاحا على المصريين، وارتبط معا، وارتبط عهدا بتوطيئهم على مواقع كذاكوا معيدين شوا دوما، فصلا عن إقرار اللغة العربية لغة رسمية فى دوائين الحكومة، فى الوقت الذى كان عباس يقره إلى الأتراك ويهبط من الأجانب والمصريين

وعلى الرغم من معنى محمد على منذ البداية إلى تعليم حفيده عباس باشا، فإنه لم يطلع، إذ انصرف تماما عن التعليم، وربما كان الوحيد من أبناء الأسرة العلوية الذى لم يتقن لغة أجنبية، ولم يصلح فى أية مهمة إدارية كلفه بها الجدد، وإن كان عهده شهد استكمال مشروع من خطوط السكك الحديدية الذى كان الإنجليز يمتصون له إلى أبعد حد، وكان أصناف عباس إلى عزلته وسوء إدارته وكرهيته للمصريين وعزوفه عن الاتصال بالأجانب، أضاف إلى ذلك كله طغيانية ألقاها مع دولة الخلافة العثمانية، وقد قاد ذلك كله إلى نهاية ما أساويه حيث قتل فى قصره بمدينة نيا

وعلى العكس من عباس أيل سعيد على التعليم، ودرس فى فرنسا العلوم

البحرية والهندسية، واكتسب مهارات نظرية وعلمية كثيرة حتى صار قائداً للأسطول المصري ١٨٤٧.

وكانت بداية حكمه مباشرة معتدلة سعيدة، زهدة في حياة مصر والمصريين، الذين شجعهم على تولي المناصب العليا والحقوا بهم ونشر العدل بينهم، إلا أن أفقته الأساسية كانت ميله إلى الأجناس ووصفه في مواجعتهم وإسرافه الشديد الذي اضطره إلى الاستقالة من بيوت المال الأجنبية، مما أدى إلى تعطيل النفوذ الأجنبي في شؤون مصر، وهو الأمر الذي انته باحتلال البلاد في ١٨٨٢، إلا أن بعض المؤرخين يؤكد على أن سعيداً وإن كان قد ترك حكومة مستعصمة، فإنه ترك شيئاً غلب شرارته ومورده، وكان عصره عصر تقدم زمني، وربما كان تساهله في تدمير مصر على النمط الأوروبي، قد فعل طبيعي ترجيعه عباس وسقوطه بالانقلابية

## رقعة الطهاوي

محمد عازرة

القاهرة دار الشروق ٢٠١٦ ٣٨٧ صفحة

## لغة الطهاوي

محمد عازرة

كانت البعثة التي أرسلها محمد علي إلى فرنسا عام ١٨٣٦، هي البعثة المهمة للنهضة الوطنية على الحضارة العربية، فقد تحصنت سبعة عشر وطنياً مصرياً جميعاً وعملتهم من المصيريين ذوي الأصول العثمانية، وقد توسعت مجالات الدراسة التي أرسلت إليها هذه البعثة، في الطب والكيمياء والزراعة والمعادن والعمارة وغيرها، عكس مبعوثي ١٨١٢ و١٨١٥ الذين انحصرت دراستهم على العلوم العربية والهندسية، إضافة إلى سلك الحروف وفنون الطباعة.

ولم يكن الشيخ رقعة بن طلابها، بل رشحها له شيخه حسن الطاهر في يوم اعداد البعثة وتولى مهمة الإعداد والإرشاد، لكن الفتى التائه لم يكتف بممارسة المهمة التي أرسل من أجلها (الوعظ والإرشاد الديني) فقد انغمس في تعلم اللغة الفرنسية، ليس للتحديد والوظائف فحسب، وإنما دراسة تيمنه على ترجمة النصوص والآداب الفرنسية، وهم ثقافة اليوم، وهو لم يقنع بما يمكن أن يحصله من خلال البعثة، فاحد يقطع من مصاريفه لشراء كتب متنوعة، واستأجر مدرسا خصوصياً لتعليمه عن الفرنسية، وكانت شهادته اعتماداً للجنة التي استعنته ١٢ كتاباً مترجماً عن الفرنسية في عدة علوم، وشروطه كتابه الذي لفته في باريس، من خلال الإبريز في للبحر من دوايز، وهو

الكتاب الأشهر بين كتبه كلها، والذي يقول عنه المستشرق الفرنسي كوسان دي بريستال: أورد رقاعة بهذا الكتاب أن يوقف أهل الإسلام، ويدخل عندهم مربية في المعارف الحديثة، ويولد عندهم مربية تعلم التصديق الأفرنجي وتتلقى في صناعات الماشي، وما تكلم عليه من الجاني السلطانية والتعليقات وغيرها، أراد أن يدكره له لأهالي بلده، أن ينبغي لهم تقليد ذلك.

وهو ما يعني أن الرجل لم يكن مجرد ناقل لشعاعة غريبة حسب، إنما كان متاضلاً هدفه إيقاف أمته ووطنه والشرق الإسلامي كله، أن حديثه في السياسة والديستور ووصفه للمنظمات التي شاهدها إدارة الدولة، قصد به أن يفتح أمام الشعب ساحات الديمقراطية وأن يتجاوز الاستبداد والطغيان والحكم العردي.

وفي فترة وجيزة أنجز الطهاوي أول مشروع لإحياء التراث العربي الإسلامي في مصر، ونجح في استصدار أمر من الخديوي سعيد بطبع عدد من الكتب العربية المهمة، ثم أبعده لمدة عامين، وعاد من جديد في عهد الخديوي إسماعيل، وتولى ديوان الممارس، ثم قلم الترجمة لدى إنشاء الخديوي لترجمة القوانين المدنية وإصلاح حال القضاء، وتولى رئاسة تحرير «روضة الدارين»، وكانت الأولى من نوعها في مصر التي تعنى بالشؤون الثقافية والأدبية. وكان كتابه، نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز، في سيرة الرسول وفي البناء السياسي والاقتصادي والاجتماعي للدولة الإسلامية الأولى، ولم يكن الهدف من السرد التاريخي والحكي، وإنما كي يستفيد منه من يبنون الدولة المصرية وللطهاوي عدة مؤلفات مهمة أخرى هي: «مناقب الأباب المصرية في مباحث الآداب المصرية»، «المردت الجليل في تربية النساء والبنين»، «أخبار توفيق الجليل في أخبار مصر وتوفيق في إسماعيل»، وقد سار فيها جميعاً على النهج ذاته، ولهذا فقد استحق الطهاوي أن يكون رائد نهضة مصر الحديثة.

## بيوجرافيا الجوع

إميل بوشوب

الرباط المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٦ ٢٠٠ صفحة



إميل بوشوب، هي أستاذة في بلجيكا، ولدت في ألبانيا عام ١٩٢٦، وتقلت بسبب وظيفة والدها وعمله و

مجال الدبلوماسية بين عدة دول، من ألبانيا إلى الصين، ثم إلى نيويورك ونجلاندش وكومبوديا وعديد من دول الشرق الأقصى، وكانت ثمرة هذا الترحال هي هذه الرواية، التي يبدو أنها سرد لحياتها هي منذ كانت طفلة. لكن لماذا الجوع هو ما يفتح على أجواء الرواية التي تستحق كثيراً من ماداتها من التاريخ الاجتماعي والسياسي للمناطق التي رافتها، السيد أن القاسم المشترك بين الشعوب قاطبة هو أمها شهدت المجاعة في فترة ما من تاريخها، فالحاجة تولد الروابط والصلوات، والبداية من الصبي، التي هي. كما تقول المؤلفة: زعيم البطون الخاوية من كون متنازع، فهاضيه سلسلة من الكوارث العكسية التي أسمرت عن أعداد لا تحصى من الموتى، وأول ما يبادر به صيني صينياً آخر هو سؤال: هل أكلت؟

والجوع الذي ترمي إليه المؤلفة، ليس بالضرورة وباللأى هو الجوع إلى الأكل، وإنما الجوع بمعناه الاستعسا، الصوع إلى العاطفة، إلى العنن، إلى الصلات التي تقيم دعائم من نوع ما بين البشر على اختلاف طبائعهم وعاداتهم وثقافتاتهم، وهذا هو ما يتغلها كراي لأحداث الرواية، وما يشغل أبطالها الواقعيين والمتخيلين كذلك، فهي تقول مثلاً: في الصين اكتشفت جوعاً كنت أجعله، هو الجوع للأخريين، إلى أخص الجوع إلى الأطفال الأخريين، في ألبانيا لم يكن في حيالي تمتع لشعور بالجوع إلى الكائنات البشرية، كانت نشيبي سان تمدني موافر من فناء الحب بحيث أغشيتني عن طلب المزيد، أما اقربا أبنياش أكناني لا يتبرون في قدراتي إلا الشعور باللامبالاة

أما في سجالديش، فقد علموها أن الجوع هو أن يؤول بسرعة، بعد ذلك ينادي آخر من أثاره لا من عناده، هكذا يستظهر الجوع ما شاكاه على السرد ويسم الحركات جميعها

## الحركات الإسلامية من منظور الخطاب المعاصر

تركلي علي الربيعي

الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٧ ٢٧٢ صفحة



عبد منة شامية فضول، يناقش المؤلف واحدة من أهم الظواهر في المجتمعات العربية المعاصرة، وهي ظاهرة الحركات الإسلامية، ويحلل خطابها الفكري والسياسي والعلمي، ومنذ البداية يشير

إلى أن صرخات الإدانة على مشروعية الظاهرة، والتحليلات المتشنجة المتسرعة لها، تساهم في تعقيدها وتعقيد الفجوة حولها، وتثبت أوهام المثقفين الخبيثة الذين يدعون أنهم على عتبات العدالة، كما تؤكد من قضاة شاذية أن الحل الوحيد للظاهرة ليس ناجحاً، ويترجم أنه يقدم لنا تشخيصاً للظاهرة عبر عدة محاور الحركات الإسلامية من منظور الخطاب التقني، الحري، الإسلام السياسي في خطابات النخبية الفكرية، قراءة الإسلام السياسي بالانتماء إلى رتبة الأيديولوجيا، حدود التكامل بين القراءة السوسيولوجية والقراءة الاستشراقية، من نقد الخطاب الديني إلى الرهان على النص المقدس، جدلية الدين والسياسة في الخطاب الحري المعاصر، الإسلام السياسي في خطاب ما بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١، الإسلام السياسي وضروعه الخروج من دائرة الضنّة.

ويبدى المؤلف وجهة نظر تستحق المناقشة، فمادها أن ثقافة المراجعة لم تتم إلا عبر تجاوز المحدثات الثقافية السائدة على الطيف العربي والإسلامي، والتي تستمير بواعث التعبير عن نفسها من الماضي المتبد، ضمن الحروب العنصرية بكل ما فيها من انحصارات وزعم، وهو الأمر الذي فعله عدد من الأكاديميين والمثقفين الأجانب وخصوصاً مستشرقى الولايات المتحدة الأمريكية، وهو ما فعله النص جبري فأقول والقدر روبرتسون راعي الصالحات الإنجليزية في البيت الأبيض، وكلاهما وجه سبائنا مباشراً للإسلام ورسائله، كما كانت أطروحات لبرادو لويس حول الإسلام، والتي تراه ديناً متعصباً عصبياً على كل محاولات التغيير والاندماج في العدالة، إضافة في خطاب جوبو، بوش الذي تحدث عن الحروب العنصرية وأهمية مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية للإرهاب في العالم، وهي طليعة الإسلام والحروب المسلحة، وهو قد الباب واسعاً لظواهر أعلام وسياسي متشددة، لتبنيها الطبيب المحافظ الذي يستطيع على مفاهيم الحكم والإدارة في الولايات المتحدة الأمريكية.

## الإمبراطورية البيزنطية

محمد مؤمن عوض

القاهرة، عين للدراسات والبحوث الاجتماعية، ٢٠٠٧ ٥٥١ صفحة



تبحث هذه الدراسة في تاريخ الأسر الحاكمة للإمبراطورية البيزنطية، وتنتهي

المقاتلات، وهو ما أدى إلى تراجع دورها في الحاميين السياسى، ومع سياسة الاعتصام الاقتصادي والسوق المحبوس منذ السبعينيات، بدأت ثقافة الحاميين لتستعيد دورها السياسى من جديد، الأمر الذى يؤكد ارتباط جماعة الحاميين بالسياسات الليبرالية، وهى العصرية التى طرحها المؤلف للمناقشة.

وفى سمعها لتدعيم فكرة الارتباط بين تحديث المجتمع ونشأة مهنة المحاماة، تعود المؤلف إلى زمن الوالى محمد على، وتشير إلى ارتباط تجربته التحضيرية بما اشتملت عليه من تطور فى الكليات الزاوية، ثم التدخل الأجنبى والامتيازات الأجنبية، وتنظيم القضاء على النمط الأوروبي، بظهور مهنة المحاماة، والتى ولدت أساساً على يد العرضاء الجاهل، ثم تطورت مع نظام التوكيلات حتى وصلت إلى ما هو عليه الآن، ومع بروز أهمية كمهنة مثل سعد يغول وإبراهيم الهلباوى ومكرم عبيد بين الحاميين، اكتسبت المهنة احتراماً من نوع خاص، بعدما دعمها إنشاء مدرسة الحقوق فى عهد إسماعيل ١٨٦٨، وإقرار مجلس النظار المساواة بين حريجيها وخريجيها المدارس الأوروبية فى التقييم فى وظائف القضاة والنيابة، وشعر الحاميون بتقدير لمهامهم وتوقعهم التقافى، وعهد به إلى أبناء النخبة المصرية فى هذه المرحلة وما بعدها، كانوا من درسى الحقوق.

فى جانب التمهيد، يتخصص الكتاب بدين تدرى المؤلف فى أولهما جماعة الحاميين من حيث الأصول الاجتماعية وتطور المكانة السياسية، وكذلك نشأة وتطور ثقافة الحاميين، وتدرس فى الثانى موقف الحاميين تجاه الأحزاب، وتجاه بعض القضايا التى شغلت الولى

وتكفى أهمية الدراسة فى أنها أول دراسة تتناول الأحوال العامة للنصارى فى القرن التاسع عشر فى ضوء معطيات سجلات محكمة القضاة الشرعية فى القدس القضائية، والوثائق الواردة فى هذه السجلات فى شأية الأهمية وهى فريدة من نوعها ولا يتوافر فى المصادر التقليدية.

جاءت الدراسة فى تمهيد وستة فصول، وتحديث عن طوائف النصارى التى عاشت فى مدينة القدس، وعن الحياة الاجتماعية، وثقافة الأحوال الشخصية التى شتمت بها طوائف النصارى ودورهم فى الإدارة والتعليم، كما تحدثت عن الحياة الاقتصادية والحياة الدينية وعن موقف الدولة العثمانية من التنصير وإسلام بعض النصارى، وعن إنشاء الكنائس، كما بحثت فى علاقات طوائف النصارى ببعضها بعض، وعلاقاتهم بالمسلمين، وعملت بمجموعة من الجداول الإحصائية ومجموعة من

الملاحق.

#### الحاميون بين المهنة والسياسة

أماى الطويل  
القاهرة دار الشرق ٢٠٠٧ ٢١٥ صفحة



تتميز دراسة الخلية السياسية المصرية إلى الدور المهم الذى لعبته جماعة الحاميين فى تشكيلها، خصوصاً ذلك القطاع الذى طالب بالاستقلال، ووقف فى وجه الاستعمار البريطانى، أى الذى عني أساساً بالنشال السياسى، ومنهم سعد يغول ومصطفى كاشم ومصطفى النحاس ومكرم عبيد وغيرهم كثيرون. ويشمل ثقافة الحاميين الوعاء الذى عبر عن طموحات هذه الطبقة فى تحقيق الاستقلال السياسى والمطالبة بالديمقراطية، وهى الأرقام بين ثقافتين مصر جميعها، حيث تشكلت فى عام ١٩١٢، وسيب أهميتها فى قيادة النضال الوطنى، حرص حزب الوفد منذ تشكيله فى ١٩١٨، على أن يكون أعضاء مجلسها من الحاميين، كما حرص سعد يغول على أن يضم فى ورائته نقيب الحاميين، وكانت نقابية وهى أول نقابة تعلن الإضراب احتجاجاً على رفض الزعماء الوطنيين فى ثورة ١٩١٩، وصفت الأحزاب والحركات السياسية التى نشأت فى مصر فى تلك الفترة فى استقطاب الحاميين، فقورعوا بين كافة الأحزاب والقوى السياسية، وحين قامت ثورة يوليو ١٩٥٢، سمت إلى تأميم الشارع السياسى لصالحها بما فيها

الرابطة الأولى بين الأتراك، وتشجع دور الدولة فى عملية التصنيع، وأهميتها دورها فى تحقيق العدالة الاجتماعية، ورفض التقريب، والأنظمة الاقتصادية الرومية، واعتبار العالم الإسلامى هو المحيط الطبقي الترتيبى، وهى البانوى التى جذبت طبقات الحاميين والعرضاء، واستمرت حالة الشد والجذب تجاه حزب الرفاء، التى أصدرت المحكمة الدستورية التركية فى عام ١٩٢٨ حكماً بإغلاقه، ومنعت عدداً من قياداته وعلى رأسهم أريكاً من ممارسة السياسة لمدة ٥ سنوات. ولأن الحزب كان يتوقع هذه الخطوة فقد اندلعت حرب الضيقة التى أغلق عام ٢٠٠١، ثم حزب السعادة وحزب العدالة والتنمية، ويشمل الأخير الجناح الإصلاحي وقادة الأوجار وجورج. النشار سمي إلى تحنب الأخاء التى وقع فيها حزب الرفاء وأهمها الأصطفاى بابجيش. وقد حقق الحزب فى انتخابات ٢٠٠٢ مفاجأة كبيرة وصمت بأنها رزاق سياسى حين فاز به ٣٣٣ مقعداً من أصل ٥٥٠ مقعداً فى البرلمان، وقد اعتبر كثير من المراقبين الأتراك أن هذا الفوز الكبير الذى حققه حزب العدالة والتنمية، كان تحميراً عن السطخ الجماهيرى فى هواجس الأتراك السياسية التى احتكرت السلطة لسلطنة طوبلة. بالإضافة إلى أن حزب العدالة نجح فى إقناع الجماهير بصديق توجهاته وريثته فى التمهيد الحقيقى، وعين تشكلت الحكومة قبال عبدالله جول إن حكومته ستحل الأوروپية بخطواتها الجادة، التى ستبهر للعالم أن تركيا دولة مسلمة وديمقراطية معاصرة، تصلح نموذجاً لسياسة الدول الإسلامية... إلى ذلك، يتناول الكتاب الإصلاحات التى أجراها حزب العدالة والتنمية فى إطار سعيه لانضمام تركيا للاتحاد الأوروبى، والمشكلات التى واجهها فى السلطة والتجسب الهائل الذى طرأ على الاقتصاد التركى فى عهد، والعلاقات مع أمريكا وأصول العريضة، وغيرها من الموضوعات وثيقة الصلة بالصعود الإسلامى فى تركيا

يؤكد المؤلف كذلك على الدور الذى لعبه الإسلام فى التاريخ البيزنطى، على مدى تسعة قرون من أصل ١١ قرناً، وهو لما لم يغفل المستشرقون الغربيون للإسلام وأهله، باستثناء عدد قليل منهم.

■

إلى أن الأسرات الحاكمة لعبت دوراً كبيراً فى تاريخ الإمبراطورية مقارنة بالأتاوار الأخرى لإمارة الشانويين، كما أكدت الدراسة على أهمية العوامل الداخلية فى سقوط الإمبراطورية، أى أن سقوطها من دون ذلك كان أسرع كثيراً من سقوطها من الخارج، ويشير المؤلف إلى الطابع البيرجماتى للتاريخ السياسى البيزنطى، ومن ثم فإن حوادث العمر والخيالة مثنت جزءاً من ذلك التاريخ، وقد فقد عجرت الإمبراطورية البيزنطية بعد رحلة دامت أكثر من ١١ قرناً عن تقديم نموذج أخلاقى رفيع لأحد أباطرتها، وظل تاريخها تنسوية الصامس والمؤامرات، وقد عاشت للإمبراطورية القريب الأخيرين مرحلة احتضار طويلة، ولم تكن تلك العقل، بل كانت إمبراطورية الصدى، خصوصاً مع الصعود المتنامى للإمبراطورية الشابة الصاعدة آنذاك، الإمبراطورية العثمانية، ويشير المؤلف كذلك إلى الدور المهم الذى لعبته المراقب أن وروعة وعشيقته فى تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، وقد دفع التفتش إلى السلطة المطلقة المرأة لأن تدخل معتكر المؤامرات لتصل إلى قمة عالم السياسة وأن فضيتها المفصلة هو الرجل.

يؤكد المؤلف كذلك على الدور الذى لعبه الإسلام فى التاريخ البيزنطى، على مدى تسعة قرون من أصل ١١ قرناً، وهو لما لم يغفل المستشرقون الغربيون للإسلام وأهله، باستثناء عدد قليل منهم.

■

#### الإسلاميون الجدد والعلمانية

عبد الحليم عزالى  
القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٧، ١٠٢ صفحات

يبحث الكتاب فى السى عشر فضلاً تجربة الإسلاميين الأتراك فى الحكم، ويتناول نشأة حزب العدالة والتنمية بوصفه الوعاء السياسى لهدوء الإسلاميين، ووضوئهم للسلطة فى عام ٢٠٠٢، وكيف كان هذا النجاح ثورة صامتة ضد النخب العلمانية التركية، التى تدبى بالذلة لآل المومس مصطفى كمال أتاتورك وينظر العلمانيون إلى حزب العدالة والتنمية بأنه حزب ذو أجندة سرية، سيتم تنفيذها تدريجياً وعلى مدى طويل، مستفيداً من تجربة سليف حيدر الرفاء، والمستعدين بالناسلة، برغم الجاهل العامة التى رفعها، والتى لم تكن هى ذاتها صامدة للأتراك، ومنها أن الإسلام هو



#### النفس والجنس والجريمة

خليل حاضل  
القاهرة، دار ملاح للنشر ٢٠٠٧



عن العلاقة الحدية بين النفس والجريمة، والحريية وارتباط الجنس بهما فى بعض الحالات، ينقسم إلى ثلاثة فصول هى الفصل الأول ما بين ربا وسكينة وعنى مزار اختيار المؤلف حدثتى ربا وسكينة، وفى مزار على اعتبار أن كلا منهما فى حلق دوى إعلامياً ارتحت له حسبات الراى العام فى مصر، وإن كانت ربا وسكينة فى حلق بالفضة، الأوفر لقدنهما تاريخى، وهما يبرر السؤال الجدير ما هو ارتباط ربا وسكينة بالجنس؟

نصارى القدس  
أحمد حامد إبراهيم القضاة  
بيروت مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٧، ٥٦٧ صفحة



ضمن سلسلة أطروحات الدكتوراه، تأتى هذه الدراسة التى تبحث فى أوضاع نصارى القدس فى القرن التاسع عشر.

يبحث الكتاب فى السى عشر فضلاً تجربة الإسلاميين الأتراك فى الحكم، ويتناول نشأة حزب العدالة والتنمية بوصفه الوعاء السياسى لهدوء الإسلاميين، ووضوئهم للسلطة فى عام ٢٠٠٢، وكيف كان هذا النجاح ثورة صامتة ضد النخب العلمانية التركية، التى تدبى بالذلة لآل المومس مصطفى كمال أتاتورك وينظر العلمانيون إلى حزب العدالة والتنمية بأنه حزب ذو أجندة سرية، سيتم تنفيذها تدريجياً وعلى مدى طويل، مستفيداً من تجربة سليف حيدر الرفاء، والمستعدين بالناسلة، برغم الجاهل العامة التى رفعها، والتى لم تكن هى ذاتها صامدة للأتراك، ومنها أن الإسلام هو

كثير من الناس لا يعرفونها كانتا هيديران بيوتنا للدماسة بمساعدة رجالهما.

في الفصل الثاني العنوان في مسألة القتل يتناول الكاتب أحداثاً هزت بلادها. ففي عهد ميلاد هتشر قام مراهقان أمريكيان بنسف مدرستهما وقتل خمسة عشر طالباً بدم بارد. وهي أمريكا كان قاتل ١٧.٣ رجلاً شاذاً وجانحاً وقاتلاً غير عادي. أكل أجراء من جثث صحاياه وامرس الجثث مع أزعمة من الموتى ثم مات على يد سجين آخر.

أما الفصل الثالث اعتصاب وشود. فيتناول الأعداد النصية لانتهاك الأعمال جنسياً. ومنها إلى هضبة بريطانية حيث يمسح القصاص هناك للجبان باستجواب الجنى عليهمها بمسألة يتسببه إعادة اغتصابها.

يتبع المؤلف فصولا العنف الزوجي الشائع في كل بلدان العالم تقريبا. لكن هذه المرة يناقش عنفا جنسياً محسوب من الروحانية (جاسكي) التي هشمست زوجها (الذوق). وكذلك في بريطانيا وفي هضبة غربية وهندية من ذوعها كان سلطانها مهتدس لتلميذات بريطاني استخدم مهارته واستعمل مهنته. في عريب ٣٠٠٠ امرأة عن طريق الهاتف.

الكتاب في فصله الأول يفسس العلاقة بين النفس والجريمة ويشرح ما لجسوس عابري. وفي الفصل الثاني تكون العلاقة الثلاثية بين النفس والجريمة (عناون الكتاب) الواضح في جرائمها وأحداثها. أما الفصل الثالث فهناك ريدف بين النفس والجريمة والجسوس. وبين النفس والجنس فقط دون الجريمة.

يحاول الكتاب الرصد، التحليل، الفهم، التأمل ويشارك للفتاوى مساحات كبيرة لشأمة البحث وللتأمل.

الزعمان  
حمد رويل (مناصرة)  
المصدر: الشرق ١٠ ٣٠٠٧ صفحة



تصمم هذه الكراسة محاضرة مهمة للعالم المصري الحالي على جادة دول في الكيمياء أحمد رويل حول مفهوم الزمن. فها هو في نبذونه ثم يربط فيما بعد وهو يتابع فكره ثم الزمن التي اهتم بها العلماء منذ القدم. والتي الفت تأثيراتها على العلوم والرياضيات وتطورهما. وصولاً إلى الصمتو ثابتة التي يرى الدكتور رويل انها ستكون لأصلاها اثر مهم في المستقبل. ويشير إلى أن مسألة العكاس

الزمن، بمعنى أنه يعصى إلى الخلف. ويسير إلى الوراء هي أكبر التحديتات خصوصا أن الإنسان لا يتوقف حلمه ورغبته في التصرص في قيود الزمن واختراقه والسير عكس اتجاهه. وهو يرى أن ذلك نظريا ممكن. وهو ما يسميكن الإنسان من تعبير أحداث وقعت بالفعل في الماضي. وكذلك تلج على الإنسان رغبة أخرى أن يسافر في اتجاه مستقبله. وهو ما قد يدخله في عوالم غريبة.

١٠٠ سنة سينما  
عزت السعدني  
القاهرة: كتابات اليوم (عن دار أخبار اليوم).  
٢٠٠٧



إذا كانت شعب السينما قد أطلت على الدنيا في الثامن والعشرين من ديسمبر من عام ١٨٩٥.. إلى منذ ١١٢ سنة.. من خلال أول عرض سينمائي اقامه للجمهور الفرنسي الأخوان لومير في قاعة للصحف الهندي يقفها الجرائد كافي في شارع كايوسير في باريس. والذي اعتبره مؤرخو السينما التاريخ الرسمي لبداية تاريخ السينما في العالم.

فإن مصر بعد أربعة أيام فقط لحقت نفسها وشهدت أول عرض سينمائي أقيم في مهنى رواني في الإسكندرية في أول يناير عام ١٨٩٦

وبعد ٢٨ يوما لا غير شهدت القاهرة أول عرض سينمائي في العالم اقيم في دار سينما.. ساسلي. على مقربة من فندق شرد القديم الذي احترق في حريق ٢٦ يناير ١٩٥٢ وتحوّل إلى ساحة لانتظار السيارات!

وكان بعد سموح للسيدات بحضور العرض السينمائي. لا بعد نحو عام كامل.. عندها نشرت جريدة الأخبار. وهي غير جريدة الأخبار الحالية التي اصدرها مصطفى أمين وعلى أمين في عام ١٩٥٢. حورا في ٣ ديسمبر ١٩٩٦ يسمح للسيدات بحضور عرض السينمائي في حمام شيد من الرافعة حتى السادسة مساء مع أطفاله ليشاركه أبوه وأبوه ما يراه المتفرج!

أول أول دار للسينما في مصر فقد أقيمت في عام ١٨٩٧ ولكن في الإسكندرية شارع لومير بمحطة مصر وكانت الإسكندرية سبباقة دائما في مجال السينماتوغرافيا.

وقد نشر الأهرام أياها أن المصريي يشكون من سوء المعاملة داخل دور السينما. حيث كانوا يرونك المصروف

العشرة الأولى للأجانب.. أما المصريون فانهم يجلسون في مقاعد التروا ومع احتفال الأوساط الفنية والثقافية في مصر هذا العام بمرور مائة عام على السينما المصرية. يصحبنا المؤلف في رحلة تفصيلية مع السينما المصرية بكل نواحيها وإسناداتها من الذين أرسوا قواعدها من المخرجين أمثال محمد بيومي ومحمد كريم أم الذين أصلوا مسيرة النجاح والتألق من الرعيل الأول حتى الأجيال الأخيرة.

مائة وهم حول الشرق الأوسط  
فريد هاليدا  
بيروت: دار الساقي. ٢٠٠٦. ٢٨٥ صفحة



الانحصر في الاساس الذي يقدمه المؤلف هنا هو أن الشرق الأوسط يعيش في غايه من الخرافات والاساطير التي تهيم على علاقات دولة بعضها البعض. ويتحكم العلاقة بين الحكام والحكومين.

بين هذه الأوهام مثلاً أن الشرق الأوسط مختلف من نواحي أساسية من بقية العالم. وأنه لذلك ينبغي أن يفهم بمصطلحات متمايزة عن تلك التي يتم استخدامها. وينبغي القول هذا القول وتؤكد على أن الشرق الأوسط يتشارك مع بقية العالم خصائص كثيرة أكبر بكثير مما يظهر من فوارق. فمجتمعاته ودوله وشعوبه من أول الاقتصاد العالمي. جميعها. جميع دول العالم. تتمسك بمبادئ الاستقلال والافتقار الوطنية.

بين هذه الأوهام أيضا أن الشرق الأوسط متعلم تهيم عليها الكرامة والتجبر لا يتبع شعبها بحسن الصلابة. لفت أيضا وهم كبير لا يمكن الحكم على شعوب الشرق الأوسط جميعها بنعم الطريقة. كما أنه ليس هناك مؤشر عالمي للزمن يمكن القياس عليه.

ثالث هذه الأوهام. أن وقوع الحروب في الشرق الأوسط في العصور الحديثة. هي استمرار للعنف والتمتوجاب الساذجة. ويرد المؤلف على هذا الوهم بقوله. أن تاريخ أوروبا في القرن العشرين يحتشد بعشرات من صور العنف التي تتجاوز ما جرى في مجتمعات الشرق الأوسط.

هناك وهم آخر يقول أن العرب شعب صحراوي. وهو وهم كبير ساهم في درسيه مستشرقون غير محايدين. والذي ينظر إلى الشرق الأوسط في عمومه يرى فيه مجتمعات حضارية متعمدة. وحتى منطقة شبه الجزيرة

العربية التي ينظر إليها باعتبارها الأكثر صحراوية في منطقة الشرق الأوسط. فإن أغلب سكانها ليسوا من البدو وإنما مزارعون. وحضرين يتوزعون على عدة مدن ساحلية.

وثمة وهم آخر يشير إلى أن عداة العرب لإسرائيل هو استمرار لعداء مباحص السامية الأوروبيةين. وخصوصاً النازيين للشعب اليهودي. وهذا وهم كبير لأن عداة العالين العرب والإسلامي لليهود في القرون التي سبقت القرن العشرين كان أقل حدة من عداة الأوروبيين لهم مائة وهم من هذا النوع يدحضها المؤلف ويبرهن على كذبا.

المؤلف ويبرهن على كذبا.

العربية التي ينظر إليها باعتبارها الأكثر صحراوية في منطقة الشرق الأوسط. فإن أغلب سكانها ليسوا من البدو وإنما مزارعون. وحضرين يتوزعون على عدة مدن ساحلية.

وثمة وهم آخر يشير إلى أن عداة العرب لإسرائيل هو استمرار لعداء مباحص السامية الأوروبيةين. وخصوصاً النازيين للشعب اليهودي. وهذا وهم كبير لأن عداة العالين العرب والإسلامي لليهود في القرون التي سبقت القرن العشرين كان أقل حدة من عداة الأوروبيين لهم مائة وهم من هذا النوع يدحضها المؤلف ويبرهن على كذبا.

المؤلف ويبرهن على كذبا.

إدارة هندسة النظم  
سهيام بلاتشار  
ترجمة: حاتم الحدي  
بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.  
٢٠٠٧. ٧١٨. ٢٠٠٧



يوفر كتاب إدارة هندسة النظم، الخبرة التقنية والإدارية لتطبيق الناجح لهندسة النظم. ولتتبع خبرة لاتقاء التقانات اللازمة باستخدام الأدوات التحليلية المناسبة. وتطبيق التقنيات الحديثة لتطوير سيورة جيدة لهندسة النظم.

وتشمل هذه الطبعة المحدثه عرضاً جديداً وموسماً لأحدث المواضيع مثل: الماخذ. والتجهيز الإلكتروني. وتحليل الماخذ. والمعايير. والممارش. والتحديات الحديثة

ويصاحبه دراسات حالة واقعية عديدة. يتعرض المؤلف خطوة بخطوة. ليعا نزيلاً شاملاً قائماً على دورة حياة النظام التي يفضي للكلية. ويسهل سيورة التصميم والتطوير ويحسن الوثوقية. ويكشف الزاكن. إن معاهيه هندسة النظام ودوافعها وتقنياتها الشاملة هنا مفيدة لكل من المشاريع الكبيرة والصغيرة.

وتعد هذه الطبعة من الكتاب مرجعاً أساسياً لكل المهنيين ومبرمجين الذين يعملون في التصميم والتخطيط. والتصنيع. وهي أيضا مدخل ممتاز لطلاب هندسة النظم. ومؤهلا أساساً سابق في قسم هندسة النظم والهندسة الصناعية في معهد فريجينا التقني. وفي الجامعة الحكومية في ملاكسبورج.

العدد المائة وستة. نوفمبر ٢٠٠٧





## «من قريب»



■ بين أهل الرأي، ويحكم التعريف الذي يفترض الاختلاف ابتداءً. يندر أن تجد صاحب قلم لا يختلف عليه الشان.

سلامة أحمد سلامة، الكاتب... والإنسان هو ذلك «البائر» الذي لا يختلف عليه. أو يكاد. كل من قرأه أو «اقتربه» منه، وقد شابت الأقدار أن أشرف بأن تجمعن «وجهات نظر» الفكرة والمطبوعة... وأن يجمعنا مكتب واحد لسنوات قاربت العقد في حساب الأيام. فعرفته «من قريب»... وعرفت فيه «مهنياً»، كيف تكون الليبرالية الحقيقية، ومعنى أن تكون مستقلة، وأهمية أن تكون جاداً ومنظماً ومسؤولاً وملتزماً بما عليك من واجب. وعرفت فيه «إنسانياً»، معنى الاحترام، والتواضع، ودماثة الخلق. ورايت «من قريب» كيف يجيد الإنصات مهما يكن التكلم أو قيمة الكلام.

يعرف كل متابع لعموده اليومي «من قريب» في الأهرام، المصرية، كيف أنه في صحافة «الجميعة» تبعيتها للدولة، ظل سلامة أحمد سلامة، مختلفاً،

عن أولئك الذين اختاروا الوقوف في «طابور السلطان»، وإن كان في الوقت ذاته. وهذا سره. نجح «بوسيطته» المصرية الخاصة أن ينأى بقلمه بعيداً عن أي اتهام «بالنظر» معارضة أو قدحا.

سلامة أحمد سلامة... «من قريب»؛ صوفي النزعة، المائي الانضباط، مصري الوسطية. يترفع عن الصفار، ويرى بنفسه دوماً. احتراماً أو انضباطاً أو حياءً. عن أن يطلب مزية أو استثناء، أو أن يضع نفسه حيث لا يحب... أو لا يجب أن يكون.



«من قريب»... عرف قارئ «وجهات نظر» سلامة أحمد سلامة، ككاتب ورئيس لتحرير، واليوم، وإذ أشرف أن يترك لي مكانه، بعد أن رأى أن الوقت قد حان لكي يتخلف رسمياً، من عبء المسؤولية وتبعاتها، مطلقاً لأفهام الأجيال، لا أكتم القارئ سرّاً أنه كان قد ألح مراراً خلال السنوات الماضية على أن يترك موقعه لمتقن للكتابة، إلا أننا كنا دائماً - ربما لأنانية الحب - المارضين لما يطلبه مرة وألح عليه مرات. أما وقد وصلت الأمور إلى نهاياتها فبقينا أنؤكد ماقلته سابقاً، أن سلامة أحمد سلامة معنا: إن لم يكن كوكب لتحرير، فبإسمه القارئ الذي نشرف به، وقلمه الذي نحرص عليه، ورأيه الذي نقدّره ونعزّزه به. وأن «رئيس التحرير» الفعلي لهذه المجلة، كان وسيظل في واقع الأمر، قارئها، الكريم، الذي نعتقد، بما وضعناه لأنفسنا من نهج أعلنه ما مراراً وعلّنه به، أن واجبه هو أن نجتهد «جميعاً» لنقدم له ما لا يفتقده في زحام ساحة إعلامية امتلأت صخباً وألواناً وأصواتاً عالية، مطبوعة تدفق اللفظ والمعنى واختيار الموضوع، وتفضل النظر من مسافة مناسبة تسمح برؤية أعمق... ننظر، في، تفاصيل المشهد، ولا تكتفي بالنظر «إليه»... ولا يستهوينا الهوات خلف تدافع الأحداث، فتتأثر

بالضرورة بلطف توجهها إلّا، وتضطر إلى أن تدفع ثمننا حتمياً من تحرّ لدقة مطلوبة، والتزام بموضوعية واجبة.

مطبوعة تمنى بالأصول والمنايب والمرجمات كمصدر لا ينضب للمعرفة الإنسانية. ولتقرّ بأن تكون الساحة المتاحة دائماً لـ «الرؤى المتمعة والمتعمقة» التي قد تحتاج مقالا يقف في مكان وسط بين المقال الصحفي المقيد بحججه المعتاد وبين الكتاب البلا محدود بطبيعته. وهذا النوع من المقال تعود فكرته في الحقيقة إلى الأستاذ هيكال الذي رأى منذ البداية - وراينا معه - أن الوضعية السريعة الآن للصورة وليست للكلمة، ذلك أن أي مهمم بالشأن العام سوف يتابع الخبر صوراً متلاحقة على الشاشات المضئية، لكنه يريد من الكلمة أن تذهب إلى ما وراء الصور. وأن تقول له على مهل ما الذي يجري؟ ولماذا؟ وكيف؟ ومن؟ ومتى؟ وأن تروى ذلك على مهل... ..



ويعد... هارجو أن يأذن لي القارئ الكريم، أن أكرر، ما سبق أن اكدهنا هنا غير مرة من أن سياستنا التحريرية في «وجهات نظر» كانت وستظل دائماً - بحكم الاسم والهدف - أن تدلل على حقيقة أن الاختلاف في الرأي لا يتطلب غير «الحوار». وأن الحوار يعني في تعريفه الوحيد، تبادلاً لـ «وجهات نظر» هاللتابع للمجلة من عددها الأول لأيد أن يلاحظ أنه ما من «رؤية» ضلت طريقها للنشر، في حال تواهر شروط «مهنياً» لا ننكر صراحتها. إذ يعتقد القائلون على تلك المجلة صادقين بأن «للتنظر زوايا مختلفة»، وأن رؤية متكاملة للمشهد مع افتراض إمكان ذلك. لا تتأتى أبداً إلا بمطالعة من مختلف الزوايا.

فضي مواجهة ما يد مرة. أو مرات. في المشهد الثقافي والفكري العربي، من أن الحوار «الحقيقي» يترك مكانه عادة لصخب الخلط والصياح والضجيج والشجار، كان ضرورياً (تكرر) أن تكون هناك «محاولة» لإزاحة غبار كثيف تراكم على تقاليد الحوار في ثقافة سبقت فجعت «للكلام» علماً خاصاً قبل عدة قرون. ولعله كان ضرورياً أيضاً أن تؤكد «وجهات نظر» أن للحوار آليات. حيث يحدد الراغبون - بداية - حول ماذا يتحاورون، وما هي نقاط الاتفاق، وما هي تلك التي ما زالت محل الخلاف، ومن ثم للحوار. ثم ما هي المرجعيات المتفق عليها، وما هي التمريرات الحادة لا سيبتخدمونه من مصطلحات... هنا - وهنا فقط - يبدأ تبادل «حقيقي» لوجهات النظر بين أطراف «لعلهم بالضرورة» هناك رأياً آخر، ليس لنا بالتالي أن نتميز من الإصاات إليه، بعقل يدين، وقلب يسمح - واستعداد لأن نقبل منه - كما نرفض.

حاولنا في «وجهات نظر» أن نتحاور، مستعدين إلى دعم ناشر مثقف - نق في تاريخه، متمثلين دوماً شعراً وضعه «استاذنا جميعاً» محمد حسين هيكال لهذه المجلة منذ أن كانت مجرد فكرة، «مجلة مختلفة».. لقارئ مختلف... ■

انضم إلى ١١ مليون عميل...

٧٠٪

تخفيض

على رسوم تركيب  
خط التليفون



المصرية للاتصالات  
Telecom Egypt

شبكة واحدة .. بتقربنا كلنا

ولحد آخر ديسمبر

ركب تليفون منزلي أو تجاري

بتخفيض ٧٠٪ على رسوم التركيب

مع امكانية التقسيط على أقساط

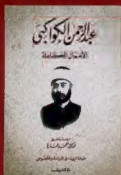
ربع سنوية تدفعها مع الفاتورة

والعدة اختيارية

لمزيد من المعلومات اتصل بـ ١١١

أحدث إصدارات

# دار الشروق



القاهرة، ١ ميدان طلعت حرب - وسط البلد ت، ٣٩١٢٤٨٠ - ٣٩٣٠٦٤٣

مدينة نصر، ٨ سيوييه المصري - رايعة الحديثة ت، ١٠٢٣٣٩٩  
الجيزة، مبنى فرست مول - ٣٥ شارع الجيزة امام حديقة الحيوان ت، ٥٧٣٥٠٣٥ - ٥٧٥٠١٨٧  
الاسكندرية، سان ستيفانو مول ت، ٣٧٠٠٢٧٠٠٣٠٣ - ١٠٠٠١٦٣٣١٥٠

www.shorouk.com e-mail: bookstores@shorouk.com